سيناريوهات الحرب والسلام

دبلوماسية المسار الثاني من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية

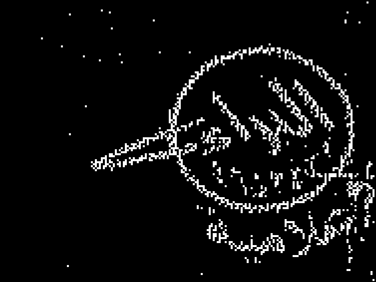
د. حسن محمد وجيه

أستاذ اللغويات والعلوم السياسية المشارك

تقديم

اللواء الدكتور / أنور ماجد عشقي
الرياض

اللواء / أحمد عبد الحليم
القاهرة





اهداءات ٢٠٠٢

د.حسن محمد وجيه
القاهرة

سيناريوهات الحرب والسلام

دبلوماسية المسار الثاني من منظور اللغويات الاجتماعية السياسية

د. حسن محمد وجيه حسن

خبير التفاوض والحوار الدولي

تقديم الرياض

اللواء الركن د.
أنور ماجد عشقي

تقديم القاهرة

اللواء الركن الدكتور
أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ح دار المعراج الدولية ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

وجيه ، حسن محمد
سيناريوهات الحرب والسلام دبلوماسية المسار الثاني من - الرياض.
٤٢٨ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم
ردمك : ٠ - ٧٤ - ٧٥١ - ٩٩٦٠
١. النزاع العربي - الاسرائيلي ٢. الشر الأوسط - الاحوال السياسية أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٥٦ ١٩/٢٩٥٣

رقم الايداع ١٩/٢٩٥٣
ردمك : ٠ - ٧٤ - ٧٥١ - ٩٩٦٠

دار المعراج الدولية للنشر

ص.ب ٨٥٨ الرياض ١١٤٢١
هاتف : ٤٠٨٠٨٠٤ - ٤٠٣٦٢٢٧٨
فاكس : ٤٠٨٠٧٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــــداء

إلى صانع القرار العربي . . . .

إلى المفاوض العربي . . . .

إلى كل من يعمل على تحقيق التضامن العربي الإسلامي

إلى أمة تبنى الأخاء وترد كيد المعتدين

محتويات الكتاب

تقـديـم

تقديم من الرياض

توشك صفحات القرن العشرين أن تُطوى، ومع طي سجّلات القرن، يطالعنا الدكتور حسن وجيه بدراسته القيمة تحت عنوان (سيناريوهات الحرب والسلام).

وهذه الدراسة، يتفاعل فيها الباحث مع أكثر المفاهيم أهمية على الساحتين العربية والدولية، فهي تُثرى صانع القرار برؤية جديدة لمفهوم الحرب والسلام، وسبل إدارة الصراع، بدلا من الإدارة بالصراع.. وتقدم الدراسة للمثقف العربي، نمطاً جديداً من الفهم والتفاهم، ترفعه إلى مزيد من الفكر الحضاري، فيسمو على بعض المفاهيم والتصورات، التي أفقدته الكثير من المكاسب السياسية والحضارية.

والباحث ينقل فكراً جديداً، لم يتبلور بعد ولم تستكمل صورته في الفكر العربي، فيقدمه إلى أمته

تقديـم من القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين أما بعد،

فلقد كان اختيار الدكتور حسن وجيه لموضوع كتابه: سيناريوهات الحرب والسلام من منظور اللغويات السياسية، تعبيراً عن أمرين. الأمر الأول، هو حداثة وأهمية الموضوع، وأهمية التعرف عليه بكل مكوناته في هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها الوطن العربي،خاصة ونحن ندخل إلى مرحلة جديدة من تاريخ الشرق الأوسط من المحتمل أن يقابل خلالها العرب العديد من الأحداث. والأمر الثاني،هو إدراك الباحث لحقيقة كون الموضوع حقل بحثي مازال يخضع للدراسة والتجريب، مع بروز العديد من المجالات العلمية الجديدة التي تساعد على عملية بناء صياغة السيناريوهات المختلفة بالكفاءة المطلوبة، من أجل التدخل الإيجابي والممكن في صياغة

متكيفاً مع واقعها البيئي، وجذورها الفكرية، وأسسها الدينية.

والدكتور حسن وجيه، يشرع الأبواب أمام صُنَّاع القرار، ليسلكوا طريقاً دبلوماسياً هادئاً وفعالاً، لايخضع للقيود الرسمية تُحترم فيه مصلحة الغير مع المحافظة على مصالحنا.

والدكتور حسن يُبشِّرُ باستراتيجية جديدة، هي دبلوماسية المسار الثاني، وتعني (التواصل الذي يتسم بالودية ويتخذ طريقه خارج القنوات الرسمية، فيرفض فرضيات القوة، ويراعي مصالح كافة الأطراف المتنازعة).

ودبلوماسية المسار الثاني: عملية لها القدرة على احتواء الصراع، من خلال بيانات تسامية، تتأتى عن طريق الخطابات (SPEECHES) والندوات (SYMPOSIA) والمقابلات الإعلامية(MEDIA INTERVEWES) أحداث المستقبل بشكل فاعل وهو الأمر الذي يسهم في ترشيد القرارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، واستخدام كافة الأساليب والوسائل المتاحة على أساس من التحليل العلمي السليم.

ولما كان العرب مستهدفين دائماً للتهديدات والتحديات التي تمس غاياتهم وأهدافهم ومصالحهم الحيوية وأمنهم القومي، تلك التهديدات التي تمثلت في العديد من الأزمات، كان من الضروري الاستعداد لمثل هذه التهديدات والتحديات والمخاطر بشكل علمي يتضمن تحقيق هذه الغايات والأهداف والمصالح، بشكل يؤكد على قدرة الأمة العربية، وكل بلدانها، على الحفاظ على مصالحها القومية، ويوفر الظروف الملائمة لحماية الأمن القومي العربي، خاصة في هذا العالم سريع التغيير، الذي تتشابك فيه العلاقات والمعلومات بشكل غير

والمناظرات(DEALATES) وأيضاً من خلال تسجيل الأراء، وكتب السيرة الذاتية، ومقالات الرأي الافتتاحية في الصحف، والإعلانات ذات الصبغة السياسية.

إنّ هذه الممارسات، تتصف بأنّها وسائل يمكن بواسطتها تحديد استراتيجيات وتكتيكات، تهئ الأجواء للتفاوض، فهي بمثابة قنوات، يستخدمها القائمون على إدارة الصّراع.

فإذا كانت المفاوضات السياسية عبارة عن حوار رسمي، بين الأطراف المتنازعة، فإنّ دبلوماسية المسار الثاني، ماهي إلاّ حوار بين الأطراف المتصارعة، للتقريب بين وجهات النظر، من خلال توطين ذهنيّة معينة لدى الأطراف الأخرى، بعيداً عن الحساسيات الرسمية.

إنّ دبلوماسية المسار الثاني، تعتبر في حد ذاتها تحولاً فكرياً في العلاقة مسبوق.

إن إعداد السيناريوهات المستقبلية بصفة عامة في كافة مجالات الحياة المختلفة وللحرب والسلام بوجه خاص ليعتبر من أمور شحذ الذهن وتدريبه على أساس من القواعد العلمية المنضبطة التي ينبغي اتباعها في اتخاذ القرارات الصائبة بحيث يمكننا تجنب اتخاذ قرارات مصيرية في ظل ظروف مفاجئة غير عادية تتسم بالتوتر وتهديد المصالح القومية. ومن ثم، فإن التصدي لمثل هذه القضية بالبحث، يتطلب الإلمام بتقنيات التفاعل من مناظير عدة ومن أهمها مناظير العلوم الحديثة ومنها علم اللغويات الاجتماعية والسياسية التي يتخصص فيها كاتب الدراسة وله اسهامات عديدة معروفة في هذا الإطار.

وهنا يرصد الكاتب مفهوم «دبلوماسية المسار الثاني»

بين الأمم وتهذيباً وتحقيقاً للأهداف، من خلال السلام الحقيقي، فهي استراتيجية القرن القادم.

فإذا كانت استراتيجية (كلا زوفيز) هي استراتيجية القرن التاسع عشر، واستراتيجية (ليدل هارت) و (اندريه يوفر) هي استراتيجية القرن العشرين، فإن استراتيجية السلام من خلال دبلوماسية المسار الثاني هي استراتيجية القرن القادم.

والدكتور حسن وجيه كثَّف اهتمامه حول دبلوماسية المسار الثاني على الجانب اللغوي، خاصة في المقابلات، والمفاوضات، ولغة الحوار، إلاّ أنه لم يبخل على القارئ بالقاء الضوء على المعنى الاستراتيجي، فتكلم عن سيناريوهات الحرب والسلام، وبينهما في ميدان الصراع العربي الإسرائيلي وحرب الخليج.

فإذا كان السيناريو، هو المخطط المسرحي لنص القصة المعدة للإخراج، ومجموعة المفاهيم المتعلقة به كالتفاوض وأنواعه وعملية بناء السيناريوهات(SCENARIO-BUILDING) وصياغتها وأنواعها والمستقبلات البديلة «ALTERNATI SCENARIOS» بالتحليل الدقيق. وتعتبر دبلوماسية المسار الثاني إحدى الأدوات الهامة المستخدمة في ا لوقت الراهن، خاصة في حل القضايا العربية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، وبشكل أخص بعد توقف «دبلوماسية المسار الأول» الرسمية في قضية التسوية السلمية بين العرب وإسرائيل نتيجة لظروف متعددة. ولقد كان لي حظ الاشتراك في - دبلوماسية المسار الثاني- خاصة من الناحية الاجرائية، والتي لمست من خلالها عدة فوائد لها. فهي أولاً. تمهد الطريق لدبلوماسية المسار الأول وتزيل من أمامها العديد من العوائق والعقبات. وهي ثانياً، تضمن استمرار التفاوض، والتعامل،

ويشتمل على وصف للشخوص وتفاصيل خاصة بالمشاهد، ومتضمناً الحوار والإرشادات المختلفة، فإننا نجد على الدوام أن السيناريو يرسم مخارج بديلة، لموقف ما قد يحدث مستقبلاً.

والسيناريو السليم، يقتضي وصفاً دقيقاً لمخارج مقترحة حول مواقف قد تحدث مستقبلا بهذا نجد، أن من الواجب القيام بعرض النتائج المحتملة و المتعددة، التي يمكن أن تحدث نتيجة لأفعال محدودة.

وبهذا يصبح السيناريو، أداةً حديثةً للتخطيط الاستراتيجي، ويجب علينا أن نحدد (ماينبغي عمله، لتأمين النتائج التي نريد تحقيقها.

والدكتور حسن يدعونا في بحثه هذا. إلى إعداد السيناريوهات المستقبلة للحرب والسلام، لأن ذلك من شأنه أن يجنبنا المفاجآت القاتلة.

والسيناريوهات، هي البديل في القضايا الهامة حينما تتطلب الأمور التوقف المؤقت عن استمرار دبلوماسية المسار الأول. وهي ثالثاً، إحدى الأدوات الفعالة، في حد ذاتها، لتحقيق بعض الحلول لبعض القضايا مما يخفف العبء عن كاهل مفاوضي المسار الأول. وغير ذلك من فوائد أخرى.

والمهم في كل ما سبق، سواء مايخص دبلوماسية المسار الأول أو الثاني، أن يرسى كل ذلك على أسس واقعية مقبولة تناسب الواقع. فكل عصر يحمل معه إلى العالم قسماته الخاصة ويحدث ذلك على الرغم من بقاء بعض القسمات المشتركة بين العصور تأكيداً لعدم انفصام حلقات مسلسل التطور التاريخي للجنس البشري، وهو ماأكدته حكمة الفيلسوف الإغريقي «ثيوديدس» بقوله «أن الحاضر وإن كان من المستحيل أن يكون صورة طبق الأصل

الأمثل للخرائط الذهنية الساذجة، التي اعتادت عليها فئات من أمتنا في هذا العصر، ودرجت على التعامل بها في إطار المتغيرات، والعمل على إحداث مواقف معينة في المستقبل.

فالسيناريو يحررنا من الافتراضات السابقة، ويأخذ بنا إلى الوقائع المستقبلة، لهذا يرى الدكتور حسن، أن صياغة السيناريوهات المستقبلة، تتطلب قدرات وكفاءات في مجالات مختلفة، على مستوى مميز، تكون لأصحابه القدرة على فهم الحاضر ومايحدث فيه.. وكفاءة تحليلية استراتيجية، تمكنهم من رصد سمات وخواص الحدث، تؤهلهم للتنبؤ بالمستقبل ومايجب أن يكون عليه.

وأن تكون لدى اللاعبين إمكانات ذهنية لتحديد مجالات الغموض والقيود التي تكشف القضية التي يدور حولها الصراع مع اقتراح المخارج من الماضي إلاّ أنه شديد الشبه به، وكذلك المستقبل فإنه وإن تعذر أن يشبه الحاضر إلى حد التطابق إلاّ أنه وليده يحمل جل قسماته». والصياغة السليمة لمعيار التفسير السابق للتطورات اللاحقة تتوقف إلى حد بعيد على تقدير النسبة الصحيحة بين تأثير الاستمرارية وحجم التغيير، ودون ذلك تصبح عملية التفكير في المستقبل، وبالتالي عملية بناء السيناريوهات، ليست ذات موضوع وتؤدي إلى الفشل.

ويطرح الدكتور حسن وجيه في كتابه الذي بين أيدينا، بشكل مباشر وضمني، كل هذه المعاني السالف ذكرها، كما يتعامل بحنكة وكفاءة مع قضية تصحيح النسبة بين تأثير عوامل الاستمرارية والتغيير، وهو مايعطي أهمية لكتابه هذا، ونحن نشهد إنقضاء عصر ونتطلع لميلاد عصر جديد. إن الاهتمام بقضايا العلاقة بين

الممكنة، عند تأزم المواقف المستقبلية متخذين لذلك أنسب الحلول للقضية موضع النزاع في سبيل الوصول إلى الحل الأمثل.

إن الحل الأمثل في دبلوماسية المسار الثاني، لابد أن يأخذ الشكل الحضاري في حوار الإرادات، وذلك باستخدام هذه الدبلوماسية، ليس بديلاً لسياسات القوة POWER (POLITICS) فحسب، بل أيضاً العمل على احترام مصلحة الطرف الآخر من خلال تحقيق الكسب للجميع (WIN - WIN GAME).

فإذا كانت سياسة القوة، تورث الخسارة للجميع، فإن دبلوماسية المسار الثاني، يجب أن تحقق الكسب للجميع، وهو ماقام به النبي ﷺ، من تهيئة الأجواء لصلح الحديبية، إذ كانت النتيجة أن الكسب كان للجميع، لكن الأقدر على الحوار، وتحديد الثوابت، الإدراك الاستراتيجي الثابت والمتغير في قضايا التنبؤ السياسي، والتي تختص بالصياغة السليمة لمعيار التطورات السياسية التي تتوقف إلى حد كبير على تقدير النسبة الصحيحة بين تأثير الاستمرارية وحجم التغير، يمكّننا من تطوير المعايير المستخدمة في عملية التنبؤ السياسي على نحو يوفر لتوقعاتنا السياسية في المستقبل قدراً أكبر من المصداقية وفرصاً أكثر للتحقق، ويمكّننا الحد مستقبلاً -وبقدر الإمكان- من تأثير عامل المفاجأة، وعدم التركيز فقط على مجرد رصد لعدد من الاحتمالات كلها قابلة للحدوث، وإنما المفاضلة بين الإحتمالات والسيناريوهات والخروج من بينها جميعاً بأكثر هذه الاحتمالات والسيناريوهات قابلية للتحقيق والتعامل معها من أجل تحقيقها إذا كانت في مصلحتنا الاستراتيجية أو احتوائها إذا كان الأمر

للأمور، هو الذي ينال النصيب الأوفر من المفاوضات.

إن الدكتور حسن وجيه في كتابه هذا، يبشر بنظام عالمي جديد، سبق أن خلع على نفسه لباس المدنية، وأن الأوان أن يتخلى عن روح التخلُّف، واستخدام القوة، وخوض الحروب.

لهذا نجد الباحث، لايقف عند عرض الحلول بعد تشخيص المشكلة، بل يضع المبادئ والأسس، ويرسم الخطوات لتحقيق ذلك.

لقد تمت بذور الفكرة في الغرب، لكن الدكتور حسن، صاغها في بيئة عربية، وجذَّرها تراثياً، وثبَّتها على أسس دينية، وقدَّمها للأمة العربية والإسلامية واضحة صريحة.

فهو نوع من توطين الفكرة، وتأصيل الأسس والمرتكزات. وتعريب المفاهيم.

إنَّ دبلوماسية المسار الثاني، لاتعني أن عهد الصراع المسلح قد عكس ذلك. ومعيار هذه المفاضلة هو الفهم الصحيح الواعي للأحداث الحاضرة والمستقبلية وللسياق التاريخي بكافة أبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية، وهو الأمر الذي يجعل أحد هذه الاحتمالات أكثر قابلية للحدوث من كل الاحتمالات الأخرى، وهو ما استرشد به الباحث خلال تحليلاته. والتحدي الحقيقي للقائد السياسي هو الخروج بالتفسير الصحيح للحدث واحتمالات تطوره، وفهمه أي من هذه التفسيرات أكثر ملاءمة مع ظروف عصره. وصفوة القول، أن هناك أطاراً جديداً يجب وضعه في الاعتبار لتفسير الأحداث المستجدة واحتمالات تطورها على ضوئه، وصولاً لتقييم جديد لقضايا التنبؤ السياسي وصياغة السيناريوهات المحتملة.

إنه وفي هذه الأطر، تأتي دراسة

ولي، ووسائل الضغط المختلفة لن تحدث، فالطبيعة البشرية لايمكن إغفالها، لكن قنوات الاتصال يجب أن تكون مفتوحة، وتجسير العلاقات لابد أن يتحقق،والنوايا الحسنة لابد أن تظهر، و مصالح الغير لابد أن تُحترم، حتى تكون هذه الدبلوماسية بديلاً للصراع، وتدفع الأطراف إلى مسارات وديّة، وإغراءات مجزية، تنم عن صدق النوايا وحسن المقاصد، من خلال الوسائل التي تعمل على ترسيخ المفاهيم، ومنها الكتب بأنواعها، والبرامج التلفازية بأشكالها، المسلسلات والمقابلات الإعلامية بطرقها، والمقالات الصحفية، والأخبار الهامة، والمؤتمرات الخاصة، والتحالف والجمعيات الأهلية، ومن خلال أفلام الفيديو والكمبيوتر، والإنترنيت، حتى تفرض قناعات لدى الطرف الآخر.

إنّ المناهج الفكرية لاتتحقق من الدكتور حسن وجيه، لتضيف حلقة جديدة لأبعاد الدراسات المستقبلية. ولايتم ذلك في إطار نظري فقط، ولكن أيضاً من خلال تفاعلات وأحداث تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، وتفاعلات وأحداث أخرى في الخليج العربي.وقد تناول الباحث في الجزء الأول من كتابه منظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية وحالة سيناريوهات الحرب والسلام في إطار الصراع العربي الإسرائيلي، حيث قام بشرح وتحليل واف لمفهوم دبلوماسية المسار الثاني، وأهم ملامح وسمات المراحل الرئيسية لدبلوماسية هذا المسار، ثم تصور أربعة سيناريوهات للصراع العربي الإسرائيلي. وتناول في الجزء الثاني سيناريوهات الحرب والسلام في الخليج العربي من أزمة ١٩٩٠ إلى أزمة ١٩٩٨ وما بعدها. وقام الباحث بكل

خلال القرارات الرئاسية، ولا المراسيم الملكية، بل تتأتى من خلال التخصيب الفكري، الذي يقوم به الدكتور حسن وجيه وغيره من الذين عايشوا الآم الأمة، فالتمسوا الطرق، وسلكوا السبل بحثاً عن الأفضل.

اللواء الركن

الدكتور

أنور ماجد عشقي

المستشار باللجنة الخاصة بمجلس الوزراء والمفكر الاستراتيجي

ذلك باقتدار وكفاءة منقطعة النظير، ليست غريبة عليه لكل من يعرفه أو تتلمذ على يديه أو يقرأ له.

لقد أعطاني الدكتور حسن وجيه شرف كتابة هذا التقديم، وهأنذا أقوم بذلك بكل الحب، والتمنيات الطيبة لأحد الشباب النابه لهذه الأمة العريقة، وأتمنى له مزيد من التوفيق لتقديم خدماته العلمية لأهل وطنه وأمته. وقد جاء عن نبينا المصطفى ﷺ قوله: «خيركم من تعلم العلم وعلمه». وأتمنى من كل قلبي أن ينطبق ذلك على الدكتور حسن وجيه، فهو بالفعل من خير ماعرفت

اللواء دكتور/ أحمد عبدالحليم

المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط. القاهرة

الفصل الأول : مقدمة المؤلف

سينار يوهات الحرب والسلام:

دراسة تحليلة من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فلقد تفاعلت مع الكثير من مفاهيم هذه الدراسة من زوايا متعددة بعد أن قمت بجمع البيانات ورصد التفاعلات الكثيرة التي تموج بها كل من الساحتين العربية والدولية وأجد أن الوقت قد حان لتدوين واستكمال الرؤية العلمية التي أود أن أضعها في هذه الدراسة لتكون أمام صانع القرار العربي والمفاوض العربي وكذلك القاريء العربي المهتم ولقد شاءت الأقدار أن أضع هذه الدراسة هنا في الرياض ولهذا دلالته الخاصة عندي، فالرياض في مخيلة المفكر الاستراتيجي الموضوعي تنتصف ذلك المثلث، الحيوي الذي تشكله أهم عواصم العالم العربي الإسلامي وهي القاهرة - الرياض - دمشق . فهذه العواصم العربية الثلاثة على وجه الخصوص كانت دائماً ولاتزال محور الارتكاز الرئيس لحركة الأمة العربية الإسلامية في أكثر اللحظات صعوبة فهي أساس تدعيم سُبل التضامن بين دول وشعوب هذه الأمة .

إن موضوع هذه الدراسة بعنوان " سيناريوهات الحرب والسلام " لايعني فقط بتقديم مجرد سيناريوهات محتملة في هذا الاتجاه أو ذاك بقدر ما تركز على قضية وسبل تدعيم التضامن العربي الإسلامي في مواجهة التحديات الهائلة التي نواجهها على أصعدة عديدة. فهي تركز على بعد أو سبيل مهم جداً ومفتقد من حيث المعالجة والتحليل والتوظيف وهو البعد التقني للتضامن العربي الإسلامي وهو ماستتضح معالمه ومتطلباته من خلال هذه الدراسة. ولقد كرس الباحث دراسات عديدة وعشرات المقالات في الصحف العربية لتوضيح عناصر هذا البعد المفتقد في ضوء تفاعلات الواقع العربي وممارساته. [1] وتأتي هذه الدراسة لتضيف حلقة أخرى من حلقات مشروعي العلمي إذ أنها تُضيف البُعد المستقبلي العلمي لأبعاد التحليل المقدمة في هذه الدراسة وكذلك لدارساتي السابقة.

من هنا فهذا الكتاب يقدم للقاريء العربي دراسة في لغويات دبلوماسية المسار الثاني أو ما اسميه - LINGUISTICS OF TRACK 2 DIPLOMACY- وكيف نقرأ من خلالها سيناريوهات الحرب والسلام

---

(١) لعل من أهم هذه الدراسات مايلي: **أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطني العربي** - دار سعاد الصباح ١٩٩٢ - **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي** - عالم المعرفة - الكتاب ١٩٠ لسنة ١٩٩٤ - الكويت - التفاوض وادارة المقابلات - العبيكان - الرياض ١٩٩٧.

في اطار الصراعات التي تعنينا وهي في حالتنا مايتعلق أساساً بالصراع العربي الإسرائيلي أو بالصراعات في منطقة الخليج العربي والأهم هنا ليست القراءة من أجل التعرف على مثل هذه السيناريوهات بل القراءة من أجل التدخل الإيجابي وتجسيد مفهوم استباق الازمات المستقبلية وتوجيه دفة الأمور لصالح أهدافنا المشروعة في السلام العادل وفي التنمية وتحقيق الاستقرار . .

وهذه الدراسة تعنى بتعريف مفهوم " دبلوماسية المسار الثاني " والتي تدار من خلالها أكثر التفاعلات والصراعات في عالم اليوم . .

ونلقي الضوء هنا على أنواع هذه الدبلوماسية وأنواع المباريات التفاوضية التي تدار في اطارها وعلاقتها بالفكر المستقبلي ومفهوم السيناريو ووسائط هذه الدبلوماسية .

ولانتحدث هنا عن مفاهيم نظرية فقط ولكن نوضح ونجسد هذه المفاهيم من خلال تفاعلات وأحداث تتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي في الجزء الأول مع رصدها في إطار أربعة سيناريوهات لهذا الصراع ونوضح في الجزء الثاني مايتعلق بصراعات الخليج العربي السابقة والمستقبلية من أجل التدخل الإيجابي وتحقيق الاستباق وليس ادارة الأزمة فقط عند ماتحدث . . . ولعل اختيار موضوع السيناريوهات يؤكد على الارتباط الوثيق بين ما يحدث على صعيد الخليج العربي ومجريات الصراع العربي الإسرائيلي حيث لايمكن

الفصل بينهما كما يردد ذلك البعض في الدوائر الغربية.

وإذا كانت هناك نقطة هامة تضاف في نهاية هذه المقدمة الموجزة فهي بخصوص مايعبر عن امتناني الشديد لكل من شجعوني بخصوص موضوع هذه الدراسة ولقد كانت البداية في القاهرة وهنا أود أن أخص بالشكر والامتنان العميق الأخ الأكبر اللواء الدكتور أحمد عبدالحليم خبير الاستراتيجية المصري والعربي المعروف؛ وإذا كانت القاهرة هي الامتداد الطبيعي للرياض والعكس، فلابد أن أتوجه بالشكر إلى فضيلة الدكتور محمد الربيع ليس بصفته فقط كوكيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العريقة بل أيضاً بصفته الشخصية كمفكر وأستاذ يشجع كل من يجد عنده حماسة البحث وطلب العلم في الجامعة وخارجها. وكذلك أشكر الأستاذ الفاضل د. محمد الأحيدب عميد معهد تعليم العربية بالجامعة لرعايته ومودته لكل من تشرف بالعمل معه..

وأود أن أشكر هنا الصديق والأخ الأكبر اللواء الركن الدكتور أنور عشقي وكل الأصدقاء بهذا المنتدي الثقافي المتميز والذي يضم صفوة من الشخصيات الهامة من الأمراء والسفراء والمفكرين وأساتذة الجامعات؛ والذين كان للحوار الأسبوعي معهم في الرياض أكبر الأثر الطيب.

إنني لأرى من خلال هذا المنتدي الثقافي المتميز والذي يديره

ببراعة وتفاني وشغف بالثقافة والتثاقف د. عشقي صورة مصغرة للأسرة العربية الإسلامية الواحدة كما ينبغي وأن تكون . . وأرى أن هذا المفكر العربي يجسد روح أمة تبنى الإخاء وترد كيد المعتدين.

كذلك أود أن أشكر الأساتذة الأفاضل القائمين على إدارة المعهد الدبلوماسي بوزارة الخارجية بالمملكة العربية السعودية الذين أتاحوا لي الفرصة كي أتفاعل معهم في وطني الثاني هنا ومع نخبة من الخبراء الدوليين بخصوص مفهوم "دبلوماسية المسار الثاني" والمفاهيم المتعلقة به وذلك من خلال بحثي بعنوان "نحو هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني: معطيات واستنتاجات تقنية لتدريب الدبلوماسي والاعلامي" وذلك في إطار ندوة الاتجاهات الحديثة و التدريب والدبلوماسي التي عُقدت في ٢٦ / ١٢ / ١٤١٧، ٣/ ٥/ ١٩٩٧ تحت رعاية صاحب السمو الملكي سعود الفيصل وزير الخارجية بالمملكة العربية السعودية.

في النهاية أود القول بأنني أشعر بامتداد هذه الدراسة من قاهرة المعز لدين الله التي هي في خاطري وفي دمي دائماً وأبداً إلى الرياض عاصمة ذلك البلد الطيب الذي ينتصف ذلك المثلث الاستراتيجي (القاهرة - الرياض - دمشق) وهو لاينتصف هنا من المنظور الجيوبوليتيكي ولكن أيضاً من منظور البُعد التاريخي الذي يؤكد على ثوابت تاريخية اضطلعت المملكة العربية السعودية بها من أجل

ترسيخ أسس التضامن العربي الإسلامي منذ عهد الملك عبدالعزيز مروراً بالملك فيصل رحمهما الله إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله ووفقه ووفق كل قادة العرب والمسلمين إلى مايحبه ويرضاه، والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق وآخر ما أقوله هو "اللهم اجعل من هذا علم ينتفع به".

د. حسن محمد وجيه حسن

أستاذ اللغويات والعلوم السياسية المشارك

جامعة الأزهر - جامعة الإمام

الرياض ١/١٢/١٤١٨هـ

٢٩/٣/١٩٩٨م

الجزء الأول

سينار يوهات
الصراع العربي الإسرائيلي:

منظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني من منظور اللغويات السياسية

الفصل الثاني

حول مفهوم دبلوماسية المسار الثاني ومنظومة المفا هيم المتعلقة به

أسئلة الجزء الأول من الدراسة :

يهدف هذا الجزء إلى الإجابة عن سؤالين مركزيين هما :

(١) ما المقصود بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني (TRACK 2 DIPLOMACY)) من منظور اللغويات السياسية POLITICAL LINGUISTICS وما هي ملامح وسمات أهم المراحل الرئيسية لهذه الدبلوماسية منذ عملية السلام إلى الآن؟ . . . وكيف يفيدنا هذا في تقييم ماحدث ويحدث على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي الممتد وتصور سيناريوهات الحرب والسلام؟

(٢) ماهي أهم الاستنتاجات المستمدة من تحليل التفاعلات الرئيسية الخاصة بممارسات دبلوماسية المسار الثاني والتوصيات المقدمة لصانع القرار بشأن إدارة عملية التفاوض على المسارين الأول والثاني؟

ماذا عن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني ؟

بداية طرح المفهوم:

إن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني TRACK 2 DIPLOMACY لمن

المفاهيم التي كانت ولاتزال من الممارسات في مجال الدبلوماسية بشكل أو بآخر، إلاّ أن هذا المفهوم قد حظى بشيء من التنظير حديثاً في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية حين بدأ هذا الجهد الدبلوماسي الأمريكي السفير جوزيف مونتقى JOSEPH MONTVILLE حين عرّف دبلوماسية المسار الثاني بأنها :

" تفاعل غير رسمي يتسم بقدر من الودية بين جماعات لها أجندات وتوجهات متنازعة ومتضادة أو أم بهدف تنمية وتطوير استراتيجيات معينة في صراع معين لاحداث تأثير معين على الرأي العام وأن من شأن هذه الاستراتيجيات أن تساهم في حل الصراعات . . . " (١).

ولقد قدم جون بيرتون (JOHN BURTON) تفسيراً آخر لمفهوم دبلوماسية المسار الثاني حين أفاد بأن :

" دبلوماسية المسار الثاني لابد وأن تُفسر على أنها بديل لسياسات القوة (POWER POLITICS) فهو يرفض الافتراضات التي قدمها **مورجانثو** والتي تؤيد مفهوم سياسات القوة في العلاقات الدولية ويفترض أن تكون دبلوماسية المسار الثاني هي ذلك البديل الذي ينبنى على تحليل حاجات الأطراف والمجموعات المتصارعة ونظم قيمها ومصالحها . " (٢)

تطوير المفهوم من منظور اللغويات الإجتماعية والسياسية :

لقد تناول كاتب السطور بالتفصيل مفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور تمازجي بين العلاقات الدولية وعلم اللغويات في عدة سياقات وكان آخرها في بحث بعنوان " نحو هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني : معطيات واستنتاجات تقنية لتدريب الدبلوماسي والإعلامي " (٣) وإذا كان هذا السياق قد عنى بما ينبغي وأن نستفيد به من معطيات تقنية لتدريب الدبلوماسي والإعلامي من أجل رفع الأداء العربي على هذا المسار الهام والتنسيق بخصوصه، فإن هذا البحث يتعرض بإيجاز لما نعنيه بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني من أجل أن نصل لتصورات مبنية على هذا المفهوم بخصوص رصد سيناريوهات الحرب والسلام. . . وما أود أن أقدم له هنا وبإيجاز هو أن واقع مفهوم دبلوماسية المسار الثاني قد أكتسب خصائص متعددة في ظل الصراع العربي الإسرائيلي وأصبح من الممكن وأن نربط بينه وبين عدة مفاهيم محورية يوضحها الجدول التالي :

الجدول رقم (١) " منظومة المفاهيم النظرية المتعلقة بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني (٤)

مسميات/ مستويات مفهوم دبلوماسية المسار الثاني	نوع المباراة	نوع التفاوض	نوع السيناريو	اللاعب	الوسائل
من الممكن وأن نرصد عدة مسميات بل و مستويات تندرج في إطار ممارسة دبلوماسية المسار الثاني ومنها المسميات التالية : (١) ماسمي بالدبلوماسية الشعبية PUBLIC DIPLOMACY (٢) دبلوماسية الدعاية PROPAGANDA DIPLOMACY (٣) الدبلوماسية الوقائية PREVENTIVE DIPLOMACY (٤) دبلوماسية الأعلام MEDIA DIPLOMACY (٥) الدبلوماسية غير الرسمية SHORT SLEEVE DIPLOMADY (٦) دبلوماسية البارجة GUNBOAT DIPLOMACY (حين تستخدم المناورات والتحركات العسكرية لتشكيل ذهنية طرف مانحو هدف ما.	- مباراة غير صفرية (WIN - WIN) - مباراة صفرية (ZERO- SIUM GAME) - مباراة تحالف ALLIANCE GAME - مباراة تنازع ADVERSARY GAME - مباراة القائد LEADA GAME (بخصوص تفصيلات عن هذه المباراة راجع المرجع رقم (٩) بالهوامش	- تفاوض الاستكشاف - تفاوض الابتكار - تفاوض التطبيع - تفاوض اعادة الهيكلة - تفاوض التأثيرات الجانبية (بخصوص تفصيلات عن أنواع التفاوض الرئيسية وغيرها راجع المرجع رقم (٩) بالهوامش	- سيناريو قصير المدى - سيناريو بعيد المدى - معياري أو استبهدافي NORAMATIVE - استطلاعي EXPLORA- -TORY - حدس INTUITIVE مابين الاستطلاع أو الاستهداف (سيناريو الانساق الكلية) (FEEDBACK MODELS)	-الدبلوماسي -الإعلامي -الداعية -المثقف -مراكز البحث -الجمعيات الأهلية N G O إلخ	- الكتب -الصحف -البرامج التلفزيونية -المقابلات الإعلامية -وكالات وصياغة الأنباء -عقد المؤثرات -عقد الندوات -الأفلام الموجهة - نشرات الجمعيات ذات الاهتمام الخاص - الانترنت

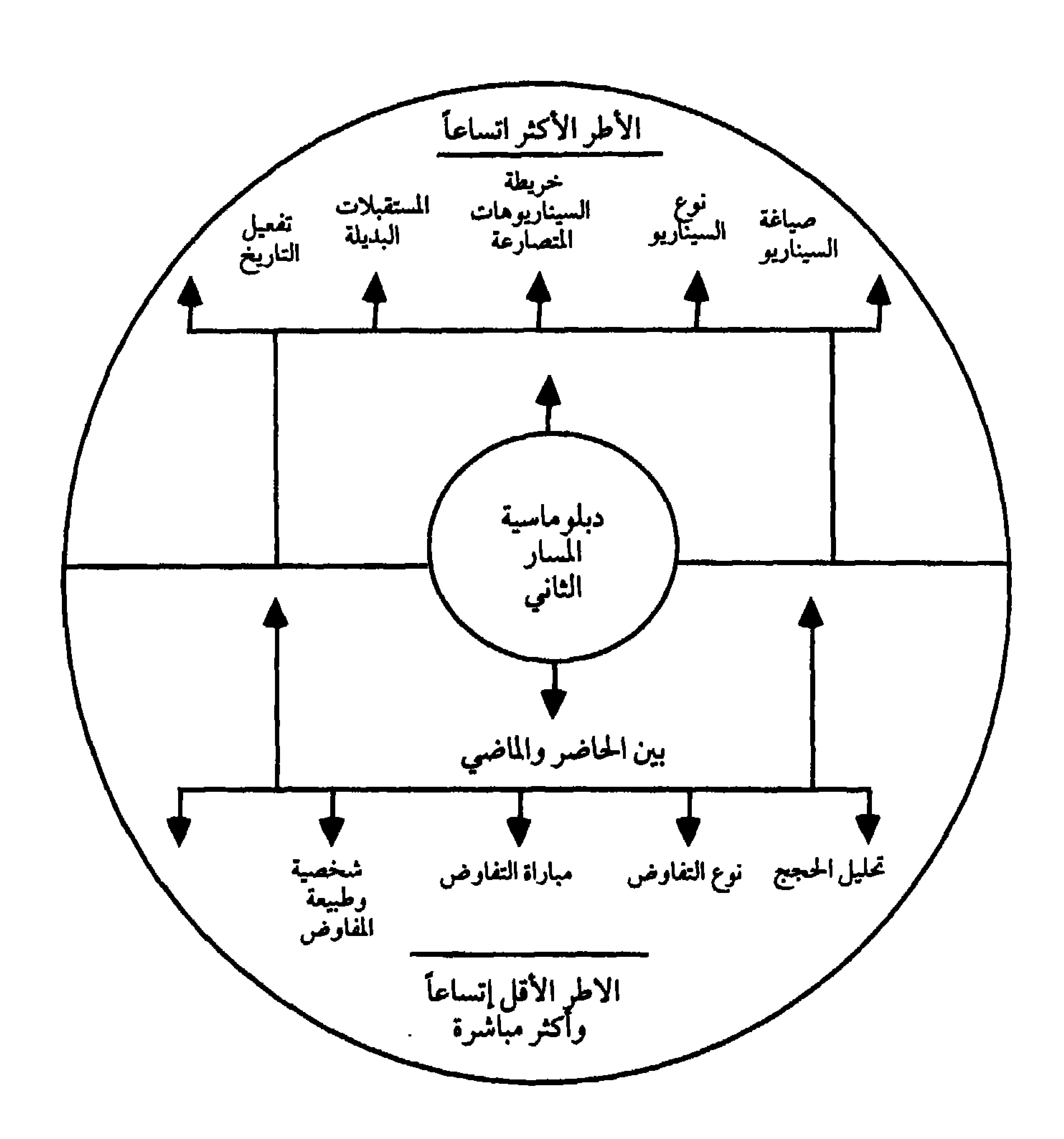
إذن - إذا ماحاولنا صياغة مجرة المفاهيم التي أوردنا في الجدول السابق لتقديم تعريف اجرائي لمنظومة مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني لقلنا إن هذا التعريف سيتم تقديمه بشكل متكامل في نهاية الدراسة بعد التعرض للأمثلة التوضيحة والتفصيلة المتعلقة بكل مفهوم من منظومة هذه الدبلوماسية ولكن بشكل أولى نقول بأنه مفهوم وإن أجمع المنظرون بخصوصه على أنه بديل لسياسات القوة، إلاّ أن واقع تحليل التفاعلات، خاصة في إطار الصراع العربي الإسرائيلي الممتد على وجه الخصوص يشير إلى أنه مفهوم له تنوعاته وإن كان المرجو من طرحه أن يكون بديلاً لسياسات القوة إلاّ أنه قد تمت ممارسته بشكل تصارعي حاد يقترب من مفهوم المباراة الصفرية ZERO- SUM GAME ويصاحب هذا المفهوم استخدام لأنواع التفاوض الرئيسية فقد يستخدم في حالة التفاوض الاستكشافي عندما يراد اختبار رد فعل الأطراف الأخرى من خلال الإعلام ووسائله وقد يوظف لجمع المعلومات - أي من خلال مفاوضات شكلية . . وقد يوظف في إطار - تفاوض إعادة NEGOTIATION FOR FOR REDISTRIBUTION عندما تتطلب الأمور إعادة تشكيل ذهنية الآخرين بشكل جذري - وتفاوض التأثيرات الجانبية SIDE EFFECTS - من أجل الإيماء بشيء معين في ذهنية الطرف الآخر بخصوص تحرك ما . . . كذلك فإن المفهوم يرتبط عضويا بمفهوم السيناريو فهو ما سنوضحه تفصيلاً على مدى الدراسة بخصوص اللاعب الذي يمارس دبلوماسية المسار الثاني، فقد

يكون الدبلوماسي صاحب العمل على المسار الأول في عمليات التفاوض وقد يكون الإعلامي أو المثقف وقد يكون مركز للأبحاث بل وقد يكون الداعية إذا كان مُدرباً . . . إما وسائط هذه الدبلوماسية فهي تتسع لتمثل الكتب والصحف والبرامج التلفزيونية والأفلام والمقابلات الإعلامية والمؤتمرات والندوات وشبكة الإنترنت أما المسميات التي تتشابه وتتقاطع مع المفهوم بشكل أو بآخر فهي ماسمى بالدبلوماسية الشعبية PUBLIC DIPLOMACY الدبلوماسية الوقائية PREVENTIVE DIPLOMACY ، دبلوماسية الإعلام MEDIA DIPLOMACY أو مايسمى الدبلوماسية غير الرسمية SHORT SLEEVE DIP. وكذلك ماسمي بدبلوماسية البارجة GUNBOAT DIPLOMCY كما في حالة القيام بمناورات وتحركات عسكرية أحادية أو تحالفية من أجل إرسال رسائل لخصوم وأطرف معينة . . .

في النهاية نوضح أن **مفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور علم اللغويات الإجتماعية والسياسية SOCIO -POLITICAL LINGUISTICS وهو المنظور الذي طرحه الكاتب ويطوره أيضاً من خلال هذه الدراسة – وهو مفهوم يمكننا من خلاله النظر إلى دراسة الآطر والمستوى الأكثر اتساعاً لعمليات التفاعل المركبة وهو ماسميه بالإنجليزية بـــ GLOBAL INTERACTIONAL LEVEL** وهذا يتم من منطلق دراسة التفاعلات على المستوى الأقل اتساعاً والدقيق

والمباشر والذي يمثل أساس الوصول لفهم أسس ومنطلقات على مستوى الخطاب DISCOURSE بدقة علمية وكذلك لفهم الخطابات المتصارعة بخصوص قضية أو موضوع ما وهذا المستوى اسميه بالإنجليزية بـ " LOCAL INTERACTIONAL EVEL " ويرتبط مفهوم دبلوماسية المسار الثاني هذا بمستويه الأكثر اتساعاً والأقل اتساعاً بالأمور المنضوية من خلالهما بمفاهيم وأنواع التفاوض NEGOTIATION TYPES ونوع المباراة التفاعلية INTER ACTIONAL GAMES - وكذلك بشخصية المفاوض : وإذا كانت الجهود السابقة لكاتب السطور قد حاولت تجسيد هذه المفاهيم على مستوى تحليل التفاعل الماضي والحاضر فإن هذه الدراسة ترصد البعد والمصطلحات المستقبلية التقنية خاصة فيما يتعلق بتحليل الخاصية TREND ANALYSIS . . . ومفهوم السيناريو . وصياغته ونوعه والشكل التالي يدرج أهم هذه المفاهيم و التي سيتم توضيحها تفصيلاً على مستوى الدراسة وأمثلتها الحية .

شكل رقم ١ : منظومة المفاهيم التقنية المرتبطة بمفهوم دبلوماسية المسار الثاني من منظور علم اللغويات الاجتماعية والسياسية



الفصل الثالث

أهم ملامح وسمات المراحل الرئيسية لدبلوماسية المسار الثاني منذ بدء عملية السلام: ورؤية من خلال تحليل الخاصية (TREND ANALYSIS)

إن تعرضنا بالتحليل لدبلوماسية المسار الثاني وأدواتها وقنواتها ومفاهيمها في إطار الصراع العربي الإسرائيلي بحاجة إلى دراسة أخرى تفصيلية ولكننا سوف نقدم هنا موجزاً يلقي الضوء على عناصر وأدوات هذه الدبلوماسية دون أن ندعي إلماماً بكل الأحداث والحالات. من هنا نقول بأن دبلوماسية المسار الثاني قد تم توظيفها وممارستها مع بداية عملية السلام واتسمت بأشكال وكثافات مختلفة في مجال الحركة والفعل طبقاً لسياق مراحل التفاوض الرسمي وما استلزمه الأمر على المستوى غير الرسمي أو شبه الرسمي على الجانبين العربي والإسرائيلي ولعلي أذكر هنا محطات أو مراحل هامة وذات دلالات خاصة في إطار توظيف هذه الدبلوماسية وهي كالآتي:

(١) " حالة " السادات - بيجين:

إذا كان هناك تحليلات كثيرة بخصوص خطوة ومبادرة السادات على المحيط العربي، إلاّ أن تحليل دبلوماسية المسار الثاني في هذه الفترة وما تلاها هو بحق بحاجة ماسة لدراسة أو دراسات موسعة . .

ولعلي أتذكر الأمثلة التالية التي توضح مستويات مختلفة لتوظيف هذه الدبلوماسية في اشكال متعددة شهدت مستويات مختلفة من التناول، فعلى صعيد إظهار الودية من أجل التحفيز، تم تصوير الرئيس الراحل أنور السادات في وسائل عديدة في الإعلام الأمريكي والإسرائيلي بصورة القائد المُبهر المحنك المنتصر للإنسانية والعابر بها إلى آفاق أخرى، ولكن نفس ذات الإعلام صور موقفه على أنه " معلق في الهواء كمن يعلق في عمود نور" ولن ينقذه إلاّ المضي فيما شرع فيه وتصوير أي رجوع عن هذا الخط بأنه هلاك له وسقوط . . . وحتى وإن كان قد أعلن عن سلام عربي شامل فلايمكن له أن يحصل إلاّ على سلام منفرد مع إسرائيل . . . ففي لقائه بمناحم بيجين في سيناء عام ١٩٨١ خرجت الطائرات الإسرائيلية لتضرب المفاعل النووي العراقي في نفس لحظة ذلك الاجتماع . . . وجاءت التغطية الإعلامية معبرة للغاية فصورة الاجتماع مع بيجين كان بجوارها صورة ضرب المفاعل العراقي وكأنه رسالة "دبلوماسية المسار الثاني الإعلامي" التي تقول وترسخ في ذهنية السادات وغيره . . . " إن عليك بسلام منفرد وإن ضرب المفاعل العراقي لاينبغي وأن يعني لك شيئاً . . . أي عليك بسلام منفرد وتخرج منه من حلقة الصراع العربي الإسرائيلي ! (كذلك كانت دبلوماسية المسار الثاني في غاية الكثافة في توضيح خطورة المفاعل العراقي الكبيرة في الإعلام الأمريكي قبل ضربه) .

- من ناحية أخرى إتسم الاعلام العربي وقطاع من الإعلام المصري بمناهضة أي صورة من صور التطبيع مع إسرائيل، بينما إتسم قطاع آخر من الإعلام المصري " بالتسويق الفعال " للسلام والتطبيع وإلى اليوم نجد مثلاً كاتباً مثل عبدالعظيم رمضان يصرح جهاراً نهاراً بأن من " يعارضون التطبيع متخلفون عقلياً" . . . لقد كان من أهم المقولات التي تغلق أي خيار آخروالتي تم ترديدها بشكل مكثف في تلك الآونة ولها صداها إلى اليوم هي مقولة " إن حرب أكتوبر/ رمضان هي آخر الحروب العربية الإسرائيلية" . . . لماذا لم نقل " إن حرب أكتوبر / رمضان هي بداية الطريق للسلام العادل. . " لأن المشكلة تكمن في الفهم الخاطيء للطرف الإسرائيلي وتقلل من ربحية وتوظيف تلك الحرب المجيدة التوظيف الأمثل . . . وهنا نقول نعم لقد كان من المهم في ذلك الحين أو بعده أن تتم طمأنة الإسرائيليين نظراً لما شاع عن مفهوم تخطي جدار الحاجز النفس " واعتبار معطيات إدارة مثل هذا الصراع الشائك والمعقد، إلاّ أن هناك وسائل وجمل وعبارات أخرى كان يمكن وأن تستخدم لتؤدي معنى الطمأنة والعقلانية ولكنها لاتغلق الاختيارات لنا ولنتركها للطرف الإسرائيلي . . . فهو الذي وبالفعل قام بغزو لبنان فيما بعد غير مكترث بترديد مقولة " "أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب" ولايزال قادته وجنرالاته تطالعنا بين الحين والآخر بأعنف وأوقح عبارات الحرب. . .

إن من ملامح مقولات دبلوماسية المسار الثاني على المستوى الإسرائيلي / الأمريكي في ذلك الوقت -وماتلاه- كان العمل على كبح أي معارضة لعملية السلام على الجانب غير الرسمي في مصر ومن ذلك مانرصده من مقولات كمقولة برنارد لويس في مقال نشرله في كتاب قديم صدر في عام ١٩٧٨ بعنوان " هل لايزال السلام ممكناً في الشرق الأوسط "؟ حين يتحدث عن البعد المصري فيقول بخصوص فترة حكم الرئيس السادات:

" إن القوى المعارضة لعملية السلام تمتلك موارد مالية هائلة وقد اكتسبت مهارة عظيمة في استعراضها، ولقد أظهرت حكومة مصر في فترة قريبة نسبيا وعيها للآثار المدمرة لمثل هذا النوع من السفاهة وقامت باتخاذ بعض الخطوات لكبح جماحها . . . . في حين إن مستوى من القذف والشتائم يعتبر امراً شائعاً في صحافة الشرق الأوسط، وفي مجالات السياسية، فإن الإسرائيليين تأزموا لذلك . . . فقد وجدوا أن من الأمور العسيرة أن يمنحوا ثقتهم لمحدثيهم الذين ينعتون رئيس وزرائهم باسم " شايلوك " ويتحدثون عن مراسم قدامي صهيون. . (٦)

تحريض ضد الديمقرطية

النقطة هنا أنه وفي الوقت الذي تدعى وسائل الإعلام الغربية وخاصة الأمريكية تأييدها للديمقراطية وحقوق الإنسان، فإن أي مد يعارض سياسة مثل سياسة وأسلوب الراحل أنور السادات فإن المقولة أعلاه تمثل تحريض صريح ضد الديمقراطية . . . ولقد كشفت الحملات الإعلامية ضد مصر في أمريكا في عام ٩٦، ٩٧ نفس ذات التوجه . . . ونعود لنقول أنه بالإضافة إلى أن لحظات تعثر التفاوض الرسمي بين السادات وبيجين كانت بسبب أن السادات قد تمت معاملته وعرقلة ماكان يصبو إلى تحقيقه من سلام رغم كبحه للمعارضين . . . إلاّ أنه قد أخذ "بذنب" المعارضين وهنا نرصد هذه المقولة الآخرى لبرنارد لويس حين يقول:

"وهناك تطور ثالث لم يتسبب فقط في الاحباط الذي أصاب إسرائيل، وإنما كانت له آثار خطيرة تجاه تشدد بيجين في موقفه، و هو الخط الذي وضعته القاهرة وترددت أصداءه في كل مكان والذي يمكن تلخيصه في العبارة التالية " لقد أعطيته كل شيء ولم يعطني شيئاً" ويبدو أن السادات قد تصور أن بذهابه القدس وتقديمه الاعتراف والقبول لإسرائيل . . يكون قد قدم تنازلاً كبيراً، وشعر بأنه لم يتلق شيئاً في مقابله . . (٧)

● إنه وفي حالات التعثر في التفاوض كما في تلك الحالات التي تصورها مقولات برناردلويس واحساس السادات أنه أعطى كل شيء ولم يحصل على شيء في تلك الفترة وإنه أوقف القتال وجعل حرب أكتوبر آخر الحروب طواعية من عنده وساهم كيسنجراسهاماً كبيراً في فك الاشتباكات وفك حصار القوات الإسرائيلية التي كانت في مأزق بالغ في غرب وشرق القناة وذلك باعتراف كيستجر الذي فك أسرها فعلاً . . وهنا يمكن لقائل أن يقول أن السادات ساهم وتعاون مع كيسنجر في أن يجعل موقفه موقف من يتفاوض وقد انتزعت من أمامه خيار أرض المعركة حيث كانت قوات إسرائيل المحاصرة في غرب القناة كفيلة بأن يتمكن السادات من التفاوض من موقع القوة وإملاء شروطه من هذا الوضع القوى، ولكن السادات قد وثق في كيسنجر أكثر مما ينبغي أوربما أنه قد اقتنع في ذلك الوقت بأن مزيد من حمامات الدم قد يغلق الباب تماماً ومن هنا شَرع في تنفيذ اتفاقيات فك الاشتباكات على جبهة القناة وكانت البداية لكي تتماطل إسرائيل وتتمنع وهنا قام **السادات بمبادرته في نوفمبر** ١٩٧٧ **تحت ماسماه بهجوم السلام: ولاشك أن هذه محطة تستوجب التأمل والدراسة من زاوية دبلوماسية المسار الثاني**. . . حيث أخبرني السفير أشرف غربال الذي يعتبر من أقرب المقربين للرئيس السادات (وذلك في سياق وجوده بجامعة جورجتاون كأستاذ في الدبلوماسية وكنت أحضر أحد الكورسات التي كان يقوم بتدريسها) أن السادات كان

يريد (بمقولة أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة في أيد أمريكا) أن يسحب ولو حتى ٢٠٪ من تأييد أمريكا المطلق لإسرائيل لصالح القضية العربية، وإن نحاول ممارسة التأثير الإيجابي على القائمين على صناعة القرار الأمريكي. . . **بل كان سؤال السادات لغربال هو : كيف ندخل بصورة مختلفة لعقل وبيت كل أمريكي؟** وكان السادات يقول للسفير غربال إذا وصلت إلى قناعات بخصوص هذه الأمور . . . خذ الطائرة وعد إلى القاهرة وناقشني وأخبرني. . . " ويضيف السفير غربال. . . وفعلاً كان يحدث هذا وكان الوقت يطول جداً و يشعل غليونه ويقول لي أكمل وكله انصات واهتمام في كل مرة . . . ويبدو أن المبادرة كانت تلح على تفكيرة وربما رأى أن من بين ماقد تتيحه لنا هو. . . الانطلاق في إعادة تشكيل ذهنية صُناع القرار الأمريكي وكل الطوائف المؤثرة هناك . . . " بل في إعادة تشكيل ذهنية الإسرائيلين وكشف الزيف الذي يلحقونه بالعرب أمام العالم.

ولكن كان للسادات رؤيته في محاولة تشكيل ذهنية المواطن الأمريكي ولكن كانت الدعاية الصهيونية لها رؤيتها المخالفة وإجراءات تنفيذية في مجال الاعلام ووسائله المختلفة . . . فبعد أن ظهر السادات بشكل إيجابي رأينا محاولات التشوية الخبيثة من خلال ذلك - الفيلم على سبيل المثال فقط- الذي كان بعنوان " السادات " والذي أذيع في دور العرض السينمائي وقنوات التلفزيون الأمريكي

معاً . . . والذي صور السادات بالباحث عن السلام بعد أن بكى لموت أخيه عاطف السادات في الضربة الجوية الأولى . . ولاأنس أن الفيلم قد زيف معظم الأحداث تاريخياً وزمنياً . . . فالمشهد النهائي . . . السادات يبكي على موت أخيه (من المفترض عام ١٩٧٣) ويقول لابد أن أضع حداً لهذا فكانت مبادرته للسلام . . (عام ١٩٧٧) ولكن في الفيلم فإن الأمر يحدث فوراً! هذا غير الكثير من المغالطات ولكنها توضح شكلاً من إشكال ممارسات دبلوماسيةالمسار الثاني الصراعية من قبل الطرف الآخر .

(٢) حالة السفير بيتر كونستابل

وبيتركونستابل هو دبلوماسي أمريكي متقاعد ويشغل منصب السكريتر التنفيذي للجنة المنظمة لمبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط . . . وهو يمثل مجرد مثال فقط لنوعية من الجهود التي قام ويقوم بها الكثيرون من حيث تجسيد أهمية مساعي دبلوماسية المسار الثاني في إحداث وإتمام وتكملة عملية السلام الرسمية . . . ولقد أوضح نشاط وأدوات اللجنة المنظمة لمبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط في القاهرة في ندوة بعنوان "أزمة الخليج ومستقبل الشرق الأوسط" في يومي ٢٦ ، ٢٧ أبريل عام ١٩٩٠ وحضرها حشد كبير من السياسيين والأكاديميين والمفكرين (٨) ولعل من المهم أن نرصد مايلي مما طرحه السفير بيتركونستابل الذي كان يدشن

مفهوم " دبلوماسية المسار الثاني كإسلوب مستحدث في حل الصراعات المعقدة والممتدة:

" إن مبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط مبنية على أساس أن حرب الخليج قد تسببت في الكثير من الاضطراب في الشرق الأوسط الأمر الذي يصعب معالجته من خلال الأنماط القديمة خاصة وإن الاضطراب والغليان والإحباط عادة مايكون في أوج مستوى له عقب الحرب وبالتالي فإن هذا يزيد الأمور سوءاً خاصة فيما يتعلق بالصراعات الممتدة الموجودة بالفعل في المنطقة مما يخلق مزيداً من المشاكل، ولكن مع كل هذا فإن الحرب قد خلقت فرصاً للقيام بالمبادرات الجديدة وبالتالي فإن الظروف قد تكون موائمة لتبني منهج شامل لمعالجة قضايا المنطقة التي قد يكون من شأنها كسر حلقة الجمود التي تجسدت في العقد المنصرم. ويضيف كونستابل قائلاً:

وسوف أقدم في كلمتي هذه ماستوحيته من نموذج هلسنكي أو بمعني أدق من " مؤتمر الأوروبي للأمن والتعاون الذي كان السبب في انطلاقة الآمال الفكرية للأفكار التي سوف أطرحها.

إن هدف مبادرة السلام والتعاون في الشرق الأوسط هي خطة لتنمية وتنسيق سلسلة من الأنشطة الخاصة التي تشجع على تبني منهج شامل ومتعدد القنوات يخدم كل من دعم عملية السلام على الصعيد الرسمي وتطوير مستوي آخر غير حكومي يكون نطاق أنشطته

. . . وعلاقاته أوسع ويكون من شأنه تدعيم التعاون والأمن في المنطقة. أن المفهوم الجوهري هو تقديم وتشجيع عمليات وطرق مفاوضات مبتكرة وغير رسمية بالمنطقة بحيث تكون مماثلة لتلك التي استخدمت في مؤتمر هلسنكي الخاص بالأمن والتعاون في أوروبا.

ويضيف كونستابل:

ومن وجهة نظرنا، فإن الواجهة البراقة لمؤتمر هلسنكي لم تكن تتمثل في المؤتمر في حد ذاته ولكن في الأسلوب والطريقة الفريدة التي استخدمت فيه وكانت ذات قنوات وأوجه متعددة وعمليات مفتوحة، والتي تم التوصل من خلالها إلى قرارات بالإجماع، حتى إذا جاء وقت التفاوض الفعلي نرى أن القضايا قد أصبحت واضحة المعالم ومقبولة للأطراف المعنية. إننا يجب وأن نذكر أن مؤتمر هلسنكي لم يكن مؤتمراً في وقت معلوم فقط إنما كان بمثابة عمليات ذات طابع استمراري استمرت لأكثر من خمسة عشر عاماً وهذا قد حقق وجود إطار لنطاق من المشاركة في أن يدخلوا في الحوار. أن منهج القنوات المتعددة سوف يوجد الميكانيزم اللازم لوضع القضايا السياسة الصعبة في داخل العملية دون أن يتسبب في الوصول إلى الطريق المسدود. فالعمل بأسلوب الأوعية المنفصلة أي معالجة كل أمر على حدى، سوف يؤدى في النهاية إلى الوصول إلى معايير بناء الثقة من خلال قضايا المياه على سبيل المثال وسيكون لهذا أثره الإيجابي على قضايا

الأمن بالتالي والتي كانت ستصل إلى مرحلة الطريق المسدود بانتهاج مناهج أخرى.

لعل ماطرحه كونستابل عام ١٩٩١ في القاهرة في تلك الندوة ليوضح أحد الأسس التنظيرية التي تجسدت فيما سمى "بمبادرة كوبنهاجن" عام ١٩٩٧ التي سنقدم لها تحليلاً وتقييماً في نهاية هذه "المحطات" أو الحالات لأنها قد تمت في توقيت وبأسلوب فتح ملفاً من أكبر ملفات الحوار بخصوص الصراع مع الدولة العبرية ودور الوساطات الدولية والتفريق مابين "المفاوض" و "المثقف" وأدوار كل منهما بشكل واضح.

(٣) حالة أوسلو

تعتبر "محطة "أوسلو من تلك المحطات أو المراحل التي تجسد مثالاً "طريفاً" إذا جاز الوصف لما حدث . . . فالبداية هي بيت أحد الأساتذة الزويجين حين وجد أن زميليه بالجامعة وهما أستاذ فلسطيني وأستاذ إسرائيلي يمكن وأن تكون بينهما أرضية مشتركة. . فنظم لهما عدة لقاءات أسرية في منزله بحيث يتناول الجميع العشاء كل جمعة لعدة أسابيع وفي النهاية وبعد الاختلافات والتعثر في العلاقات و الشد والجذب وجد أن هناك مايمكن وأن يتم التوصل إليه من اتفاق يعبر عن اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين وهنا وعند هذه النقطة انتقلت "دبلوماسية المسار الثاني" إلى مستوى المفاوضات السرية

بدعوة السفير النرويجي وعناصر رسمية فلسطينية وإسرائيلية وبذلك تمثل محطة أوسلو أحد أمثلة دبلوماسية المسار الثاني في جوهرها ولكنها توضح أيضاً محطة الانتقال إلى التفاوض السري . . . فلقد تم من خلالها مفاجأة المفاوضيين الرسميين الفلسطينيين والإسرائيليين الذين كانوا يتفاوضون في واشنطن . . . وخرج الاتفاق في شكل اتفاق " نادر الصياغة في مجال العلاقات الدولية بحيث أنه كان من العمومية بشكل غير مسبوق ولقد كان تعليقي عليه أثناء كتابتي لكتابي بعنوان مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي في عام ١٩٩٤ (٩) حيث كنت أتعرض بالتقييم لما ورد عن سالكيوز SALACUSE بخصوص هل نقوم بصياغة الاتفاقات بشكل عام أم محدد فهنا يقول SALACUSE : إن العوامل الثقافية تؤثر أيضاً في شكل الاتفاق الذي تحاول الأطراف صنعه فالأمريكيون يفضلون بوجه عام عقوداً مفصلة للغاية، تحاول التنبؤ بكل الظروف المحتملة، ومهما كان ذلك أمراً غير محتمل إلاّ أن السبب هو أن «الصفقة» هي العقد ذاته، ولابد أن يرجع المرء إلى العقد لكي يحدد كيف يعالج موقفاً جديداً قد يظهر. وهناك ثقافات أخرى، كالصينية تفضل أن يكون العقد في شكل مباديء عامة بدلاً من قواعد مفصلة. لماذا؟ لأنه كما يقال إن جوهر الصفقة هو علاقة الثقة التي تقدم بين الأطراف فإذا نشأت ظروف غير متوقعة فعلى الأطراف أن ينظروا إلى علاقتهم، وليس إلى العقد، لحل المشكلة. وهكذا فإن الأمريكيين يندفعون إلى مائدة

المفاوضات في بعض الحالات، للتنبؤ بكل الحالات التي قد تطرأ، وهو سلوك قد يعتبره أشخاص من ثقافات أخرى دليلاً على عدم الثقة في العلاقة الضمنية. ويزعم بعض الأشخاص أن الاختلافات على شكل الاتفاق يرجع سببها إلى قوة مساومة غير متكافئة بين الأطراف وليس بسبب الثقافة. ففي الموقف غير المتكافيء في قوة المساومة، يسعى الطرف الأقوى دائماً إلى أن يكون الاتفاق تفصيلياً حتى «تغلق» الصفقة في كل أبعادها المحتملة، على حين يفضل الموقف الأضعف اتفاقاً عاماً ليعطيه مجالاً لكي «يتخلص» من الظروف المعاكسة التي لامناص من أن تحدث مستقبلاً. وهكذا وعلى حد قول SALACUSE فإن الكوميون الصيني باعتباره الطرف الأضعف في مفاوضات مع شركة متعددة الجنسيات سوف يسعى للوصول إلى اتفاق عام كوسيلة لحماية نفسه مما قد يحدث مستقبلاً. ووفقاً لهذه النظرة، فإن البيئة وليست الثقافة هي التي تحدد هذه الخاصية للتفاوض.

ولعل ماذكره SALACUSE في هذا الصدد له أساسه من الصحة في واقع التفاعلات ولكن لابد أن نتنبه إلى أنه وفي سياقات أخرى يختلف الأمر، خاصة في مجال التفاوض القانوني سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول، كما يحدث في قرارات الأمم المتحدة فمثلاً كثير من قرارات الأمم المتحدة قد تمت صياغتها بغموض وبعمومية في العديد من فقراتها وعن عمد حتى تتمكن الهيئة الدولية

من إصدارها على أن يتم التفاوض على تلك العموميات أو النواحي الغامضة فيما بعد.

إطلالة على عمومية اتفاق غزة - أريحا أولاً

في إطار هذه النقطة السابقة الخاصة بشكل الاتفاق من حيث كونه عاماً أو محدداً لابد أن نطرح هنا فقط عدة أسئلة من شأنها إلقاء الضوء على واحد من أكثر الاتفاقات عمومية في تاريخ المفاوضات السياسية. وبالرغم من تعقيدات هذا الموضوع بصفة خاصة حيث يختلط فيها الدافع السياسي بالمنطلقات الثقافية. فإننا نتساءل هنا: هل هذه العمومية الشديدة في الاتفاق ترجع إلى ضعف الموقف التفاوضي النسبي للطرف الفلسطيني؟ إذا مااعتبرنا تفسير SALACUSE في هذا الصدد كما في حالة نظرة الصينيين على حسب المثال السابق.. أم أن الاتفاق قد صيغ في ذلك الوقت بهذا الأسلوب العمومي حتى يستغله الطرف الإسرائيلي عند تنفيذ بنوده وتبعاته فيما بعد؟ أم أنه صيغ بهذه العمومية كما سمعنا من بعض الخبراء المتحمسين ليؤكدوا أن الاتفاق هو في جوهره بناء يركز على إيجاد علاقة جديدة وآفاق جديدة؟! . . . ولاشك أن الأحداث التي تلت هذا الاتفاق وتلك القادمة التي هي في علم الغيب سوف تخبرنا عن الإجابة والأصح لهذه الاستفسارات (١٠). . كان ماسبق ماسجلته في كتابي عام ١٩٩٤.

واليـوم ونـحن في عـام ١٩٩٨ يمكننا أن نرى بسـهـولة أن تلك العمومية لـم تكن أبداً لبناء الثقة وإنما لتسمح باستغلال كامل للطرف الإسرائيلي لهذه العمومية حيث يقدم المفاوض الإسرائيلي تفسيرات بعيدة كل البعد عن روح الاتفاق وعن أي وعود واتفاقات سابقة وعن جوهرة عملية السلام برمتها . . . بل إن هذه العموميات كانت أسس محاولة تدمير عملية السلام في التوقيت الذي تريده إسرائيل ولقد كان هذا مانراه على يد بنيامين نتنياهو الآن.

(٤) " حالة " : شمعون بيريز

وهذه " المحطة " هي محطة المطالبة بالتطبيع الاقتصادي مع إسرائيل التي حقق اقتصادها أعلى معدلات النمو والاستثمارات تحت إطار مظلة عملية السلام وهي تلك المحطة التي حاول تأسيها شمعون بيريز كتجسيد لكتابه بعنوان " **الشرق الأوسط الجديد** " والذي يجسد في حد ذاته مثالاً واضحاً وجيداً على استخدام دبلوماسية المسار الثاني (من وجهة نظرهم) ويطرح فيه تصوراً إقتصادياً وأمنياً للمنطقة حيث يرى من خلاله أن حل مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي وديمومة السلام تعتمد على الادماج الاقتصادي لإسرائيلي في النظام الأقليمي الشرق أوسطى، وكذا الادماج الأمني، **فهو يرى أن السبب في الصراعات في تلك المنطقة هو سبب اقتصادي أساساً** يرجع إلى تواضع مستويات النمو الاقتصادي والضعف الشديد للتبادل التجاري

فيما بين بلدان الشرق الأوسط، وبقيام السوق الشرق أوسطية تستطيع إسرائيل التي "تملك العقول" والمشروعات أن تكون رائدة للتنمية الاقتصادية للمنطقة، وبالتعاون بين العرب وإسرائيل تجارياً واقتصادياً وعملياً يمكن النهوض بمستوى المعيشة في المنطقة ونزع أسباب النزاع الأقتصادي وبالتالي تحقيق ديمومة السلام (١١).

الكتاب هنا وماورد فيه يمثل مقولات من مقولات دبلوماسية المسار الثاني التي تسعى لتشكيل الذهنية العربية **بعيداً عن حُجة "الأرض مقابل السلام"** وحل جذور الصراع الرئيسية بيننا وبين الدولة العبرية بل أن يستغرق بيريز في أن الأسباب اقتصادية ويطالب بالتطبيع الاقتصادي فكأنه يردد بشكل غير مباشر ماهو مطروح وبوضوح اليوم من الجانب الاسرائيلي وهو حُجة "الأمن مقابل السلام" . . . ولقد تجسدت أفكار بيريز في شكل مؤتمرات اقتصادية كبرى كان أن أولها في عمان بالأردن وكان ثانيها في الرباط بالمغرب وكان ثالثها بالقاهرة والذي حدث وأن تم عقده بعد أن كادت القاهرة أن تلغيه ولكنها فضلت فتح القنوات وصححت أوضاع خاطئة سادت اجتماعي عمان والرباط حين ذكر وزير الخارجية المصري عمرو موسى وقت انعقاد المؤتمر "أن الخطأ الذي حدث في عمان والرباط أن إسرائيل كانت هي الدولة المحورية ولكن في هذا الاجتماع تأتي إسرائيل مثلها مثل عشرات الدول من المشاركة. . " (١٢) ولقد كان هناك وبالفعل

تحجيم كبير وتهميش لوجود الوفد الإسرائيلي المشارك؛ الأمر الذي دفعه للعودة بعد وقت وجيز خاصة وأن السلطات المصرية أعلنت في نفس لحظة افتتاح المؤتمر عن القبض على الجاسوس الإسرائيلي عزام، الأمر الذي يعكس تحركات تنتمي لدبلوماسية المسار الثاني المصرية التي من شأنها تصحيح الأوضاع واحتواء أدوات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائيلية بشكل آخذ في التصارع . . . ولعل ماحدث في المؤتمر الاقتصادي الرابع في الدوحة بدولة قطر وعدم مشاركة مصر والسعودية وسوريا ومعظم البلاد العربية ليؤكد على تقزيم بل و موت مفهوم الشرق الأوسطية ولعله إحدى الضربات العربية الفعالة المقاومة لأهداف إسرائيل التي تريد الحصول على السلام دون رد الأرض المحتلة.

(٥) حالة: مؤتمرات حوار الأديان

إن مؤتمرات حوار الأديان بحاجة لدراسة تفصيلية في حد ذاتها فهناك مؤتمرات تتعامل بإيجابية مع مسماها أي حوار معتنقي الأديان المختلفة لتدعيم القيم الإنسانية والوقوف ضد غطرسة القوة والمعايير المزدوجة في عالم اليوم واحقاق حقوق الإنسان في كل مكان، ولكن هناك ولاشك عدد لابأس به من تلك المؤتمرات التي خرجت عن مسماها وكان بمثابة مجال من مجالات التسيس لصالح تحركات دبلوماسية المسار الثاني الصراعية لصالح الدولة العبرية وليست

الإيجابية التي تكون فيها لصالح المفاوض العربي حيث اتخذت هذه المؤتمرات كمظلة لمحاولة تحقيق التطبيع بين العرب والإسرئيليين وجنى ثمار السلام دون الالتزام برد الحقوق وتحقيق السلام العادل ومن أمثلة هذه المؤتمرات ذلك المؤتمر الذي عُقد في اسبانيا وانسحب معظم المشاركين العرب منه عندما وجدوا أنه تم تسيسه يهودياً وبشكل فج ولقد كان من هؤلاء الذين احبطوا الهدف من ذلك المؤتمر ونشروا فور عودتهم مقالات احتجاج وأدانة للمنظمين والداعين لهم الذين اتهموهم بأنهم أعدو لهم مايشبه الكمين، فهمي هو يدي، صلاح الدين حافظ، د. عائشة عبدالرحمن، وآخرون. (١٣).

(٦) دبلوماسية المسار الثاني و حالات خاصة من الاعلام المصري:

كانت هناك حالات خاصة في أداء الإعلام العربي المصري تجسد توظيف لحركات دبلوماسية المسار الثاني في شكل تعبئة الرأي العام المصري والعربي إيجابياً وإعادة ترسيخ ماينبغي وأن يكون من مواقف ثابتة تجاه الدولة العبرية التي لايؤتمن جانبها فكانت أول مسلسلات من وقائع مباريات جهاز المخابرات المصرية العامة مع جهاز الموساد الإسرئيلي من خلال مسلسل " رأفت الهجان " وماتبعه من مسلسلات وقصص أخرى مشابهة في التوجه وقام قطاع الانتاج بانتاج فيلم " الطريق إلى إيلات " ليحفظ من خلال هذه الوسائط حقائق تاريخية صراعية آخذة في الامتداد تحت مظلة السلام في الآونة

الأخيرة، وجاءت كذلك مايمكن وأن نسميه بتحركات دبلوماسية المسار الثاني ثنائية التوجه أو ماسميه بالانجليزية DOUBLE T2 (DIPLOMACY MOVE) والممثلة في مناورة بدر ٩٦ الكبرى وتغطيتها إعلاميا بشكل مكثف لتعبئة وطمئنة الرأي العام المصري والعربي من ناحية وإرسال رسالة قوية رادعة لما تتردد من كلمات الحرب وغطرسة القوة الإسرائيلية ولو أنها وفي المقام الأول مناورة سنوية معتادة يقوم بها الجيش المصري . . ولكن التغطية الإعلامية ونطاق المناورات التي استحضرت سيناريوهات استخدام الأسلحة فوق التقليدية بها كان بمثابة توظيف صراعي لأدوات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني من أجل تحقيق فكرة الردع ولقد أحدثت هذه المناورة على وجه الخصوص ردود فعل كثيرة على الجانبين الإسرائيلي والأمريكي فلقد كُتب في الواشنطن بوست مقال بعنوان " لماذا تقوم مصر بالاستعداد للانقضاض على سيناء " ، وكانت هناك ردود فعل أخرى مماثلة في الإعلام الإسرائيلي وعلى لسان المسؤلين الإسرائيليين ومثال على ذلك ماورد في " حوارات القدس " التي اجراها عماد أديب مع نتنياهو حين عبر نتنياهو عن قلقه من مثل هذه المناورات من ذات هذا الحجم (١٤) وبهذا المسمى (بدر) الذي يعيد للأذهان أول انتصار للمسلمين على اليهود قديماً وأول انتصار حديثاً كما حدث في خطة بدر ١٩٧٣ التي نفذت في حرب أكتوبر رمضان المجيدة .

(٧) حالة : " نتنياهو " وحالة " الوسيط " الأمريكي

لاشك أن الحالة الصراعية لتحركات دبلوماسية المسار الثاني قد وصلت إلى ذروتها على الجانبين العربي الإسرائيلي بعد انتخاب نتنياهو والذي أوصل الأمور ببناء مستوطنة أبوغنيم إلى حالة الأزمة وأصبح يتردد في الصحافة العربية والعالمية مصطلح أزمة التسوية في الشرق الأوسط " ولكن الحقيقة في أن هذه الأزمة كانت موجودة قبل بنيامين نتنياهو ويصح أن نقول أنها " أزمة مزمنة " ولكن سياساته هي التي أسرعت بتفاقمها إلى الحد الذي بات يتردد معه كلمة تصفية الصراع بدلاً من تسويته ، فالذي فجر الأمور هو بناء مستوطنة أبوغنيم هذه ولكن سياسة الاستيطان هذه لم تتوقف في عهود العمل والليكود ولعل في تلك الفترة ومنذ أن تولى نتنياهو السلطة إتسعت رقعة تحركات دبلوماسية المسار الثاني واتسعت بالكثافة الصراعية بدءاً من حروب الكاريكاتير والمقالات في الإعلاميين المصري والإسرائيلي إلى ربط هذا الصراع ورؤيته على امتداد أرض " الوسيط " الأمريكي فلقد تكررت تلك الصور الإعلامية الكاريكاتيرية التي رسُم فيها وزير الخارجية عمرو موسى وهو يحمل مدفع آر . بي . جي " ، مرة ، وهو في صورة الفرعون الذي يطرد اليهود مرة أخرى . وقُدم رسماً للرئيس مبارك وهو يقوم بالضغط على جهاز تفجير لتدمير المنطقة بأسرها وكل هذه الصور الإعلامية ذات التصوير الصهيوني للأمور

وأخريات سبقت زيارة الرئيس مبارك الأخيرة للولايات المتحدة (في صيف ١٩٩٦) لتعتبر من صور وجهود دبلوماسية المسار الثاني الصراعية التي يوظفها الصهانية في الإعلام الغربي . . وهناك جانب كبير من هذه الأنشطة الصراعية والحملات يتم تصويبه نحو المملكة العربية السعودية واخر تلك الأمثلة كانت في أثناء زيارة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز في زيارته الأخيرة للولايات المتحدة . (فبراير ١٩٩٧) ففي حديثه للقوات العربية الجوية السعودية قال " لقد سمعتم الصحافة العالمية تردد وتقول إن سلطان سيزور الولايات المتحدة للبحث عن صفقة طائرات . . . منها من يقول قد لايوفق ومنها من يقول لماذا الصرف على ا لقوات المسلحة والبلد في حاجة إلى مستشفيات وإسكان وماأشبه ذلك . . الحاقد والحاسد يجب ألاّ يكون كلامه غير هذا . . . هذا هو كلام الحاقد والحاسد . . . ولقد أضاف سموه قائلاً

" إن قراراتنا نتخذها في بلادنا ، وزيارتي للولايات المتحدة تهدف إلى بحث استراتيجيتها نحو السلام ومنطقتنا "

(جريدة الرياض شوال - ١٢/ ٢/ ٩٧) (١٥)

إن مثل تلك الكلمات التي سبقت زيارة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز الأخيرة لواشنطن وتلك التي سبقت زيارة فخامة الرئيس مبارك بعدها هي تحركات صراعية لدبلوماسية المسار الثاني

ولعل من المهم هنا أن نسلط الضوء على دافعية ثابتة لمثل تلك الحملات المتكررة ضد العرب وهي تتجسد في المقولة التالية التي أبرزتها روكاش من خلال مذكرات شاريت في كتابها بعنوان "

الإرهاب الإسرائيلي المقدس" :

" إن من الأمور العديدة التي خطط لها الصهيونيون في فترة الخمسينات هي منع وعرقلة أي صورة من صور التحالف بين الغرب والعالم العربي وخاصة مصر . ولقد كان ذلك ولايزال هدف من أهداف إسرائيل الأساسية ؛ هذا إلى جانب استخدام القوة كطريقة لابديل لها لأن تصبح إسرائيل القوة المهيمنة على المنطقة العربية بالتعاون مع الغرب كما حدد ذلك بن جوريون. . . (١٦)

إن ماورد أعلاه ليبرر كثيراً من تحركات دبلوماسية المسار الثاني الصراعية على الجانب الإسرائيلي والتي تهدف إلى عرقلة أي علاقات إيجابية بين الدول العربية والغرب خاصة إذا اتسمت بضبط معادلات السيادة المتبادلة والتعاون الفعال ولعل ماذكرناه من شواهد في الحملات الراهنة مايستوجب ربطه بالمقولة التي وردت عن روكاش كتعبير عن توجه رئيسي وإستراتيجي إسرائيلي- ولعل مانراه من تكثيف المطالبة بعقاب مصر ومنع أو خفض المعونة الأمريكية لها وتوجيه اللوم لها كُعامل وعائق فى عملية السلام بين الفلسطينيين

والإسرائيليين وإلى ذلك من الأوصاف التأطيرية التي تعتبر بعيدة عن حقائق الأمور- ولو أنها نيشان على صدر الدبلوماسية المصرية التي تتصدى للحفاظ على الحقوق العربية المشروعة- ليمثل تجسيداً لتفعيل هذا التوجه الاستراتيجي الإسرائيلي الرئيس . . . . في الجدول رقم ٢ (صـ ٩٣) الخريطة الذهنية الكلية التي تنطلق منها تحركات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائلية الصراعية خاصة على صعيد الأرض الأمريكية والساحة الغربية بشكل عام.

مفردات وواقع " الوسيط الأمريكي "

إذ كنا قد تعرضنا بإيجاز شديد لما يحدث على الأرض الأمريكية فمن المهم أن نلقى الضوء على بعض مقولات وتحركات دبلوماسية المسار الثاني، فمنذ أن بدأت الولايات المتحدة ممارسة دورها في عملية السلام على المستوى الرسمي نجد أنه وعلى الصعيدين الرسمي وغير الرسمي قد تم وصف هذا الدور الأمريكي بالمفردات التالية:

- السمسار الأمين HONEST BROKER
- العامل المساعد CATALYST
- الوسيط INTERMEDIARY / MEDIATOR
- ميسر أو مسهل الحوار FACILITATOR
- الطرف الذي يقدم قوة الدفع للتفاوض

MOMENTUM-GIVING PARTY

وإذا كانت هذه المفردات ذات دلالات مشتركة، فإنها تحاول أن تصف الدور الأمريكي بالدور المحايد والوسيط أو العامل المساعد الذي لايتدخل في التأثير على عملية التفاعل (الكيمائي) ، إلاّ أن الممارسات في أرض الواقع تختلف كثيراً فالانحياز الأمريكي خاصة في الفترة الراهنة واستخدام الفيتو الأمريكي لمرات عديدة لصالح إسرائيل المنتهكة لكل قواعد ومرجعيات السلام لهو انحياز كامل؛ اضف إلى ذلك قرار الكونجرس الأمريكي برصد ١٠٠ مليون دولار لنقل السفارة الأمريكي من تل أبيب إلى القدس في يونيو ١٩٩٧ ، وكذلك ترك الحبل على الغارب للعابثين على الجانب الإسرائيلي لتدمير كل مااتفق عليه العالم بعد جهود مستمرة منذ بدء عملية السلام وحتى مؤتمر مدريد والخلاصة هنا، تقول بأننا ومع مايحدث على صعيد الممارسة فإننا إذا عدنا لدراسة وتأمل تحركات دبلوماسية المسار الثاني لوجدنا أن تعريفات كل من برتون ومونتفى وكونستابل والتي أشرنا إليها لتمثل إرساء لقنوات دبلوماسية المسار الثاني البعيدة عن ممارسات اشكال غطرسة القوة POWER POLITCS وأنها محاولات لحل الصراع بطرق إيجابية منطلقة من مبدأ فلنكسب جميعاً، ولاشك أن هناك في داخل الولايات المتحدة من يقتنع بهذه المباراة ولاشك أنها في حالة الصراع العربي الإسرائيلي أذكى الحلول للطرفين وهي دفع لخسائر ستلحق بجميع الأطراف، ولاشك أننا كعرب يمكننا تحديد العديد من منصات الانطلاق داخل المجتمع

الأمـريكـي لتعـظيم دور وفـاعـليـة المؤمنين بهـذه المبـاراة هناك وعلى مستوى العـالـم كـله لحشـد الجهـد واحباط الأجندة الـعدوانية المـوجهـة ضدنا وكذلك فإن علينا أن نعمل بطرق مبتكرة وفعالة لايقاف التدهور وترك السـاحـة لمريدي المباراة الصفرية ZERO - SUM GAME الذين يمكن وأن يتخلوا عنها **إذا كانت لدينا القدرة على إثبات إنها لن تكون صفرية لنا حتى لايمارسونها ولعل دراسة تضاريس الأرض الأمريكية** الفكرية تتيح لنا تحديد مواقع لمنصات فكرية يمكننا نصبها وتدعيم مضات قائمة قبل أن يأتي عليها أصحاب نظرية المباراة الصفرية في الصراع العربي الإسرائيلي ولعل هذا يستحق دراسة تفصيلية أخرى ولكن بداية نحو بعض مواقع المنصات الفكرية التي تدخل في إطار ممارسة دبلوماسية المسار الثاني بشكل إيجابي نرصد مايلي :

(١) في مواجهة أربعين مليون يؤمنون بهدم الأقصى ويتغلغلون في نسيج صناعة القرار الأمريكي

من الذين يضيفون زخماً وتأييداً غير مسبوق لحركة التطرف اليهودي مايزيد على أربعين مليون ممن يطلق عليهم "بالمسيحيين الصهاينة" CHRISTIAN ZIOUISTS " والذين يتزايد عددهم ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها عبر انحاء العالم : وأعضاء هذه الطائفة ممن يؤمنون بأن اليهود هم شعب الله المختار الذي منحه الله الأرض المقدسة ، وبما أن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله

سيبارك كل من يبارك اليهود ويلعن كل من يلعنهم وبالتالي فهم يؤمنون بتأييد كافة ممارسة إسرائيل الدموية والاستيطانية والتوسعية ويشجعون على احتلال المنطقة من النيل إلى الفرات . . . أي احتلال خمس دول عربية على الأقل من منطق تحقيق النبوءة التي يؤمنون بها وفي سبيل ذلك فإنهم يدفعون بالأمور إلى حد توريط العالم في محرقة نووية، وهنا وطبقاً لهؤلاء المسيحيين الصهاينة، يعود المسيح (عليه السلام) إلى الأرض ثانية وينجو بأعضاء هذه الحركة من الفناء ويصعد بهم دون غيرهم إلى السماء من أرض الناصرة بفلسطين. . (١٧).

ولقد كتبت مقالاً رئيسياً بالأهرام بعنوان " التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه " (١٩/ ٢/ ١٩٩٢)، ولقد رصدت فيه بشيء من التفصيل كيف تمارس هذه الجماعات انشطتها السياسية و الخطورة هنا هي أن العديد من انصار هذه الحركة آخذين في التغلغل في نسيج صناعة القرار الأمريكي ولايخفى أن الرئيس الأسبق رونالد ريجان قد عبر عن ايمانه بهذه النبوؤة وكانت في عهده أول أكبر معاهدة استراتيجية تفتح الباب على مصراعية لإسرائيل من حيث تكنولوجيا الأسلحة والعتاد الحربي . . .

ولقد بدأت اجراس هذا الخطر تدق من نشاطات " دبلوماسية المسار الثاني الصراعيه والعديدة والتي يمارسها هؤلاء ومن خلال

عشرات المنتديات والكنائس والجمعيات وكلها تستهدفنا في النهاية ولقد بدأ الإعلام العربي في التنبه لهذا الخطر المحدق وطالعتنا جريدة الحياة بسلسلة من المقالات الخاصة بإبراز هذا البعد ومنها مقالات لجهاد الخازن يعكس فيها مداعبة واندماج صانع القرار الأمريكي لهذا التطرف بل لقد رصد مقولات نائب الرئيس الأمريكي الأخيرة التي تعكس أنه والرئيس الأمريكي من المعمد انيين الذي يقرأون النص العبري للتوراة وإن رأيه في نيتنياهو وممارساته الراهنة " إنه يدير السلام بيديه الشابتين النشطيتين، وهو صديقه . . ثم أكد عبرانيته بإنشاد وترانيم عبرية إلى آخره . . .) (١٨)

القضية إذن إن هناك ممارسات على المستوى الرسمي في غاية الخطوة وهناك ممارسات أكثر خطورة على نطاق دبلوماسية المسار الثاني يتولى إدارة دفتها رسميون وغير رسميين على الصعيدين الأمريكي والإسرائيلي في الوقت الراهن وربما مانشاهده من اجراءات **ماكانت لتحدث على حسابنا بهذا القدر إلاّ في إطار غياب كبير على ساحة دبلوماسية المسار الثاني الآخذه** في أن تكون دبلوماسية ذات طبيعة صراعية حادة ولكن لابد من مجابهتها وتنظيم صفوفنا وقيادة تحركاتنا بعلم ووعى وتخطيط وإيمان بنصرة الله لحقوقنا المقدسة وهذا ماستعرض له تفصيلاً في الجزء الأخير من هذه الدراسة .

(٨) حالة كوبنهاجن :

لقد فتحت ماعُرف " بمبادرة كوبنهاجن "أو ماسُمي " بالتحالف الدولي من أجل السلام " ملفاً كبيراً للحوار مؤخراً في واقعنا العربي - ولقد تعاملت مع هذا الملف من خلال دراسة تفصيلية لها سياقها الآخر - ولكن مايعنينا هنا من استحضار موضوع هذا الملف في إطار هذه الدراسة هو أن محاولة كوبنهاجن هذه تدخل **ولاشك في إطار ممارسات دبلوماسية المسار الثاني على الجانبين العربي والإسرائيلي** وهي طبقاً لبعض التصورات قد تكون صراعية جداً وبشكل غير مباشر من جانب الإسرائيليين الذين يحاولون اختراق جبهة المثقفين العرب وجرهم إلى ماهو أقرب إلى الأجندة الرسمية الإسرائيلية لعملية التفاوض، وقد تكون بمثابة محاولة من جانب المثقفين المشاركين العرب فيها للعمل على دعم اتجاه السلام وحركة السلام الآن وغيرها من طوائف داخل المجتمع الإسرائيلي من تلك التي تميل إلى شرعية الوصول إلى مبدأ الأرض مقابل السلام . . . وأن المباراة الصفرية القديمة ليست في صالح أحد .

. . . قد يكون هذا وقد يكون غير ذاك **ولكن التحليل الموضوعي يقودنا إلى وجود ظاهرتين سلبيتين بخصوص ممارسة أنشطة دبلوماسية المسار الثاني وهما :**

أولاً : غياب التنظيم والإعداد الجيد لمثل هذه الأنشطة مع شيوع ظاهرة اغتصاب عملية التمثيل في واقعنا العربي ، ففئة قليلة من المثقفين العرب قد يكون لهم الحق في أن يتحاوروا ويجتمعوا ويمارسوا تشكيل ذهنية العدو في أي اتجاه يتّمشى ويتناسب وأجندتنا ومصالحنا الاستراتيجية واسترداد حقوقنا المسلوبة ، ولكن أن يدّعوا تمثيل كل المثقفين العرب على حين غرة فهذا ماأثار الكثيرين . .

● بغض النظر عن وجود شبهات خطيرة حول الإسرائيليين الممثلين ومنهم من له تاريخ أسود في الموساد وإلى ماذلك إلاّ أن ميزة أنشطة دبلوماسية المسار الثاني خاصة عندما تمارس من قبل المثقفين أنها تتيح التحاور مع الآخرين - أي كانوا- بحرية وقوة ودون إعلان اتفاقيات كالتي تتم على المسار ات الرسمية وتخرج بهذا الضعف الذي آلت إليه .

سيناريو استنساخ القدس

● إن من مميزات دبلوماسية المسار الثاني أن تطالب بكل ماتريد وتترك الملعب للآخرين بعد أن تكون قد طرحت مايشكل ذهنيتهم بالشكل الذي قد يجعلهم طواعية أن يقنعوا آخرين بماطرحته ، وهنا نجد الخلل الأكبر فيما حدث في "موقعة كوبنهاجن" حيث وردت عبارات غامضة وضعيفة بخصوص قضية القدس وليس من حق

هؤلاء أو غيرهم وخاصة في إطار دبلوماسية المسار الثاني أن يتنازلوا عن أي حقوق خاصة وإن ماورد يقترب من الأجندة الإسرائيلية، وفي توقيت سيء حيث تدور في الساحة وأروقة السياسة التي لابد وأن المشاركين في كوبنهاجن يكون على وعى بها وهي الخاصة بذلك السيناريو الذي أسميه "بسيناريو استنساخ القدس" وهو الذي يتعلق بمايثار عن احتمال اعطاء الفلسطينين قرية تسمى "أبوديس" ليسميها الفلسطينيون" بالقدس الشرعية" .

فالأمر إذن قد يصل بهؤلاء المثقفين - دون أن أُشكِّك في وطنيتهم - في أن يتورطوا في تمرير تصفية قضية القدس بدلاً من تسويتها بشكل عادل أو تعليقها وأليس الأكرم والأوفى والأذكى أن نقول في مثل سياق دبلوماسية المسار الثاني ماقاله صلاح الدين الأيوبي حينما كان يتفاوض بخصوص القدس ولايزال الغرب ينشر مثل تلك المفاوضات وكيف أن صلاح الدين قد حرر القدس بعد ١٢٠ سنة من احتلال الصليبيين. . . أليس من باب أضعف الإيمان أن نترك القضية معلقة مع ذكر حقوقنا فيها مهما طال الزمن (بخصوص خطاب التفاوض الخاص بصلاح الدين راجع لكاتب السطور بحث " القدس وإعادة هياكل التفاوض (١٩)) .

ثانياً : إن الظاهرة السلبية الثانية وهي ومع الأسف ظاهرة متكررة وهي الانفعال وتوجيه السباب والشتائم والإهانات والتهم والتقوقع في

دائرة الاحباط والاتهامات والاتهامات المضادة مع خلط كبير في المفاهيم ولعل أكبر الخلط الذي وقع هو عن علاقة "المفاوض" "بالمثقف" فهذه العلاقة تثار في ملفات تفاعليه عربية عديدة من وقت لآخر فلقد لاحظنا وجود نوع من الفصل التعسفي الذي لابد وأن نزيله ونحن بصدد ماينقصنا بخصوص مهارات دبلوماسية المسار الثاني، فمثلاً قال الأستاذ فهمي هو يدي في مقابلة مع تلفزيون MBC " أن المثقف ينبغي ويتعين عليه ألايدخل في آلة المفاوض " (برنامج العالم هذا الأسبوع ١٢/ ٢/ ٩٧) وقال. محمد سيد أحمد في مقال له في جريدة الأهرام في تفنيد مواقف نفر كوبنهاجن بعنوان "رب ضارة نافعة" (١٢/ ٢/ ٩٧): "إن لقاء كوبنهاجن قد أُقيم على إلتباس وعلى إفتراض أنه لقاء بين " مثقفين" ذلك بينما باشر عملاً هو أقرب إلى عمل "المفاوضين" وأرى أن التمييز بين الصفتين لايجوز طمسه أو أن يقع تداخل وخلط على أي نحو، وإلاّ تعرضنا لمردودات عكسية ذات عواقب وخيمة . . . "

والنقطة الرئيسية هنا **ونحن بصدد الحديث عن مفهوم دبلوماسية المسار الثاني وأدواته ولاعبيه** سواء كان الأمر يتعلق بمبادرة كوبنهاجن أو بغيرها هي أننا بصدد إرساء مبدأ أساس للتفاعل ومقولة متكررة من أكثر من مثقف ومفكر تقنن الفصل الحاد بين صفة "المفاوض" وصفة " المثقف" وتستدعى أن نأخذها كشيء مسلم به ولكنني أجد

من الأهمية أن نختبر هذه المقولة " التقنينية " والتي وجدناها بأشكال ومفردات متعددة في تفاعلات : ملف كوبنهاجن وكذلك في ملفات أخرى عديدة سابقة وهذا يدعونا إلى إجراء مناقشة تحليلية لكل مايستدعيه أو ماأستدعى فصل الصفتين وذلك من أجل فك الاشتباكات الخاطئة وتحرير المفاهيم من أجل تفاعلات أفضل مستقبلاً . والأسئلة التي نحن بصددها حين نختبر هذه المقولة التقنينية هي :

- هل فعلاً أن صفة "المثقف" تختلف عن صفة "المفاوض" خاصة في إطار مفهوم دبلوماسية المسار الثاني؟

وإذا كان ماورد في تفاعلات ملف كوبنهاجن قد أفادنا برؤية العديد من مثقفينا ومفكرينا لأوجه الإختلاف ووجوب وضرورة الفصل البيّن بين الصفتين، فماهي ياترى أوجه التشابه ونقاط الالتقاء؟!

- وماذا عن التعريف الدقيق والتقني "لفعل التفاوض؟

وكذلك لمفهوم "المفاوض" دون إختزال أو تعميم مخل؟!

سنحاول طرح إجابات واضحة لكل هذه الأسئلة ونحن بصدد تحليل ماورد في ملف كوبنهاجن بخصوص صفتي "المثقف" و "المفاوض" فيما يلي :

□ إذا كنا نتفق مع مقولة الفصل بين الصفتين من حيث أن للمثقف نطاق غير رسمي أكثر تحرراً من القيود الدبلوماسية التي يتقيد بها المفاوض الرسمي عادة وهذا بغض النظر عن مبادرة كوبنهاجن بل بصفة عامة- .

وإذا إتفقنا أيضاً على أهمية ألاّ يُدفع بالمثقف في آلة المفاوض فيُبتذل دوره فلايتفاعل كما ينبغي وأن يكون؛ إلاّ إنني ومن منظور آخر أرى أهمية عدم الفصل بين الصفتين بالشكل الذي ورد في كثير من مقولات ملف كوبنهاجن وأقصد هنا أن " المثقف " مثله مثل " المفاوض " فكلاهما يتفاوض ويتعين عليه أن يتفاوض بخصوص مايراه بمثابة أجندة صالحة للتفاوض من أجل تحقيقها . . . **ففعل التفاض** هوفعل يأتي به الجميع تحت كافة الصفات طالما أنتقل التفاعل من سقف مانسميه في علم التفاوض بالمبدأ التعاوني " COOPERATIVE PRINCIPLE " حيث تكون هناك هوة كبيرة بين المتحدثين وتتسم أهدافهم وأجندتهم بالتنازع والاختلاف الحاد الذي يتطلب تسوية مابين الأطراف أو الخصوم . . . وهنا إذا كنا نحرص على انتهاج مباديء ثقافة التفاوض الإيجابي فعلينا أن ننتهج " المبدأ التنازعي التعاوني " أي علينا أن نتعاون بقدر معقول لحل التنازع والوصول إلى تسوية في أي نوع من أنواع التفاوض وليس السياسي فقط ، أما إذا كنا لانتبنى عناصر ثقافة التفاوض الإيجابي فإننا وكما

يحدث في معظم ملفات تفاعلاتنا فإننا ننزلق إلى معترك " التنازع التناحري " والعياذ بالله .

من هنا نجد ومن الناحية التقنية أن الفصل بين الصفتين " المفاوض " و " المثقف " هو فصل لاأساس له ، فإذا مانظرنا إلى ماورد من مقولات الفصل بين الصفتين لوجدنا قدراً كبيراً من التعسف في مثل هذا " التقنين الغريب " فمثلاً يقول ؟ محمد سيد أحمد (بالاهرام ١٣/ ٢/ ٩٧) :

" أن المثقف يتناول أموراً لايتناولها المفاوض ، فإنه يتصدى لجذور الصراع ، وأسبابه الدقيقة والتنقيب عن الثغرات وكشفها بإعتبارها عقبات في وجه تجاوز الصراع " ويقول كذلك . . " أن المفاوض لايملك الغوص في أعماق الصراع . . وإنما وظيفته ماهو متاح له من فرص ، دفاعاً عن قضية الدولة التي يمثلها " ويضيف " أن المفاوض لايتحمل شخصياً مسؤلية المواقف التي قد تبدو في رأى قطاع أو آخر من الجمهور " تفريطاً ولكن المثقف يتحمل - شخصياً- مسؤلية مواقفه . . . ومصداقيته يستمدها من استقامة منطقه وقوة حججه إلى آخره " (٢٠) .

إن مجموع الصفات التي دعت أ . محمد سيد أحمد وفي الواقع آخرون إلى هذا الفصل ينبغي وأن تكون موضع تساؤل وإختبار فعن أي " مفاوض " نتحدث؟! إن كل من " المفاوض " الرسمي " والمثقف

المنتمي " لابد وأن يتحليا بنفس الصفات فالمفاوض الذي لايملك القدرة والاستعداد في الغوص في أعماق الصراع والتصدى لجذور الصراع وأسبابه الدفينة وإقامة الحُجة القوية والتنقيب عن الثغرات، مثله مثل المثقف لابد وأن يتدرب على ذلك أو يرحل وألاّ يمثل الدولة رسمياً إذ كنا بصدد " تقنين " الصفات والأسس والمنطلقات بفكر حر " وكذلك فإن " المفاوض الرسمي المحترم " يتحمل شخصياً مسؤلية المواقف . . . وهناك وكمايوجد عشرات المفاوضين الرسميين الذين لايتحملون المواقف شخصياً، إلاّ أن تاريخ التفاوض مليء بعشرات الشخصيات الرسمية التي ترى أن تتحمل أولاتتحمل شخصياً . . . وأذكركم هنا بموقف وزير الخارجية المصرية الأسبق إسماعيل فهمي الذي رأى تقديم إستقالته للرئيس الراحل أنور السادات، وموقف الوزير الأسبق محمد إبراهيم كامل الذي قدم إستقالته للسادات أثناء محادثات كامب ديفيد وكذلك موقف محمد رياض الوزير المصري الذي جاء بعدهما كوزير للخارجية وقد إستقال بعد يوم من تعيين الرئيس الراحل أنور السادات له . . . هذا لأنهم " مفاوضون " رأوا وجوب أن يتحملوا شخصياً ما يحدث وما يفعلونه . مثلهم في ذلك مثل المثقف الحر المنتمي لإرادة ورؤية وطموحات شعبه أو من يمثلهم وهذا بغض النظر عن صحة أو عدم صحة ماأقدموا عليه .

إن خطورة الفصل التعسفي الذي أورده أ. محمد سيد أحمد وأخرون وكأننا بصدد "التقنين" هو أن هذا الفصل يؤكد وبشكل تلقائي على أن "المفاوض" له الحق في أن يتسم بكل تلك الصفات السلبية التي أظهره بها في مقابل كل تلك الصفات المخالفة التي ينبغي وأن يتحلى بها المثقف . . . إننا ونحن بصدد "التقنين" وإرساء المباديء لابد وأن نوجد الوعي الكاف بأن " المفاوض" الذي يتسم بكل تلك الصفات السلبية لايصح وأن يمثل الدولة أساساً أما إذا كنا هنا نتحدث عن "التفاوض" وعن "السياسة" من منطلق مقولة "فن الممكن" فإن لهذا الممكن؛ مساحات متفاوتة. . . وقد لايحاول المثقف أو المفاوض" إستغلالها وتوسيعها وقد يحاولا. . . وهنا يكمن الفرق بين مثقف وآخر ومفاوض وأخر " ففن الممكن هذا " يمكن أن يكون ستارة للتخاذل والاستسلام كأن نقرأ مقالاً لأحد المثقفين يتحدث بإختزال شديد عن إستحالة المواجهة بشكل مطلق مع إسرائيل وآخر يقول أن من يقاوم التطبيع يكون" متخلفاً عقلياً" . . . . ولكن الفهم الصحيح " لفن الممكن هذا" لابد وأن يعني أنه " من الممكن" وأن ننشيء السوق العربية المشتركة. . . **ومن الممكن أن توجد قيادة عسكرية عربية موحدة لردع كل من تخول له نفسه الاعتداء على الأرض والمقدسات. . . كل هذا ممكن" ولكن فليتفاوض المتفاوضون العرب لتحقيقه. . . سواء كان المفاوض هنا**

" المثقف " أو " المفاوض الرسمي " فإن النقطة الرئيسية هنا هي أن كل من المثقف " و " المفاوض يتفاوضا . . ولكن الأمر يتطلب وأن يكون للمثقف مساحة أوسع، فالمثقف هو المنوط به أساساً وأن يتحمل العبء الأكبر أو يقوم بإدارة أصعب أنواع التفاوض وهو تفاوض إعادة الهيكلة "NEGOTIATION FOR REDISTRIBUTION لتغيير ذهنية ودافعية وإدراك الكثيرين فيما يتعلق بقضايا تفاوضية في كافة المجالات من تلك التي تتطلب تغيير السلوك نحو الأصوب ونحو المتطلبات التي تتطلبها التغيرات السريعة والتقدم المذهل على أصعدة التفاعل الاجتماعي والاقتصادي والإداري والسياسي؛ وفي جهده هذا عليه أن يتفاوض ويدير عمليات التفاوض الجمعي COLLECTION NEGOTIATION بتعقيداتها مستنداً إلى فكر واضح ومباديء سديدة وعليه أن يكون قادراً على إستيعاب تقنيات التفاوض وألا يقع ضحية سهلة لعدم إدراكه بهذه التقنيات علماً وممارسة. . . وفي هذا الإطار وكما أوضحت تفصيلاً وفي سياقات سابقة عديدة . . . عليه أن يقوض دعائم الفكر الإطلاقي فيما يتعلق بالقضايا النسبية فليس الأمر وكما ينادي البعض في حديثه عن " المثقف " بأنه وإذا كان مثقفا عضوياً فعليه أن يصطدم بالسلطة وأن يبتعد عن المواقف الرسمية، وهذا فكر إطلاقي، فالمطلوب هو أن تنضبط حركة المثقف طبقاً لمباديء واضحة وقد تتوافق مع السلطة تارة

وتتعارض تارة أخرى وتوجهها ايجابياً تارة وتواجهها - إيجابياً- تارة أخرى فالعبرة في المساهمة الفعالة فيما يراد تحقيقه من خير وإنطلاق نحو الأهداف الصحيحة والمطلوب تحقيقها قبل أي شيء آخر . . . فهذه الاطلافية المقيتة فيما هو نسبي، هي مكمن الخطر وعليه أن يتعامل معها لإحداث تجاوز مجتمعي فالمشكلة التي تواجه المثقف فعلاً هي أن نسبة عالية جداً من التفاعلات في واقعنا العربي تتسم بتسلط إطلاقي مقيت . . . فإما أنك معي أو ضدي . . . إما أنك مخلص أو عميل إما أنك مُتزلف للسلطة أو أنك مارق عليها . . إما أنك حليفي أو متأمر . . إلى آخره على منوال إما أبيض وإما أسود مع تجاهل كافة ألوان الطيف الأخرى . . . ولعل نظرة على الكثير من ملفات تفاعلاتنا تعطينا أمثلة تجسد هذه الإطلاقية ولعل من المهم أن أشير إلى بعض هذه الأمثلة التي لاتزال تهيمن على ساحة تفاعل المثقفين مع الأسف فلقد ندرت المقالات التي تفند وتقيم وتذهب إلى ماتراه على أنه الرأي الأصوب دون تجسيد هذه الاطلاقية في قضايا جدالية بطبيعتها . . . أما إذا عدنا إلى أمثلة من ملف كوبنهاجن لرصدنا العبارات التالية التي وردت بخصوص المشاركين في تلك المبادرة، فعلى سبيل الانتقاد الحاد جاءت عبارات مثل . . . . . " **إنهم إما في خانة السياسة أو الفهلوة أو الخيانة وإما أنهم من أصحاب الأوهام الدافئة أو إنهم يلعبون دور المراهق المقلد لأبيه**" (الحياة ١٠/ ٢/ ٩٧).

وعلى سبيل المدح جاءت تلك العبارة بخصوص المشاركين في مبادرة كوبنهاجن " **أنهم وطنيون من الدرجة الأولى** " (الأهرام ١٢/ ٢/ ٩٧) وعلى سبيل "إبداء الرأي الحاد وردت هذه الجملة التالية: "**إن الذين يعارضون التطبيع متخلفون عقلياً** " (عبدالعظيم رمضان - المصور ١٤-٢- ٩٧)

إن من الجهد التفاوضي ذوالنطاق الأوسع والذي يُناط بالمثقف إحداثه في تفاعلاتنا الداخلية أولاً أن نتجاوز كل عناصر الإشتباكات الخاطئة التي يستفيد منها الاعداء والخصوم في المقام الأول ونخسر نحن بها الكثير. إن على المثقف أن يعمل على تقديم السلبيات وألاّ يساهم بشكل أو بآخر في تعميق سلبيات التفاعل الشائكة على صعيد التيارات المختلفة الفاعلة . . إن عليه أن يتفاوض من أجل الخروج بهذه التيارات والانتقال بها لما يُسمى في علم التفاوض" بدائرة المصالح الآنية والضيقة(CIRCLE OF IMMEDIATE INTEREST)

إلى دائرة التأثير الايجابي بعيد المدى

(CIRCLE OF POSITIVE INFLUENCE)

- **"المفاوض" و "المثقف" وتلك "المظلة الإعلامية" !**

لاشك من الأهمية بمكان أن نلقي الضوء هنا على أرضية أخرى وقع فيها الخلط المتعسف من أجل الفصل بين " المثقف" و "المفاوض" وهي ماورد بخصوص" الحقيقة الوهمية"

" VIRTUAL REALITY " حيث ورد بملف " تفاعلات كوبنهاجن " " إنه في حالة كوبنهاجن من الممكن إساءة إستخدام دور المثقف والايحاء بأن هناك تحالف عربي/ إسرائيلي من أجل السلام . . . وكلمة " التحالف " نوع من المغالطة والخداع ، فهذا وصف ترحب به " C. N. N. " مثلاً للايحاء بأن مثل هذا " التحالف " وارد قيامه ، بينما تحجُم وسائل الاعلام العالمية عن نقل حقيقة مايجري في الساحات العربية والاستنكارات المتكررة من قبل هيئات عديدة لفكرة وقوع " تحالف أصلاً " وهكذا تصبح الحقيقة الوهمية " VIRTUAL REALITY " التي تذيعها شركات الإعلام هي " الحقيقة " بينما يصبح مايجري في الشارع العربي هو مجرد إدعاء ! " (الاهرام ١٣/ ٢/ ٩٧) .

إن ماورد أعلاه ليوضح ويصدق ماتفعله وتحاول فعله وسائل الإعلام الأجنبية فهي تترصد وتمارس العديد من ألوان التأطير والإختزال والبتر لصالح أجندات معادية لنا في المقام الأول . . . ولكن هذا الأمر يتخطي بكثير مبادرة كوبنهاجن على وجه الخصوص ، فالأمر يتعلق هنا بمباراة أكبر حجماً ومساحة أكثر اتساعاً ، فالمظلة الإعلامية الغربية هذه تتساوى مع " المظلة النووية " في إحداث تأثيرات عميقة . . فكل من " المفاوض الرسمي " و " المثقف " قد يعاني كثيراً من أداء هذه المظلة الإعلامية " فهي تختزل وتبتسر مقولات المفاوض الرسمي وكذلك " المثقف العربي " سواء كان هذا

المثقف من المشاركين في إعلان كوبنهاجن أو ذلك المثقف الذي يعارض ويرى أن ورقة التطبيع هي ورقة يجب وأن يُحرم منها العدو إلى أن يتحقق السلام العادل . . . إن الأمر إذن هو أكبر بكثير من مبادرة كوبنهاجن . . . والأمر يتطلب دائماً ألاّ يكون بأسنا شديد فيما بيننا، بل إن على كل من " المثقف " والمفاوض بكل ذلك الذي يجمعهما أو بكل ذلك الذي قد يفصل بينهما أن يتعاونا معاً على صعيد العديد من القضايا وبمناسبة هذه " الحقيقة الوهمية " وتلك " المظلة الإعلامية " ، فإن عليهما أن يتعاونا من أجل ترسيخ إسراتيجية إعلامية عربية تواجه أو على الأقل تحد من التأثير السلبي والكبير لتلك المظلة الاعلامية الغربية . . . إن عليهما أن يتعاونا وبتنسيق حكيم وعليهما أن يتحليا بكل صفات المفاوض الفعال على النطاقين الرسمي وغير الرسمي وأن يتحركا من منطلق التعبير عن وتجسيد قيم وثقافة الحضارة العربية الإسلامية الأصلية والتي تنطلق من مفهوم مايمكن وأن نسميه " **بالاخلاقيات التي ينبغي وأن تكون** " أو بالانجليزية علينا أن نستخدم مصطلح الـ " VIRTUAL ETHICS " في مقابل " الحقيقة الوهمية " (VIRTUAL REALITY) فهذا المنطلق ينبغي وأن يمثل أحد أسلحتنا الفعالة التي نتسلح بها في لم الشمل داخلياً وكذلك في المواجهة الخارجية مع حضارات المادة والهيمنة وغطرسة القوة والمعايير المزدوجة . . فليكن التعاون دائماً فيما بيننا من منطلق أمة تبنى الاخاء وترد كيد المعتدين . . والله ولي التوفيق .

٩- حالة توظيف الأفلام الوثائقية في الصراع العربي الإسرائيلي من منظور دبلوماسية المسار الثاني.

لعل من أهم أدوات الإعلام الحديث في سعيه لصياغة ذهنية الآخرين هو استخدام الأفلام الوثائقية. وعادة وإذا كان مدير الصراع يريد إظهار الحقائق فهذه الاداة هي وسيلة ليقول للعالم "هاهي الحقائق تتكلم" ولكن في حالة الصراع العربي الإسرائيل وجدنا أن هذه الاداة تبتذل مع الأسف ووجدناها تجسد مفهوم "تزييف الحقائق؛ في إطار "أفلام وثائقية إسرائيلية وغربية منحازة . . . والمشكلة الحقيقية تكمن أننا من واقعنا العربي وفي قنواتنا الفضائية لم ننجح بعد في تقديم أفلام وثائقية تجسد ماحدث فعلاً في الصراع العربي الإسرائيلي وبشكل يبتعد عن المواد الإعلامية التي توفرها محطة B.B.C وتوجهاتها . . . إننا لابد وأن نسعى لتوفير "أفلام وثائقية حربية تجسد ماحدث بالفعل وتكون الأقرب إلى ذلك ولابد أن تتم في إطار من تصورات السيناريوهات القائمة التي نريد تفعيلها وبعيداً عن تلك التي يحاول العدو تفعيل أسوأ مافيها وهو "سيناريو التفكيك والبلبلة والفتن. وهذا ماسنقدمه بالتفصيل في الفصل الرابع التالي ولكن لعلي أقدم هنا ذلك المقال الذي كتبته في صحيفة الأهرام وأنا أتفاعل مع رؤية واحد من الأفلام التي قدمتها إحدى القنوات الفضائية العربية وكانت كمايلي:

٧٦

وقفة مع برنامج إعلامي حول إسرائيل في ٥٠ عاماً"

أذاعت محطة فضائية عربية الفيلم التسجيلي الذي أعدته الإذاعة البريطانية عن وقائع الصراع العربي الإسرائيلي بعنوان "العرب وإسرائيل ٥٠ عاماً من الصراع" مؤخراً. . ومع احترامنا للاجتهادات التي تقوم بها هذه المحطة الفضائية ولأدائها المتميز في عدد من البرامج التي تقدمها. . . إلاّ أن هذا البرنامج يحتاج إلى مناقشة موضوعية خاصة وأن موضوعه يهم كل عربي من الخليج للمحيط وأنه يذاع في توقيت خاص حيث أصيبت عملية السلام بالجمود. . . ولعلنا نقول أولاً أن البرنامج قد نجح فيما يلي:

١ - أنه رصد وقائع مريرة يعرفها جيداً كل عربي بشكل أو بآخر بخصوص نكسة/ هزيمة ١٩٦٧، إلاّ أنه قد أضاف معلومات عن حجم "المؤامرة الكبرى" التي شارك الاتحاد السوفيتي فيها ضدنا مع تصوير السذاجة الكبرى من جانبنا في الوقوع في فخاخها. . . ولانناقش هذا الأمر المأسوى هنا. .

٢- ذكّرنا هذا البرنامج بشهدائنا وجسامة الخسائر التي الحقت بنا في ١٩٦٧. . نعم الأمر بسبب حماقتنا قبل أن يكون لتفوق إسرائيل "التي لاتقهر". . ولكن الفلم "الوثائقي" مر "بالتصوير البطئ" أمام الهزيمة المؤسفة! أكثر من أي شيء آخر!!

٣- نجح الفلم في توضيح تفاصيل في عمليات التفاوض والتساوم التي حدثت في مشاهد عديدة وربما من أطرافها اكتشاف برجينسكى أن مناحم بيجين "مفاوض كذاب" من خلال قصة لها طرافتها . . إلخ .

ولكن مالم ينجح فيه هذا البرنامج نهائياً . . بل مايفسد كل هدف منه يتمثل فيما يلي :

١ - أنه وفى الوقت الذي ركز فيه على هزيمة ١٩٦٧ وماأحدثته من خسائر وآثار، فلقد اختزل العديد من الأمور الحيوية التي ماكان لبرنامج عربي في قناة فضائية عربية أن يختزلها بهذا الشكل المتعسف وهذا يتمثل في الآتي :

- في الوقت الذي يبدأ الجزء الثالث (٢٥/ ٤/ ٩٨) بمقولة هذا المذيع الذي يعلق على صورة فيلمية لجولدا مائير فيقول " . . . زارت جولدا مائير قواتها بصحراء سيناء بالقرب من قناة السويس بينما القصف المدفعي يتواصل . . " فيظن المشاهد أن هذه الصورة الشجاعة للعدو ستتوازن بعد حين بأن يذكر الفيلم مثلاً شيئاً عن الشهيد عبدالمنعم رياض على سبيل المثال لا الحصر الذي استشهد عند حافة قناة السويس وهو يدير أشرس المعارك ضد العدو في حرب الإستنزاف . . . إلاّ أن الفيلم اكتفى "بشجاعة جولدا" دون أي ذكر لمرحلة حرب الاستنزاف التي استمرت شهوراً طويلة مارست فيها

قواتنا الباسلة كل ألوان البطولة بدءاً بتدمير إيلات . . المدمرة وانتهاء بتدمير ميناء إيلات الإسرائيلي ثلاث مرات متتالية . . . ! !

- اختزل الفلم أمر محاصرة ثغرة الدفرسوار الإسرائيلية غرب القناة مع عدم الإشارة إلى أن قواتنا العربية المصرية الباسلة كانت على وشك أن تبيد هذه الثغرة تماماً إلاّ أن تهديدات كيسنجر المباشرة بتدخل البنتاجون في حالة تدميرها والإعتراف للسادات بقدرة قواته على تدمير الثغرة قد حال دون ذلك . هذا بالإضافة إلى ماراۤه السادات أنها ستؤدى إلى مزيد من حمامات الدماء التي تتعارض ومحاولات الحل السلمي وانتهاجه . . . . . المشكلة هنا تكمن في أن الفيلم وبدلاً من أن يركز على حقيقة ما حدث في الثغرة فهذه فرصة أي فيلم موضوعي عن الأحداث . فإذ به يكتفى بإظهار فيلم عن نشوة شارون بعبور قواته إلى غرب القناة . . (حيث المصيدة) ويكتفى بإظهار بعض الفلاحين المصريين العزل من السلاح غرب القناة ممن رفعوا العلم الأبيض استسلاماً . . . ثم قفز بعد ذلك إلى مشهد فك الاشتباك وتسليم عشرات الجثث الملفوفة بالعلم المصري لشهدائنا الأبرار ! ! . . . أين " على الأقل " التوازن؟ ! . .

أين مشهد عشرات الأسرى الإسرائيليين؟ ! أين جثث موتاهم التي سلمت لهم على مدى تلك الفترة وأثناء تعمير القناة والتي كانت تذكرهم حقيقة ماحدث بل ورؤى العدو نفسه بأن ثغرة الدفرسوار

كانت أكبر مازق وأكبر مصيدة دخلها العدو الإسرائيلي؟ !

. . إذا كان البرنامج يدعى في الدعاية القبلية له أنه يذيع أسراراً لأول مرة فأين ماقامت به قوات الكوماندوز المصرية والجزائرية والمغربية غرب القناة والتى جعلت وجود العدو بغرب القناة جحيماً لايطاق!

أين المعلومات عن ملحمة السويس ومنع العدو من إحتلالها رغم عدم وجود قوات كافية . . . بل كانت هناك وحدة قليلة العدد وأغلبها من المقاومة الشعبية؟ لقد رأى الفيلم أن يصور فقط بعض الفلاحين العجائز والغلابة العزل من السلاح؟ ! ! هل هذا برنامج عربي في قناة فضائية عربية؟ ! . . . لقد تمكن القائمون على البرنامج من إنفاق المال الوفير من أجل حوار مع هنرى كيسنجر وغيره في أمريكا .

وكنت أتمنى أن يقرأ معد الفيلم ما كتبه كيسنجر في كتابه بعنوان " سنوات الغليان " والذي سجل فيه وقائع في غاية الأهمية يعترف من خلالها بالتهديد الذي وجهه للسادات . إذا ماأقدم على تدمير الثغرة . . . واعترافه بأن السادات قد تمكن من " تشنيج " وتثبيت وقف إطلاق النار ليتمكن من محاصرة الثغرة ، وذلك بطلب للاتحاد السوفيتي الوجود غرب القناة ولامريكا الوجود بشرق القناة حتى تحركت القوات السوفيتية استجابة له بعد أن طردها من مصر وكانت تنتظر أي فرصة لتعود مرة أخرى إلى المنطقة فتسبب في إعلان حالة

الطوارئ النووية ولعب على أحبال تثبيت القوتين العظميين لبعضها البعض، خاصة بعد نزول معدات وقوات أمريكية إلى أرض المعركة وقتال قواتنا لمدة عشرة أيام كاملة لهذه القوات . . . وهو الأمر الذي أغفله الفيلم تماماً .

. . كنت أتمنى أن يسأل معد البرنامج كيسنجر عما كتبه ليظهره في وجه الدعاية الإسرائيلية السافلة التي زيفت التاريخ وتدوينه وكتبه ! !

لقد أشتكى وأنتقد تشومسكى عدم وجود رؤية تأريخية مدونة . لأحداث الحرب والصراع من وجهة نظر عربية (حوار مع كاتب السطور من أخبار الأدب) (٣/ ١٠/ ١٩٩٣) . . وكان مثل ذلك الفلم فرصة لنا لا علينا ! !

٢- أن النقد الأهم هو أن أي برنامج إعلامي حتى وإن أدعى "أنه وثائقي لايتدخل ! ! " فإنه لابد وأن يكون له هدف . . . أن هدف مثل هذا البرنامج كان لابد وأن يدخل في إطار دبلوماسية المسار الثاني التي ينبغي أن تنشغل . خاصة بعد جمود المسار الأول بتشكيل " ذهنية العدو في اتجاه أهدافنا الإستراتيجية . . . فهذا العدو عندما نذكره من خلال مثل هذا الفيلم بخسائره وكيف أنه هزم؟ وكيف أنه عندما صدق كذبه وعاش في أوهامه . . فإنه أفاق على أوضاع تنفجر وهزيمة تلحق به . . . وإذا كان هناك احتلال وتدنيس للأرض كان هناك تطهير وتحرير بإذن الله . . . أين تكثيف هذا البعد في فلمنا العربي؟ !

المشكلة الحقيقية أن الفلم أخفق في استيعاب ماينبغي أن تكون عليه دبلوماسية المسار الثاني والاستخدام الفعال لها وأهم معطيات هذه الدبلوماسية التي يأتي الأعلام ومثل تلك الأفلام كأهم أدوات لها. كان من المفترض أن نقدم من خلال مثل هذا الفلم إجابات للأسئلة التالية الهامة في إطار صرآعنا الممتد مع إسرائيل:

١ - كيف صور العدو أحداث الحرب والصراع خاصة انتصار أكتوبر رمضان ١٩٧٣؟ . . وهنا سنجد التزييف الكبير للأحداث التي يهدف منها العدو إلى إلحاق اليأس بنا وسحب ورقة أن يهزم ويسحق في المعارك؟ فهل قاومنا هذا التزييف في هذا الفلم بالشكل اللائق أم تركناه جانبا؟! مع الأسف لقد تم تصوير نقاط الاختلاف في رؤية وتدوين التأريخ على نحو ويقترب من وجهة ومقولات العدو دون أن نشعر!!

٢- ماذا عن دبلوماسية المسار الثاني التي يوظفها العدو والتي تهدف إلى التأكيد على أن العرب ظاهرة صوتية يتناحرون دائماً . . لايمكنهم التوحد على الرأي . . التناقض سمتهم؟ . . . ماذا فعلنا تجاه هذا الأمر؟! مع الأسف اختزل الفيلم عظمة التوحد التي حدثت في ١٩٧٣ ومحا استخدام سلاح البترول وأظهر التناقض الداخلي بشكل مؤسف، ولقد ظهرت "بشائر النجاح" عندما أصدر الديوان الملكي الأردني بيانا يستنكر ماوردبخصوص الأردن . . . كنت أتمنى مثلي

مثل الملايين الذين شاهدوا الفيلم أن نشعر بأن هناك تصحيحاً للزيف الإسرائيلي والعمل على استفاقة هذا للعدو بإظهار حقائق الصراع التي زيفها حتى يتوقف عن استخفافه بنا وكنت أتوقع أن نظهر أكثر الأوجه الإيجابية المشرقة للتضامن بدلاً من إظهار التناقض وصور الهزيمة بل وصور تخدم العدو دون قصد طبعاً . !!

لابد لإعلامنا أن ينهض ويتحرك ويتغلب على سلبياته الماضي .

والله ولي التوفيق . (كاتب السطور – الأهرام ٦/ ٥/ ١٩٩٨)

***

الفصل الرابع

: دبلوماسية المسار الثاني والسيناريوهات الأربعة للصراع العربي الإسرائيلي

تـقــــديـم:

إذا أريد لدبلوماسية المسار الثاني أن تنجح وتكون فعالة فلابد وأن تكون مرتبطة برؤي استراتيجية قادرة على تصور سيناريوهات محددة بخصوص صراع ما، وهناك مستويات عديدة يمكن النظر إليها وتكوين رؤي استراتيجية وسيناريوهات مستقبلية على المدى البعيد أو القريب ووضع خطط واجراءات تنفيذية بخصوصها على صعيد الممارسة، وإذا قلنا إننا ينبغي وأن ندير ممارسات دبلوماسية المسار الثاني بعلمية وتخطيط ورؤي استراتيجية على عدة أصعدة خاصة فيما يتعلق بهذا الصراع المتدمع الدولة العبرية ولعل ما استوقفني حديثاً في هذه الأونة هو خطاب أل جور نائب الرئيس في واشنطن (٦/ ٤/ ٩٧) حيث ورد عنه قوله:

" إننا ونحن في هذا الاجتماع نتذكر ثيودور هيرتزل والمؤتمر الصهيوني الأول في بال، وكتاب هيرتزل " الدولة اليهودية " وكيف أنه توقع قيام هذه الدولة خلال. ٥٠ سنة، وأصاب، فقامت " حديقة

غناء وسط الصحراء " على حد قوله، وحد قول الدعاية الصهيونية (٢١).

ومع الأسف هناك الكثير مما قيل ووضعت له الرؤي الاستراتيجية وتم تنفيذه بنجاح على الصعيد الإسرائيلي، ولايزال هذا الجانب حريص ويعمل بجد حتى وإن كانت توجهاته ضالة وعدوانية، ولاشك أن توقعات هيرتزل وبن جوريون وغيرهما لم تكن مجرد توقعات وإنما هي رؤي استراتيجية تبعتها أدوات ومفاهيم تم ترسيخها في الوجدان اليهودي وعلى أصعدة التأثير الأوروبي والأمريكي وبعض ضعاف النفوس على الجانب العربي على صعيد الممارسة الفعلية، فلا عجب أننا "نُفاجأ" . . فلقد " فوجئنا " بحروب إسرائيل المباغته "وفوجئنا" بجيش صدام يحتل دولة عربية شقيقة " وفوجئنا بنتنياهو وأفعاله! . . . إلخ . . . ثم "نفاجأ" بأن مايقوله هؤلاء الصهاينة يتجسد في كثير من تحركات إسرائيل وأمريكا معاً وعلى الصعيد الرسمي.

تلك المظلة الإعلامية!

بالإضافة لتلك المظلة النووية- التي تمتلكها إسرائيل، فهي تمتلك مظلة أخرى ليست أقل تأثيراً وهي المظلة الإعلامية وفي إطار المظلتين تتحرك بهوس وزخم ايديولوجي عقائدي وتطرف خاطيء لابد وأن تدفع إسرائيل ثمنه غالياً في نهاية المطاف، إلاّ إنها لاتدخر أي جهد في

محاولة الامساك بالاسباب والأخذ بها فهي تفتخر، مثلاً بحقيقة أن عدد المراسلين الأجانب لديها يفوق أي عد د موجود في أي دولة أخرى من دول العالم ماعدا واشنطن ويمتلك الإسرائيليون مهارات التعامل مع وسائل الإعلام ونتنياهو لايفارق أجهزة الإعلام وفي يوم واحد عقب إعلان اتفاق الخليل سجل ١٦ حديثاً، ولقد كان لاتفاقيات السلام مع مصر والأردن ما أفاد هذا التواجد الإعلامي للمراسلين بهذا القدر، حيث أنهم يمكن وأن ينتقلوا بسهولة أكثر في ارجاء المنطقة هذا بالإضافة إلى امتلاك اليهود لأهم مراكز وشبكات الإعلام في العالم ومهارتهم في الدعاية والحركة السريعة خاصة في إيقاع عالم اليوم حيث أصبح التسحلف شأن البعض والسرعة المبهرة إيقاع البعض الآخر إلى الحد الذي تغير فيه المثل الانجليزي القديم الذي كان يقول " البقاء للأصلح " " SURVIVAL FOR THE FILTEST " ليصبح " البقاء للأسرع " SURVIVAL FOR THE FASTEST في إطار هذه المقدمة وإذا كان لنا أن **نحاول القيام بهندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني** فعلينا أولاً أن نرصد هنا تلك السيناريوهات الراهنة القريبة والبعيدة المدى من أجل دفع آليات عديدة وتدشين قنوات لدبلوماسية المسار الثاني وتدريب الدبلوماسيين والإعلاميين بخصوص المهارات اللازمة لانجاح هذه الدبلوماسية لصالح إحقاق الحقوق العربية والإسلامية المشروعة ومواجهة هذا الصراع الممتد بكل ثقة وإيمان بالله تعالي والآخذ بالأسباب.

تعريف السيناريو

ولعل من المهم وقبل أن نرصد تلك السيناريوهات أن نذكر و بإيجاز مايهمنا هنا في إطار فهم وتعريف وسمات "السيناريو" وهي بإيجاز مايلي:

- إن السيناريو ليس موقف استاتيكي ثابت.

- إن السيناريو يعني رصد جيد للظواهر الراهنة.

- إن السيناريو قد يكون قصير المدى أو بعيد المدى ولكنه دائماً يصف مخارج بديلة لموقف ماقد يحدث مستقبلاً. ومن صياغة السيناريو السليم أن نقوم بعرض النتائج المحتملة والمتعددة التي يمكن وأن تحدث نتيجة أفعال محددة.. ووجود تصور لمثل هذه السينايوهات بشكل جيد يمكن الطرف المعنى بالتفكير في المستقبل بطرق مختلفة. وإن السيناريوهات الجيدة تعتمد في صياغتها وتكوينها على تحليل وتفسير جيد للخواص الراهنة بخصوص موضوع ما. ولذلك، فإن السيناريو ماهو إلاّ أداة للتخطيط الاستراتيجي. ومن خلاله يمكننا وأن نحدد ما الذي ينبغي وأن نقوم بعمله لتأمين الهدف أو النتائج التي نريد أن نحققها.

إن السيناريو يعني أن المستقبل وماسيحدث فيه ليس بالشيء الثابت ولكن- وبعد عون وأمر الله جل علاه- يمكن وأن نتدخل فيه

من خلال ماتتخذه اليوم من قرارات سواء كان الأمر على مستوى الأفراد أو المنظمات أو المؤسسات أو الدول .

ومن الممكن وأن نقول أن السيناريوهات قد تستخدم لتحقيق مايلي :

● تجنب أن نؤخذ على حين غرة وبمفاجأة في غير صالحنا .

● إن من شأن الصياغة الأمينية لسيناريوهات ممكن وأن تحدث أن تتحدى الخرائط الذهنية التي اعتدنا على وجودها في إطار متغيرات تعمل في احداث مواقف معينة في المستقبل . . أي وبكلمات أخرى أن نتدرب على كيفية صياغة السيناريو بتحرر من الإفتراضات المسبقة (PRESUPPOSITIONS) .

● إن السيناريوهات تمكننا من ملاحظة علامات ومحطات التغير والتغيير .

● إن السيناريوهات تمكننا من اختبار استرتيجيتنا تجاه التعامل مع موضوع ما والعمل على إيجاد تلك الاستراتيجية التي تتعامل مع نفس ذات الموضوع في إطار تغيرات محتملة في المستقبل .

● إن تكوين وصياغة السيناريوهات تحتاج إلى مايلي :

☐ وجود خبراء من مجالات مختلفة على مستوى متميز يمكنهم فهم الحاضر ومايحدث به جيداً .

- أن تكون لديهم قدرات تحليلية استراتيجية (GLOBAL DISCOURSE ANALYSIS SKILLS) بحيث تمكنهم أن يرصدوا سمات وخواص وعناصر يمكن التبنوء بشكلها وتأثيرها في المستقبل (٢٢)

- تحديد مجالات الغموض والصعوبة بخصوص موضوع أوصراع ما .

- اقتراح مخارج ممكنة لموقف متأزم في المستقبل بأخذ كل وجهات النظر المتنازعة والمختلفة والمتضادة بعين الاعتبار .

من هنا يمكننا وأن نربط بين عناصر السيناريو التقنية السابقة هذه وبين مفهوم دبلوماسية المسار الثاني بحيث يمكننا توجيه أدوات وقنوات دبلوماسية المسار الثاني في إطار من أفكار وعناصر مفهوم السيناريو خاصة تلك التي تفيد بتحريك توجهات الأطراف الأخرى وتوجهاتنا لإحداث ناتج مستقبلي ما في صراع أو موضوع ما (٢٣) .

***

أهم أنواع السيناريوهات

موضوع السيناريوهات وأنوعها وارتباطها بطرق تقنية ومفاهيم لغة الخطاب وتفاعل الخطابات هو موضوع محل دراسة تفصيلية أخرى يقوم بها كاتب السطور ولكن من المهم أن نشير هنا وبإيجاز شديد لأهم أنواع السيناريوهات الرئيسية وهي كمايلي :

١- النمط الحدسي INTUTIVE PATTERN

هو استشراف يتسم بالذاتية أي أنه لايستند إلى قاعدة موضوعية من البيانات والاحصاءات، بل ينبثق من رؤية جديثة يقوم بها من يمتلك الرؤية بشكل فطري (VISIONARY MEN) وهذا النمط يعكس ذاتية الباحث وخبراته المتراكمة وحسه بالأشياء والأحداث وهو أقرب إلى النظرية الاستدلالية DEDUCTIONISM ومايتمخض عنها من نظريات تسمى أحياناً "بنظريات الكرسي الهزاز" أي أن الذي يفكر في السيناريوهات بهذه الطريقة كأنه في وضع تأمل عميق وكأنه يستمتع بالتركيز الذي يشعر به وهو جالس على كرسي هزاز ومستغرق في الفكر.

٢- النمط الاستطلاعي أو الاستكشافي

EXPLORATORY PATTERN

وهو ذلك الاستشراف الذي يبدأ - بالوضع الراهن مع الأخذ

بعين الاعتبار المعطيات التاريخية ذات الصلة، ثم نقوم بعد ذلك بمحاولة التعرف على البدائل المستقبلية أو المستقبلات البديلة (ALTERNATIVE FUTURES) لاختيار مانريد أنا نقوم بتفعيلة وتوجيه التفاعلات نحوه. وهذا النمط يعتمد على قاعدة موضوعية من البيانات والمعلومات الصحيحة على أن نقوم بتحليل كمي وكيفى لها، للتأكد من الافتراضات التي بنينا عليها "المستقبلات" لكي ننقيها من احتمالات الذاتية التي عادة ماتصاحب تكوينها عن الشروع في صياغتها.

٣- النمط الاستهدافي أو المعياري

NORMATIVE PATTERN

وعلى عكس النمط الاستطلاعي، يبدأ الاستشراف الاستهدافي برسم صورة المستقبل المستهدف تحقيقه ثم نقوم باتخاذ سلسلة من القرارات الخاصة بتنفيذ الهدف. وهذا النمط يحتاج إلى عناية كبيرة بمفاهيم وبعد " الإرادة البشرية؛ حيث إنها التي تصيغ الأحداث وتدفع إلى توجيهها إلى اتجاه نتدخل فيه طبقاً لإرادتنا. . . وهذا النمط هو الأقرب لجوهر ثقافتنا الإسلامية ومايدعو إليه ديننا الحنيف فهو أكثر المفاهيم ارتباطاً بمفهوم ؛تفاوض اعادة الهيكلة" .

٤- نمط "أو نموذج " الأنساق الكلية"

FEED BACK MODELS

وهذا النمط يعني في واقعة التوفيق بين النمطين الرئيسيين وهما الاستطلاع والاستهداف والجمع بين مزايا كل منهما .

وهو يستلزم تجميع أكبر قدر من المعلومات وحساب ودراسة تداخل النصوص وسياقاتها ذات المستويات المتعددة .

إن من الضروري الآن أن نرصد وبعد التعريف التقني للسيناريو . . . أهم سيناريوهات الصراع العربي الإسرائيلي المتصورة والحجج والمفاهيم الحاكمة التي تستند إليها في إطار ممارسات دبلوماسية المسار الثاني الإسرائيلية أساساً وذلك من خلال الجدول التالي رقم (٢) .

جدول رقم (٢) سينار يوهات الصراع العربي الاسرائيلي ودبلوماسية المسار الثاني

السيناريوهـات	تفعيل المفاهيم الرئيسية وترسيخاها في ذهنية المتلقى عبر قنوات دبلوماسية المسار الثاني: على الصعيد العربي	تفعيل المفاهيم الرئيسية وترسيخاها في ذهنية المتلقى عبر قنوات دبلوماسية المسار الثاني: على صعيد الغرب وساحاته المختلفة.
سيناريو رقم (١) *الحجة الرئيسية/" المفهوم الحاكم: الارض مقابل السلام* **توصيف** مرجعية مدريد- قرارات الشرعية الدولية- المباراة غير الصفرية كأصلح مباراة لصالح جميع الأطراف- فتح مجالات للتنمية للجميع أنهاء الصراع. **سيناريو رقم (٢)** *الحجة الرئيسية/ المفهوم الحاكم: "السلام مقابل الامان* **توصيف:** سلام الردع- تصفية القضية بدلاً من حلها- "استنساخ "القدس" في أحسن الأحوال!- استمرار عملية التوطين.	★ **إظهار القوة العسكرية الرداعة بأشكال وصور متعددة.** - ترويج اخبار صفقات السلاح. - ترويج صور التعاون الإستراتيجي غير المحدد مع الولايات المتحدة. - تسريب معلومات عن طبيعة وعدد الرؤوس النووية مع استمرار الانكار الرسمي- ترويج اخبار عن تسرب الاشعاع من مفاعل ديمونة في اطار تكثيف احساس العرب بأن السلام النووي الاسرائيلي هو سلام مسلط عليهم.	★ **اختزال وتشويه الاحداث في العالم العربي والإسلامي لخدمة صور معينة.** * تزييف تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي على كافة المحاور (راجع مقال لكاتب السطور بملحق الدراسة بعنوان مصر "٥٦ ودبلوماسية الثقافة الوقائية (الاهرام ٢٠/٦/٩٦ و "المفاوض العربي والقوة الاستراتيجية لنصر اكتوبر(الاهرام ٤/٣/٩٣) و" دروس المستقبل الصراع الممتد" (الاهرام ١٠/١٢/٩٦). * ترويج خطاب معاداة السامية محاكمة كل من ينتقد اسرائيل. * تقليب أوضاع الجاليات العربية الاسلامية في الولايات المتحدة والغرب وترويج مفاهيم مثل" الخوف من الاسلام **(Islamophobia)**" و" الغواصاً البشرية المختفية"

سيناريو رقم (٣)

الحجة الرئيسية/ المفهوم الحاكم: "تجميد عملية السلام

توصيف: طبقاً لمعطيات الموقف من حيث توازن القوى، ضعف وانحياز دور الوسيط يكون من الأفضل تجميد عملية السلام كأفضل الحلول بدلا من اندلاع الحرب التي قد تستخدم فيها اسلحة دمار شامل

سيناريو رقم (٤)

المفهوم الحاكم: "تفتيت المنطقة العربية ثم التوسع على حساب البلدان العربية (البلقنة)

توصيف: - تكثيف الصراعات الداخلية في الوطن العربي تمهيدا لتفتيت المنطقة مع استغلال أوضاع عالمية تسمح بمزيد من التوسع لإنشاء اسرائيل التوراتية حينما تسنح الفرصة.

* إظهار حاجة اسرائيل إلى الطمأنة من جيرانها وعدم ممارسة أي تهديد لها وإلا فإنها توظف نظرية الدولة المجنونة
* المسارات المنفردة في التعاون والسلام.
* التطبيع كمطلب في كافة الأحوال.
*تدعيم مفهوم "الشرق أوسطية" بحيث يكون على حساب النظام العربي.
* الالتفاف حول أسواق توريد السلاح للدول العربية.
* تعميق فكرة نزع اسلحة الدمار الكيماوية والبيولوجية أولا (وآخرا).
* اقامة تحالفات (عملاء) في الوطن العربي تساعد اسرائيل في الترويج لما تسعى إليه.

* الترويج لخطاب المحرقة لا بتزاز الغرب والعالم مع تعميق فكرة الخطر العربي المدمر الذي يتوجب حشد الطافات ضده "راجع مقال لكاتب السطور " إلى متى تظل اكذوبة الهولوكست تسطير على كتابات الغرب واعماله" (البيان ٨/ ٩/ ١٩٩٤).
* بناء الجسور القوية مع المسيحية الصهيونية **Christian zionist** (راجع مقال كاتب السطور بعنوان " التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه (الاهرام ١٩/ ٢/ ٩٢).
* الالتفاف حول ومحاولة تشويش أى علاقات ايجابية بين العرب والولايات المتحدة والغرب بصفة عامة (راجع مقال كاتب السطور بعنوان" بين لغة الدعاية والحقيقة في مثلث العلاقات المصرية الامريكية (الاهرام ٢٨/ ٢/ ١٩٩٥)
* الترويج لمشروعية توطين اليهود في أرض الميعاد واغلاق اى باب امام عودة اللاجئين الفلسطينين حتى في أحسن الأحوال والسيناريوهات.

وبإيجاز نفصل ماورد في الجدول رقم ٢ فيما يلي :

السيناريو رقم (١) : إن الحجة الرئيسية أو المفهوم الحاكم هنا أن يتم ومن خلال التفاوض مقايضة الأرض بالسلام وفي هذا إستناد إلى مرجعية مدريد وقرارات الشرعية الدولية ورغم التعثرات والتفسيرات المختلفة إلاّ أن هذا السيناريو تؤيده كمنطلق أساس ؛ بعض قطاعات الرأي العام الإسرائيلي وحاول أن يوظفه كل من بيريز ورابين بشكل أو بآخر في إطار الوصول إلى تسوية تعتمد على عدم ممارسة المباراة الصفرية ليس من منطلق قناعة عميقة ولكن من منطلق أن هذا السيناريو يحقق مصالح إسرائيل الإستراتيجية ولا ينفي مطالب العرب المشروعة ولكن هذا السيناريو وهو ماسعت الأطراف العربية من خلال جهود عديدة ومحطات هامة منها حرب أكتوبر / رمضان ١٩٧٣ والانتفاضة إلى تشكيل ذهنية إسرائيل في اتجاهه ولكنه سيناريو قد تعثر بمقتل رابين وتولى نيتنياهو السلطة . وبفعل تداعيات أخرى .

السيناريو رقم (٢) :

ومفهومه الحاكم " السلام مقابل الأمن " وهو الذي بدأ في تجسيده نتنياهو بعد تقويض المفهوم الحاكم للسيناريو وينطلق من الحجة القائلة " بالأمن مقابل السلام " وهي كما يلي :

- يوضح نتنياهو هذه الحجة بقوله أن الأمن مقابل السلام " ينبغي

وأن يطرح الآن بعد "تنفيذ" مبدأ الأرض مقابل السلام، فهو يدعى بأن إسرائيل قد نفذت فعلاً قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لأن انسحاب إسرائيل من سيناء يعتبر " الانسحاب من أراضي احتلتها طبقاً لنص ٢٤٢ وهذا القرار يدعو إلى وقف جميع التصريحات المتعلقة بالحرب أو حالات الحرب والاعتراف بالسيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لجميع دول المنطقة وبحقها في العيش في سلام ضمن حدود آمنة معترف بها ويقول إن إسرائيل تعترف بكل ذلك وينبغي على الدول العربية أن تنفذ مانص عليه القرار ٢٤٢ من التزامات !! أضف إلى ذلك أن إسرائيل بمقتضي اتفاق الخليل وتنفيذه قد تركت مزيد من الأرض!!

- إن من حق إسرائيل أن تقيم المستوطنات وأن تبنيها في أي مكان وخاصة القدس وهذا لايمثل انتهاكاً لأي قرارات فالقدس هي العاصمة الأبدية والموحدة لدولة إسرائيل!!

إن ومن وجهة نظر نتنياهو أن العرب لايفهمون إلاّ لغة القوة والاجبار وأنهم يكتفون بترديد الرفض والتهديد بالكلام الأجوف واللجوء إلى أطراف أخرى للضغط كالأمم المتحدة أو محاولة طلب ذلك من الوسيط الأمريكي الذي يفهم ويقر بأن أسلوب الضغوط خارج إطارات التفاوض المباشر بين الإسرائيليين والفلسطينيين أسلوب مرفوض ويزيد الأمور سوءاً. (ومن ثم فهذا الوسيط يستخدم

الفيتو من أجل عدم إدانة إسرائيل ويقف في صف إسرائيل في مواجهة الجميع .

● إذن فإن مفهوم الأمن مقابل السلام هو مفهوم حاكم لسياسة نتنياهو وأنه من وجهة نظره معقول وحاشى مع فكرة سلام الردع التي يؤمن بها .

● أما النقطة الأخيرة بخصوص هذا السيناريو هو أن تتم تكملة تصفية القضية الفلسطينية بدلاً من تسويتها وطبقاً لهذا فالمطروح هو عدم عودة اللاجئين الفلسطينين وإقامة ترتيبات على أن يتم استيعابهم في الدول التي يعيشون فيها عربية كانت أم أوروبية وهذا يتم الترويج إليه منذ فترة طويلة في كتب وكتُيبات صدرت ويروج لها خاصة في واشنطن ، كذلك إذا كان لابأس من المضى قدماً فليُعطي الفلسطينيون قرية تسمى " أبوديس " ليسمونها بالقدس الشرقية مع بعض التنازلات الطفيفة الأخرى في الضفة الغربية بحيث لايكون هناك أي اتصال بين المناطق الفلسطينية حيث تقطعها المستوطنات اليهودية . . . وبهذا يكتمل سيناريو " الأمن مقابل السلام ويتم تصفية ملف القدس والقضية الفلسطينية برمتها . !!

السيناريو رقم (٣) :

ويستند مفهومه الحاكم إلى حجة تجميد عملية السلام ولقد أورد هذا السيناريو ريتشارد هاس (HASS) مستشار الرئيس الأمريكي

السابق چورچ بوش في مجلة الشؤون الأجنبية FOREIGN AFFAIRS الصادرة في سبتمبر ١٩٩٦ .

ويرى هاس أن التسوية النهائية تتطلب تنازلات حقيقية من الأطراف المتصارعة وهي بالنسبة للأطراف كلها تعتبر تنازلات تتخطى مايمكن قبوله أو احتماله .

ويضيف هاس قائلاً أننا بصدد وضع قلق عرضة للأنهيار ، وإذا ماأنهار ، فقد تتعرض المنطقة برمتها لمخاطر ضخمة " فليس هناك مايقطع ، في حالة نشوب حرب ، بأن تظل معاركها مقصورة على الأسلحة التقليدية . . . إننا بصدد ظرف لا هو بحرب ولا هو بسلام ، ولابد أن تكتشف الدبلوماسية وسيلة للتكييف لهذا الظرف الجديد ، مع اعتبار **أنه ظرف سوف يستمر** ، مع ماينطوى عليه من هشاشة " وأخطار مهولة " . . . .

ويضيف هاس قائلاً أن السيناريو الأفضل الوارد تصوره مستقبلاً لايتمثل في إنجاز تسوية شاملة (كما في السيناريو رقم (١) المبنى على مرجعية مدريد و " الأرض مقابل السلام " ، أما السيناريو الذي كان الجميع يقولون بأن يتجمد الحال وتتجمد عملية السلام على أنها تساوى الرجوع إلى المربع رقم ١) ، فهو بالنسبة لها - من منطلق الظروف الراهنة يمثل حالياً **السيناريو الأفضل** . . أي أن يتجمد الحال كما هو عليه وأسوأ سيناريو أن يتدهور إلى حد نشوب حرب قد

تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل . . .

ويضيف هاس قائلاً إن الأمور في الوقت الراهن تتخطي شخص نتنياهو ، فمن وجهة نظره أنه على الأرجح أن تكون الأطراف كلها قد أكتشفت أن مصلحتها تقضي بابقاء الأوضاع على ما هي عليه بدلاً من مواصلة مسيرة تتطلب تنازلات متبادلة غير مقبولة لكل طرف .

ومن ثم فإن من متطلبات هذا السيناريو (كأفضل السيء) أن تتكيف الأطراف على التعايش مع هذه الحالة المتجمدة دون الوصول بها إلى نقطة الانهيار التام . أي وطبقاً لهاس تجنب الأسوأ لا اللهث وراء هدف غير واقعي ووهمي ومجرد سراب .

ويقترح هاس ثلاثة مداخل للتخفيف من وطأة الوضع الحالي وهي :

١ - أن تنسحب إسرائيل مثلاً من جنوب لبنان ، بغض النظر عما تفعله سوريا . . . من منطلق أن هذا يجنب إسرائيل مشاكل ويحرج سوريا ويترك الكرة في ملعبها للرد بايجابية على هذه الخطوة . .

٢- اتخاذ الأطراف إجراءات لبناء الثقة بدلاً من ترك الأمور تتدهور نحو ما هو أسوأ . كأن تنفذ حكومة نتنياهو بعض إن لم يكن كل عمليات الانسحاب المقررة بمقتضى اتفاقات أوسلو (٢)

٣- الاتفاق على آليات للإنذار المبكر المتبادل تجنباً لمفاجأت هي

نتاج تصاعد الموقف على غير ماتريده الأطراف. (٢٤)

السيناريو رقم (٤):

ومفهومه الحاكم هو سعى إسرائيل إلى تفتيت المنطفة العربية وتقويض النظام العربي وهو سيناريو مبالغ فيه ويفترض أن الأطراف العربية لن تنتبه إلى أهمية العمل الجماعي العربي واحتواء الصراعات العربية العربية وإقامة سوق عربية اقتصادية وقيادة عسكرية مشتركة لردع إسرائيل والاحتفاظ بالحد الأدنى من مستوى الفعل المطلوب ولقد أثار مثل هذا السيناريو في الثمانينات المفكر السياسي وعالم اللغويات نوم تشومكي حين ذكر في كتابه المثلث المحترم أن:

" إن هدف إسرائيل هو مايمكن تسمية بعثمنة المنطقة العربية OHOMANIZATION ، والمقصود بذلك هو الرجوع إلى نظام الأمبراطورية العثمانية (بشكل مغاير)، أي إيجاد مركز قوي يهيمن على المنطقة بعد أضعافها.

وتقسيمها إلى أجزاء وجماعات دينية وعصبية، ومن المفضل أن تكون هذه الجماعات في حالة عداء دائم لبعضها البعض ليسهل على مركز القوة ("إسرائيل" الآن بدلاً من تركيا أيام الدولة العثمانية) مباشرة السيطرة التامة عليها. " (٢٥)

- وفي إطار الحديث عن سيناريو التفتيت أو "البلقنة" أو "

العثمنة" فإن هناك مايتردد ويتفق مع هذا السيناريو وهو ماعرف بنظرية **الكيانات الصغيرة والكنتونات** وهنا نلاحظ أن مفاهيم دبلوماسية المسار الثاني (الصراعية) قد جسدت مفاهيم مثل :

- " الكونفدرالية" في المنطقة العربية كأحد المفاهيم التي صاحبت ترويج مفهوم الشرق أوسطية كأن تقوم كونفدرالية أوسع نطاقاً بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل والأردن لتكون هذه الكونفدرالية هي محور التحرك الشرق أوسطي الجديد، بحيث يكون تكتل تسيطر عليه إسرائيل.

- مع هذا التكتل الكونفيدرالي الذي يعكس وجود تكتل شرق أوسطي يتم - طبقاً لهذا السيناريو- محاولة بلقنة بلدان عديدة وتحويلها إلى كيانات صغيرة والبداية هي تقسيم العراق بحيث تكون هناك دولة اللاكراد في الشمال وثانية للشيعة في الجنوب وثالثة للسنة في الوسط لتتجمع في **كونفيدرالية عراقية !**

تقسيم السودان إلى دولتين أحدهما في الشمال والأخرى في الجنوب.

- أما مصر فينبغي طبقاً بهذا السيناريو - أن تكون ثلاثة دول. (والعياذ بالله) مسلمة ومسيحية ونوبية تجمعها كونفدرالية ولعل مؤتمر ماعُرف بمؤتمر الأقليات في مصر قد فتح النقاش حول هذا الأمر. (٢٦)

وهناك تصورات طبقاً لسيناريو التفتيت هذا لن تكون أي دولة عربية قائمة اليوم بعيدة عنه.

- ولقد أفاد مؤرخ إسرائيل يُدعى مارتن فان كويفيلد (في حوار مع مجلة نيوزويك ١٧/ ٤/ ٩٥ (٢٧) فيما يتعلق بحروب القرن القادم فقال:

إنها حروب يتم خوضها الآن كمانشاهد في البوسنة والصومال وانجولا وكردستان ولبنان وسري لانكا إنها حروب لاتمارس بين "دول" وإنما تزاولها نوعية أخرى من "الكيانات"، وهناك مايقرب من ثلاثين حرباً من هذا النوع"، وذكر... أن الحروب القادمة لن تمارس بالجيوش النظامية ولن تستعين بالاسلحة شديدة التقدم... وإن الذي يحل محل "الدولة ذات السيادة" هو كيانات فوق القومية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والنافتا وإلى ماذلك... وفي المقابل مئات والمئات من الكيانات دون القومية"... وقد لاتحمل الكيانات فوق القومية صفة أن الناس تولى لها الولاء... وإن ولاء أغلب الناس يذهب إلى كيانات دون القومية.. وقد يكون لهيئات اقتصادية أو لقبائل أو لعصبيات وبذلك أصبحت "الدولة" معرضة لضغوط من أعلى ومن أدنى."... ولعل من الكيانات دون القومية اليوم ينعكس في ولاء البعض للجماعات الإرهاب العديدة المنتشرة في عالم اليوم.

الفصل الخامس

أهم الاستنتاجات الخاصة بتحليل تفاعلات وممارسات دبلوماسية المسار الثاني في إطار الصراع الممتد

● إننا بحاجة ماسة إلى هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني، حيث أن معظم تفاعلات الصراع العربي الإسرائيلي وغيره من صراعات تقع في إطارها. . خاصة في هذه الآونة التي تعاني عملية السلام على المسار الرسمي الأول من مأزق كبير إن لم يكن انهياراً.

● إننا بحاجة ماسة إلى التدرب على التقنيات والمهارات اللازمة للممارسة الفعالة لهذه الدبلوماسية وهذه المهارات تتعلق بإتقان مهارات أنواع التفاوض الرئيسية والمتعددة مثل تفاوض الاستكشاف، تفاوض إعادة الهيكلة وتفاوض التأثيرات الجانبية والتفاوض الإعلامي. وإدارة الازمة في إطار هذه الدبلوماسية وصياغة السيناريوهات والتدخل بالتنسيق واستخدام الأدوات والسياسات المتعددة لتحريك الأحداث نحو السيناريو المفضل لأجندتنا. . . وهناك سياقات تفصيلة أخرى تتعلق بهذه المهارات لكاتب السطور(٢٨).

● لابد من إغلاق ملفات التناحر وعدم التقوقع في تفاعلات يستفيد منها الخصوم وعدم الخروج خارج إطارها بالسرعة المطلوبة ومواجهة الأمور الملحة التي ينبغي علينا مواجهتها بحسن تدبير وعلم وإيمان بالنصر . . . فلقد أوضحت هذه الدراسة أهم مراحل دبلوماسية المسار الثاني منذ بدء عملية السلام ورصدت أهم سلبيات محطات هذه الدبلوماسية . . . وهو الأمر الذي يستدعى تلافي الأخطاء الكبيرة التي صاحبتها .نتيجة لغياب التنسيق والاجماع على المفاهيم والمنطلقات السليمة التوجه من ناحية، وافتقاد أمور تقنية في إداء دبلوماسية المسار الثاني من الناحية الأخرى وهو ماأوضحته هذه الدراسة تفصيلاً .

● رصدت هذه الدراسة أهم سيناريوهات الحرب والسلام في إطار الصراع العربي الإسرائيلي وأوضحت عناصر كل سيناريو ونواحي التغذية القائمة والمحتملة لفرض وتحريك أسؤ السيناريوهات وهو ما أسميناه "بسيناريو التفتيت" ، ولاشك أن بأيدي العرب احتواء أسوأ هذه السيناريوهات بالتخطيط والتنسيق والفعل ولابد وأن يؤدي بكوادر مدربة في مجالات الدبلوماسية والإعلام أساساً سواء على صعيد طرق ووسائل تدعيم التضامن العربي والإسلامي أو على صعيد إيجاد منصات فكرية فعالة على أرض الواقع الأمريكي والغرب بصفة خاصة من شأنها تشكيل الذهنية لصالح اجندتنا أو على

الأقل تحييد وتفريغ القوى المضادة لنا والآخذة في النمو والسيطرة بسبب غياب المواجهة الصحية والفعالة لها . . . . كذلك لابد من التعامل مع الإعلام الغربي بشكل أفضل واستخدام المتاح من قنوات بما يخدم مصالحنا مع تعظيم تفعيل الشبكات الفضائية العربية القائمة والتي وإن أحسن توظيفها لقامت بدور أعظم بكثير من الدور الحالي الذي لايزال يتسم بالقصور الشديد ولايزال بحاجة إلى تحديث وصقل دوره وفعاليته .

ولعل من أهم ماينبغي تعلمه من دروس هو درس الخلل الاستراتيجي الذي حدث في أزمة خليج ١٩٩٠ والتي كادت أن تتكرر بشكل أخر في أحداث وسيناريوهات الأحداث التي رأيناها في ١٩٩٨ ومحاولة ضرب العراق والتدخل الدبلوماسي الفعال الذي منع هذه الضربة إلى وقت كتابة هذه الدراسة وهو ماسنتناوله في الجزء الثاني من هذه الدراسة .

*****

***

*

مراجع وهوامش

الجزء الأول من الدراسة

(1) MONTVILLE, JOSEPH "THE ARROW AND THE OLIVE BRANCH : A CASE FOR TRACK- TWO DIPLOMACY, " IN **CONFLICT RESOLUTION**: TRACK 2 DIPLOMACY, 5 TH ED., ED. BY JOHN W. MCDONALD, JV., & DIANE B. BENDORHMRANE, FOREIGN SERVICE INSTITUTE: WASHINGTON, D. C, 1987.

(2) BURTON, JOHN W. " TRACK TWO : AN ALTERNATIVE TO POWER POLITICS, " IN JOHN W. MOCDONALD, JV. AND PIANE B BENDRHMANE (EDS) .

PERSPECTIVE ON NEGOTIATION, FOREIGN SERVICE INSTITUTE; WASHINGTON, D.C. 1987.

(٣) حسن وجيه، "نحو هندسة عربية لدبلوماسية المسار الثاني" دراسة مقدمة للمعهد الدبلوماسي بوزارة الخارجية بالمملكة العربية السعودية" ندوة الاتجاهات الحديثة في التدريب الدبلوماسي الرياض مايو ٩٧ أيضاً في إطار هذا السياق راجع المراجع التالي:

HASSAN, M. WAEIH HASSAN, A LINGUISTIC ANALYIS OF MECHANISINS UNDERLYING POWER IN INTERNATIONAL PLLITICAL NEGOTIATIONS, A P I A. **DISSERTATION**, GEORGETOWN UNIVERSITY WASHINGTON D. C. 1989.

بخصوص تفصيلات الجدول رقم (٤) راجع الدراسة المشار إليها أعلاه (٣).

(٤) راجع المرجع التالي:

KALYAN, KOOSUM, "WHAT SCENARIOS MEAN, "IN THE MONTFLEUR SCENARIOS" AHAND OUT, WORLD FUTURE SOCIETY MEETING WASHINGON D- C. 1996.

(٥) مجلة المصور " قضية الساعة المثقفون والتطبيع " العدد رقم ٣٧٧٥ - ١٤ فبراير ١٩٩٧ .

(٦) لويس، برنارد **هل لايزال السلام ممكناً في الشرق الأوسط** كتاب مترجم، الهيئة العامة للاستعلامات (كتب مترجمة رقم ٧٣٣) المجلد السادس والستون رقم ١ ، يوليو ١٩٧٨ .

(٧) انظر المرجع رقم (٦) أعلاه صـ ٦١ : ٦٢ .

(٨) كونستابل، بينز، "نحو السلام في الشرق الأوسط بعد حرب الخليج " في كتاب **أزمة الخليج ومستقبل الشرق الأوسط** تحرير د. سعد الدين إبراهيم/ د. حسن وجيه، مركز ابن خلدون ودار سعاد الصباح ١٩٩٢ .

(٩) حسن، محمد وجيه حسن **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي** عالم المعرفة، الكتاب رقم ١٩٠ الكويت ١٩٩٤ .

(١٠) بيريز. شمعون كتاب الشرق الأوسط الجيد.

(١٢) (حديث لوزير الخارجية المصري عمرو موسى مع المراسلين الأجانب في مقر المراسلين بفندق سميراميس -القاهرة- قبل انعقاد مؤتمر القامة الاقتصادي أي نوفمبر ١٩٩٦).

(١٣) (عن مؤتمرات "حوارات الأديان" هناك دراسة يقوم بها كاتب السطور بعنوان "آليات وأسئلة التفاوض في حوارات الأديان:

مايحدث وماينبغي وأن يكون. . "(في طور الكتابة).

(١٤) أديب، عماد الدين حوارات القدس، كتاب اليوم دار أخبار اليوم عدد يناير

١٩٩٧ (صـ ١٦٥).

(١٥) جريدة الرياض، ٥ شوال ١٤١٧، ١٢/ ٢/ ١٩٩٧ تصريح لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

(١٦) راجع المرجع التالي:

ROKACH, LIVIA **ISRAIL,S SACRED TESSORISM** AAUG PRESS MASSACHUSETTS U . S . A. 1986 (P. 45)

ترجمة لهذا النص في سياق بحث كاتب السطور بعنوان " مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي " **المجلة العربية للدراسات الدولية**، شتاء ١٩٨٧ واشنطن د. سي.

(١٧) بخصوص موضوع المسيحيين الصهاينة راجع لكاتب السطور " مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي " **المجلة العربية للدراسات الدولية**، العدد رقم ١ خريف عام ١٩٨٧.

(١٨) الخازن، جهاد: " عيون وآذان " ١١/ ١٩٩٧.

(١٩) حسن، محمد وجيه، حسن " القدس وإعادة هيكلة التفاوض: دراسة من منظور النظريات الحاكمة للتفاوض الدولي، **ابحاث ندوة القدس: ماضيها ومستقبلها.**، جامعة الأزهر ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٩٥.

(٢٠) أحمد، محمد سيد " رب ضارة نافعة " مقال بالأهرام ١٣/ ٢/ ١٩٩٧،

(٢١) راجع نفس المرجع رقم (١٨). (جهاد الخازن)

(٢٢) بحث في طور الكتابة لكاتب السطور بعنوان "اللغويات والمستقبليات" : ومهارات التفاعل التكاملية" (بالعربية والإنجليزية).

(٢٣) راجع لكتاب السطور المرجع المشار إليه في (٣) أعلاه.

(٢٤) راجع المرجع التالي :

HASS, RICHARD, FOREIGN AFFAIRS, SEPT. 1996.

(٢٥) راجع المرجع التالي :

CHOMSKY, NOAM, **THE FATETUL TRIANGLE,** BOSTON M A: SOUTH END PRESS 1983 (P. 456)

(٢٦) راجع ملف الأقليات الذي أثارته ندوة "الأقليات في مصر والتي نظمها مركز ابن خلدون بالقاهرة وأثارت ردود فعل غاضبة لدى معظم التيارات الفاعلة في مصر في منتصف ١٩٩٥).

(٢٧) راجع المرجع التالي :

CREEFIELD, VAN MARTIN, **NEWSE WEEK** 17 TH OF APRIL 1995.

(٢٨) بخصوص المهارات التقنية المشار إليها راجع لكاتب السطور مايلي :

- أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي، دار سعاد الصباح الكويت ١٩٩٢.
- مقدمة في علم التفاوض السياسي والإجتماعي، عالم المعرفة الكويت الكتاب رقم ١٩٠، ١٩٩٤.
- التفاوض وإدارة المقابلات، مكتبة العبيكان، الرياض المملكة العربية السعودية: ١٩٩٧.

الجزء الثاني

سيناريوهات الخليج العربي

من أزمة ١٩٩٠ إلى أزمة ١٩٩٨ ومابعد

(دراسة تحليلية من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية)

تمـهيـــد:

لكي نصل إلى تصور دقيق بخصوص سيناريوها ت الحرب والسلام فيما يتعلق بمنطقة الخليج حتى نتمكن من كل مايؤدي إلى تفعيل سيناريوهات السلام والاستقرار في منطقتنا وتفويت الفرص وغلق المنافذ التي تؤدي إلى سيناريوهات الحرب والعياذ بالله، فإن علينا إن نرصد ومن وجهة النظر التقنية الأمر من بدايته الحديثة وأقصد هنا أزمة خليج ١٩٩٠ التي فتحت أبواباً ينبغي وأن نحرص جميعاً على غلقها تماماً مع التدخل الإيجابي لمنع تكرارها بأي صورة من الصور . من هنا فإن هذا الجزء من هذه الدراسة يتعرض لما يراه الكاتب على أنه الأساس التفاعلي الاجتماعي والسياسي الذي أدى إلى عدم السيطرة على أزمة خليج ١٩٩٠ وإلى تفاقمها والوصول بها إلى مرحلة الحسم العسكري، وهنا أعيد انتاج أجزاء من تلك الدراسة التي قدمتها في فترة اندلاع وإدارة أزمة خليج ١٩٩٠ وكانت بعنوان "أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي" حيث كنت أركز - ولازلت- **على هذا البعد التقني المفتقد** التوظيف في تفاعلاتنا. فهذا البعد يتعلق بالعمل على اشاعة روح ومفاهيم ثقافة التفاوض الإيجابي على أساس علمي حيث أن مثل هذه الثقافة وشيوعها كبديل عن ثقافة التسلط وأحادية الرأي والتناحر والتعسف وغلبة الأجندات المتفجرة لهي من أهم السُبل التي تمكننا من تفويت

الفرصة على الأعداء والخصوم وتمكننا من سد الثغرات التي اعتادوا أن ينفذوا منها لينفذوا مخططاتهم .

وهذه الأجزاء من تلك الدراسة التي أجريتها عام ١٩٩٠ تقدم لنا صورة تفصيلية لبعد هام من أبعاد أزمة خليج ١٩٩٠ وهو المتمثل في أوجه الخلل في الخطاب التناحري الذي أدى إلى انفلات الأزمة وكذلك الأوجه التقنية المفتقدة فيما يتعلق خاصة بعمليات إقامة الحجج ARGUMENTATION والتي تحتاج من المفاوض ومن المتحدث أو الكاتب أن يكون على دراية علمية بها لكي تؤدي الغرض الإيجابي من إقامتها إلى أساس الوصول إلى أصوب الحلول ومنطلقات العمل الجماعي البناء فهي الجزء المكمل للأخلاقيات وكل من الأخلاق والعلم مما دعى إليه ديننا الحنيف و رسول الله المصطفى ﷺ ووجهنا إليهما ويتضمن هذا القسم لفصول خمسة تعكس البعد والرؤية التقنية أساساً والتي كنت قد قدمت تصوراً عملياً لها من وقائع تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠ في وقت حدوث تلك الأزمة .

وفي نهاية هذا الجزء نقدم ملخصاً لسمات خطايا الحوار التفاوضي تمهيداً للجزء الثالث الذي نقدم من خلاله تحليلاً لأهم تفاعلات مايمكن وأنه نسميه بأزمة خليج **١٩٩٨** وماسُمي في وسائل الإعلام بالأزمة العراقية الأمريكية تارة وبالأزمة بين العراق والأمم المتحدة تارة أخرى .

ونحاول أن نشير هنا إلى الجوانب الإيجابية التي طرأت على إدارة أزمة **١٩٩٨** من الجانب العربي الذي وقف في وجه توجيه ضربة عسكرية للعراق ونشير أيضاً إلى مازال قائماً من سلبيات التفاعل مقارنة بأحداث **١٩٩٠** المؤسفة من أجل إظهار أهمية وأوجه التغلب عليها وتجاوزها.

*****

**

*

الفصل السادس

مدخل عام لأطر تحليل النص ولغة الحوار

يقدم هذا الفصل منظورين أساسيين يمكن من خلالهما إلقاء الضوء على ديناميكيات لغة الحوار. والمنظور **الأول** هو منظور التحليل العلمي للنص وديناميكيات لغة الحوار (المطارحات/الخطاب) وهو ذلك المنظور الذي يمثل مدخلاً عاماً نتعرف من خلاله على الأُطر العامة لتحليل النص والحوار، وهو المنظور الذي تنبثق عنه هذه الدراسة.

أما المنظور الثاني والذي وجدنا أهمية تقديم عرض موجز له فهو المنظور التربوي (التعليمي) والديموقراطي للغة الحوار والذي يمثل بعداً أخر له أهميته الكبيرة عند النظر بشمولية للمشكلة موضع الدراسة.

المنظور الأول: التحليل العلمي "للنص" وديناميكيات لغة الحوار.

أولاً : إشكالية التعريف :

يرتبط تعبير "تحليل النص" (T.A) TEXT ANALYSIS وتحليل "ديناميكيات لغة "لحوار" وبمعنى آخر ماقد نسميه بالمطارحات (D.A) DISCOURSE ANALYSIS ببعضهما البعض بطريقة متداخلة وكثيراً من الأحيان مايستخدم بعض المتخصصين التعبيرين تبادليا (على سبيل

المثال أنظر تنين TANNEN ١٩٨١ وCICOUREL شيكوريل ١٩٧٥).

ولكنه في واقع الأمر يظل لتعبير المطارحات (D.A) معنى إصطلاحياً خاصاً في علم اللغويات، فهذا التعبير يشير إلى مرحلة بداية السبعينات حيث بدأ إهتمام خاص من قبل علماء اللغويات بتحليل يتخطى مستوى الجملة " SENTENCE LEVEL " الذي كان سائداً في النماذج والنظريات السابقة- إلى تحليل على مستوى المطارحة بأكملها " DISCOURSE LEVEL " ليشمل ذلك تحليل المقولة المكتوبة أو المنطوقة والجدليات "ARGUMENTATION الموجودة بها في شموليتها (أنظر براون ويول " BROWN & YULE ١٩٨٣، مايكل ستبز " MICHAELSTUBBS ١٩٨٣ وبولينجر " BOLINGER " ١٩٧٩) ولقد إرتبط تعبير " تحليل المطارحات " (D . A) إرتباطاً وثيقاً بتعبير التفاعل الحواري " CONVERSATIONAL INTERACTION " أكثر من إرتباطه بتحليل النص المكتوب الثابت. فإننا إذا مانظرنا إلى كتاب كولثارد " COULTHARD بعنوان " تحليل المطارحات: (D. A) ١٩٧٧ نجده ليس سوى تحليل للمحادثات.

وإذا ماتأملنا تعبير تحليل النص " TEXT ANALYSIS نجد أنه هو الآخر قد إرتبط إرتباطاً كبيراً بتعبير " تحليل المضمون " أو CONTENT ANALYSIS (C. A) ولقد شاع تعبير " تحليل المضمون " في مجال العلوم السياسية وكذلك في النقد الأدبي وإن اختلفت طرق

التحليل في كليهما. ويعرف تحليل المضمون بأنه "أسلوب في البحث لوصف المحتوى الظاهري للإتصال وصفاً موضوعياً منظما وكمياً" (برلسون ١٩٥٢). (DISCOURSE ANALYSIS)

بينما شاع تعبير "تحليل المطارحات" (D.A) في مجال اللغويات وعلم الإجتماع أكثر ويعنى بمعالجة المعاني الكامنة للكلمات والأفكار (DEEP STRUCTURE) وكذلك بالعمليات الوظائفية اللغوية التي تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو مايسمى بـ "DISCOURSE" ومن هنا بدأ فريق من علماء اللغويات يهتم بوضع إجروميات ليست على مستوى الجملة كما كان العهد بالإجروميات التقليدية ولكن بوضع إجروميات على مستوى المطارحة "(DISCOURSE RULES) وإجروميات المطارحات" DICOURSE GRAMMAR " أنظر على سبيل المثال بيكر (BECKER) ١٩٨٤، وبراون ويول (BROWN & YULE) ١٩٨٣، ومايكل ستبز (STUBBS) ١٩٨٣.

ولتوضيح حقيقة معنى تعبيري "تحليل النص" (T A)" وتحليل المطارحات (D.A)" نجد أن البعض لايستخدمهما إستخداماً تبادليا كما ذكرنا أنفاً بل يستخدم تعبير تحليل النص (T.A) " كجزء من الكل.. والكل هنا هو تعبير "تحليل المطارحات" (D.A) أنظر بيكر (BECKER) ١٩٨٤.

وإذا كانت هناك إشكالية على الصعيد العربي في التفريق بين

" تحليل النص " (T.A) وبين ماأطلق عليه تعبير " تحليل الخطاب " كترجمة إصطلاحية لتعبير (DISCOURE ANALYSIS) والذي يُفضل ترجمته إلى تعبير " تحليل المطارحات " فإن هذه الإشكالية ترجع إلى وجود كلمة DISCOURE باللغة الإنجليزية والتي تعبر عن كافة الأشكال والصيغ والوسائل اللغوية المختلفة المكتوبة والمنطوقة بينما لايوجد بالعربية مرادف مواز لها ومن هنا كانت كلمة " المطارحات " أقرب الكلمات تحقيقا لمعنى الكلمة الإنجليزية (١) . وإن كانت المطارحات (D.A) " الخطاب " لايمكن إعتبارهما منفصلين ولكنهما يمثلان شكلين لعمق واحد يعني بمحاولة التعرف على طبيعة الرسائل والمنظومات المختلفة في طبيعتها وأهدافها . . . فالمطارحات المكتوبة هي " نص " (TEXT) تماماً كما قد تصبح الكلمات المنطوقة في الحديث نصا هي الأخرى وبالتالي يمكننا إعتبار أن تعبيري " المطارحات " و " النص " كلاهما يتداخل مع الآخر تداخلاً كبيراً وإن عبرت كلمة المطارحات عن شمولية أكبر وعن طبيعة أكثر ديناميكية من كلمة " النص " .

ثانياً : طبيعة الدراسات الحديثة لتحليل " النص " و " المطارحات " / " الخطاب " .

إن عمليات " تحليل النصوص " و " تحليل المطارحات " لم تعد موضع إهتمام فريق من المتخصصين دون غيره فهذه الموضوعات حيوية لكافة التخصصات بكل تأكيد ولذلك فإن إهتمام العلماء بهذا

الأمر في العقدين الأخرين والذي صاحبه مزيد من البرامج التكاملية في علم اللغويات (INTERDISCIPLINARY LINGUISTIC PROGRAMS) قد إجتذب العديد من المتخصصين في معظم المجالات في إطار هذه البرامج التكاملية وأصبح ناتج هذه البرامج يصب في محاولات الإجابة على أسئلة مركزية تهتم بها النظرية اللغوية الكبرى "THE GRAND LINGUISTIC THEORY" وهذه الأسئلة تتعلق بالنقاط التالية :

[١] كيف تستخدم التركيبات النحوية والدلالية والوظيفية، (SYNTACTIC, SEMANTIC & PRAGMATIC STRUCTURES) لتحقيق هدفاً إتصالي ما سواء كان في سياق إجتماعي [على سبيل المثال أنظر "LABOV" ١٩٧٢، جمبرز "GUMPERZ" ١٩٨٢] أو سياق قانوني [انظر شاي "SHUY" ١٩٨١، وفولر "FOWLER" ١٩٧٩] أو سيباق تعليمي] نظر كولثارد "COULTHARD" ١٩٧٧، "HASSAN-WAGIEN" ١٩٨٧ (١٩٩١) [أو سياق طب نفسي] انظر تشايكا "CHAIKA"

(١) بينما يوحي كل من تعبيري "تحليل النص" و "تحليل الخطاب «على كون الأمر ثابتاً واستاتيكياً يوحي تعبير «تحليل المطارحات» بمعنى الديناميكية في السياق المكتوب أو المنطوق وهو المقصود أساساً بالتعبير الأصلي DISCOURSE ANALYSIS كذلك فإن كلمة الخطاب في اللغة العربية تفهم عادة على كونها خطاب بمعنى الخطاب السياسي أو ا لإجتماعي أساساً بينما هناك أشكال لغوية أخرى مثل المحادثة العادية والمقابلات الرسمية بأشكالها والمقال المكتوب والرسائل والتي تمثل كلها وسائل أخرى تعبر عنها كلمة "المطارحات" أكثر من كلمة الخطاب.

١٩٧٤ [أو سـيـاق أدبـي] انـظـر تـنـين "TANNEN ١٩٨٨، وهـايمـز "HYMES" . ١٩٨٠] أو سياق لغـويات الكمبـيـوتـر - وهي الخاصة بالترجمة ولغات الكومبيوتر ودراسات الذكاء الصناعي - [انظر على سبيل المثال موليري "MALLERY ١٩٨٧، ودفي "DUFFY" ١٩٨٨] وفي السـيـاق الديني/ انظر فـيـرجـسـون "FERGUSON" ١٩٧٦، وسامرين "SAMARIN ١٩٧٦] إلخ . .

(٢) مـاهي طـبـيـعـة ووظائف عـمـليـات المطارحـات المخـتـلفـة DISCOURSE PROCESS ومـبـادئـهـا وأثرها في عـمـق تماسك واتـسـاق النصوص COHERENCE OF TEXTS) وما هي وسائل إكتشاف الأنماط الكامنة عبر " النصوص" ؟

(٣) بالإضافة إلى تعميق المناهج والطرق والعلمية التي يهتم بها اللغـويون فـالمجـال يهتـم أيضاً بـالبـحـث في الظـواهر اللـغـوية المتعلقة بالجماليات "AESTHETIS " وبالتالي بالبحث عن تلك القوى الغـامضة التي تزحـف عـبـر الكـلـمـات والأفكـار والصـور والعـواطـف والتي لاتتضـمنها الكلمات المفردة بذاتها؟

من هذه المنطلقـات ذخـرت قـاعـات المؤتمرات الدوليـة الحديثة بالدراسات التكاملية ومن خلالها التقى العديد من الخبراء من كافة التخصصات في العلوم الإجتماعية المختلفة . فإذا مانظرنا إلى صعيد دراسـات تحليل الـنص والمطارحـات بالـوطن العـربي لوجـدنا أهـمـيـة

وجوب تفاعل المتخصصين في العلوم الإجتماعية المختلفة ولوجدنا نقصاً في عدد الدراسات والبحوث في معظم مجالات تحليل المطارحات في السياقات القانونية والطبية والنفسية ولغويات الكومبيوتر والسياق السياسي فلقد إقتصرت الأدبيات الموجودة في العالم العربي على تحليل النص في السياق السياسي ولكن من منظور مدارس تحليل المضمون "CONTENT ANALYSIS " المختلفة عن طبيعة المطارحات "D . A" كما سبقت الإشارة وكذلك على السياق الأدبي والذي تهيمن على مناهجه مدارس تحليل النقد الأدبي "كالبنيوية " (STRUCTURALISM) ومدارس ما بعد "البنيوية " أو مايسمى بـ (POST - STRUCTURALISM) ومدرسة " البناء المناقض " أو التفكيكية (DECONSTRUCTION) ومدارس ماعرف بالنقد الجديد (NEW CRITICISIM)

إن أهمية وجود أبحاث تكاملية في المجالات المذكورة أعلاه في الوطن العربي يعتبر من الأمور المطلوبة والهامة حيث أن نتائج هذه الأبحاث على صعيد الخصوصية الثقافية العربية سوف تثري المحاولات المتعمقة لفهم الأسئلة المركزية المتعلقة بظواهر الإتصال والتفاعل المذكورة آنفاً وتقديم قراءة تحليلية أفضل للنصوص في سياقتها المختلفة .

المنظور الثاني : الديني والتربوي والديمقراطي

في الوقت الذي يتسم فيه المنظور الأول بالجوانب التقنية

لديناميكيات الحوار فإن هذا المنظور الذي يمكن تسميته بالمنظور التربوي الديني والديمقراطي يختص بتعميق آداب الحوار العامة وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا المنظور يعنى أساساً بالحاجة إلى اللياقة والكياسة العامة وتجنب الألفاظ الخارجة والابتعاد عن الإنفعالية والعصبية والتوتر عند مخاطبة الآخرين ووصفهم بما ليس بهم والتحلى بأخلاقيات التخاطب العامة. والمصادر التعليمية الخاصة بإستنباط قواعد السلوك العام توجد بقدر كبير من التفصيل في بطون كتب الحكمة والتراث من ناحية، ومن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأديان السماوية من الناحية الأخرى فعلى صعيد كتب الحكمة والتراث على مستوى الذيوع العالمي نجد كتاب لجون هيدر(JOHN HEIDER) (١٩٨٥) بعنوان **إستراتيجيات لعالم جديد** والذي بيع منه ملايين النسخ والذي يقدم ترجمة لمقولات أحد حكماء الصين المعروفين وهو لا وتوز تا وتشنج ذلك الحاكم السياسي المحنك الذي ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد والذي أصبحت أدبيات ومقولاته من الكلاسيكيات التي تنتشر إلى يومنا هذا ويستعين المتحدثون بمثل هذه الحكم لتدعيم مواقفهم وتصرفاتهم في السياقات المختلفة ومن أمثلة حكمه المشهور "رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة" والسهل المتنع" "والعنف يولد العنف" ويتحدث الكتاب أساساً عن طرق القيادة وحكم الآخرين وتعليمهم في ظل التآلف مع القوانين الطبيعية.

وعلى صعيد الخصوصية الثقافية نجد العديد من الكتب التي يستنبط منها كبسولات عديدة تتعلق بالتحلي بالآداب العامة في الحوار والحكمة فيه، فنجد على سبيل المثال ابن خلدون: **الشفاء السائل لتهذيب المسائل**، تحقيق اغناطيوس خليفة عبدالرحمن، (١٩٥٦)، وكتاب **أخبار الأذكياء** لإبن الجوزي، تحقيق محمد مرسي، (١٩٧٠) وتلك الكتب التي إهتمت بإيقاظ البعد الإيحاني السلوكي في النفوس على سبيل المثال لا الحصر أنظر **السلوك الإجتماعي في الإسلام**، لحسن أيوب، (١٩٧٠). وهناك من الكتب التي عالجت أمر الخلاف والإختلاف وآدابهما من منظور المنهجية الفقهية للسلف والضوابط التي كانوا يقيمونها لعمليات الإجتهاد والإستنتاج وضبط الرأى لتحقيق الغايات والمقاصد الشرعية أنظر على سبيل المثال كتاب أداب **الإختلاف في الإسلام**، لطه العلواني، (١٩٨٧) **والحوار نافذة من نور** للأميري (١٩٧٥).

وفي إطار إستنباط آداب الحوار من الكتب السماوية تجدر بنا الإشارة هنا إلى العديد من آيات القرآن الكريم التي تدعونا إلى أهمية مراقبة مانقوله والحرص على التحلي بآداب الحوار فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ فإن الرسائل بين المرسل والمستقبل تحتاج إلى عملية وصول وتوصيل وهذا الأمر يتضمن معاني التسلسل المنطقى الواضح البين لايحمل في طياته

غموض أو لبس أو شوشرة. . . وكذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ وقوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ﴾ قوله ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ . . ﴿وكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهناك العشرات من أيات القرآن الكريم ومن الكتب السماوية الأخرى التي تحدد بجلاء إطار آداب الحوار والإختلاف وهو من الأمور التي يجب أخذها بعين الإعتبار بكل تأكيد. وهناك العديد من الأدبيات العربية التي تندرج تحت إطار هذا المنظور ولكن في إطار هذا المنظور وإنطلاقاً من قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ والذي مثل للإنسان دعوة واضحة لتعميق التأمل في السؤال المتعلق **بحيثيات الكيفية** دائماً وجب النظر إلى الجانب العلمي والموضوعي للمنظور الديني والتربوي والديموقراطي لطبيعة ديناميكيات الحوار، وهنا نجد مفتقدات واضحة على الصعيدين الإعلامي والتعليمي. فعلى صعيد الفهم الحقيقي للحوار الديمقراطي وجب إدخال العديد من المكونات الخاصة بهذا الأمر سياسياً وتعليمياً بما يناسب طبيعة الأمر وطبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية. فسياسياً وجب اتخاذ الخطوات الواعية لمزيد من الديمقراطية على مستوى العالم العربي بأكمله فلامناص من هذا الأمر لمصلحة الجميع فلقد أصبح تحقيقه بمثابة حتمية تاريخيه خاصة بعد أحداث أزمة الخليج العربي ومافجرته من جدليات حوارية وكذلك سقوط الشمولية

والدكتاتورية والقمعية في دول المعسكر الشرقي وماحدث أخيراً في الإتحاد السوفيتي (سابقاً" وسرعة إنتقال المعلومات وتشابك وسائل الإعلام التي تتيح للجميع معرفة كافة مايدور في أي مكان من الكرة الأرضية الأمر الذي فجر ميكانيزماً دولياً خاصاً لايمكن الإبتعاد عن بؤرة تأثيراته. فعلى صعيد هذا المحور الخاص بالفهم الحقيقي لطبيعة الحوار الديمقراطي وجب في الوقت الذي تنادى به القيادات التعليمية في العالم العربي إلى ما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم (أي جعله ديمقرطياً) أو مايسمى بـ - (DEMOCRATIZATION OF EDUCATION) - وهو الخاص بإتاحة العدالة في الفرصة التعليمية - وجب أيضاً إدخال المكونات التعليمية الخاصة التي تتيح الفهم الحقيقي والصحيح للحوار الديمقراطي سياسياً وإجتماعياً وبما يناسب طبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية أي أنه وجب إعطاء نفس الإهتمام لنفس المفهوم الخاص بعملية ديمقراطية التعليم مع عكس ترتيب مفردات ذلك المفهوم ليكون "تعليم العملية الديمقراطية" (THE EDUCATION OF DEMOCRATIZATION) وهنا وجب الأخذ بعين الإعتبار سلبيات الممارسات السابقة والحالية بالوطن العربي عند النظر للمستقبل كأسلوب تربوي علاجي حيوي وبالتالي وجب الالتزام بالآتي:

(أ) تأصيل المفاهيم الديمقراطية الحقيقية المختلفة في العملية التعليمية منها.

(ب) معالجة ظاهرة إبتذال المسميات والإزدواجية بين القول والفعل بحيث تواكب هذه العملية التعليمية المزيد من محاولات التصدى للخارجين على الأسلوب الديمقراطي من ناحية وكذلك التصدى لهؤلاء الذين يسعون إلى تقنين الأساليب السلطوية الاستبدادية من خلال مسميات مختلفة تربط العملية الديمقراطية بالشكليات الروتينية المعقدة والتي تمثل أسوأ الصورالقمعية الحديثة والتي لم ينتج عنها سوي مزيد من فقدان الطاقات وكذلك فقدان الشرعية ومزيد من تعميق تهميش الأمة العربية بأكملها على المستوى الدولي .

إن هذه الأنماط السلطوية والاستبدادية هي في الواقع ولازالت وليدة ممارسات تعليمية تلقينية جامدة لم تسمح بالفرصة لظهور الملكات والمهارات وخلق المواطن المتطور الذي يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بديناميكية صحية فيتقبل النقد البناء ويستطيع القيام به، ويستطيع بالتالي التغيير والتكيف مع إيقاع العصر المذهل في سرعته . لقد أدت هذه الأنماط السلطوية الإستبدادية والتي تتنوع صور وجودها بالمجتمع العربي إلى كوارث قومية كبرى نعاني من آثارها إلى الآن وأبسطها هو ذلك الوقت الكبير المستهلك في تلك الاختلافات على البديهيات المتعلقة بأسس صناعة القرار السليم والمشاركة التنظيمية الفعالة والعمل بروح الفريق الواحد والحرص على معطيات الثقافة

الجامعة التي تشكل اللبنة الأولى والحيوية لكل عمليات التنمية . ولعل هذا النمط الاستبدادي الذي يتجسد من خلال آليات تفاعلية متعددة ومتنوعة هو أهم الأسباب التي أدت إلى كوارث قومية كثيرة كان آخرها وأفدحها كارثة الخليج ١٩٩٠ .

******

****

**

*

الفصل السابع

منظور لغويات التفاوض :

ويوضح هذا الفصل الآتي:

(أ) ماالمقصود بمنظور " لغويات التفاوض ومدى الحاجة إلي هذا المنظور خاصة إذا مانظرنا بصفة عامة إلى الخريطة الأكاديمية الراهنة التي تتسم بإنعزال العلوم الإجتماعية ، وكذلك إذا مانظرنا إلى مدى الحاجة إلى النظرة الأكثر شمولية للأزمة للتعرف على الأطر المرجعية الواجب فهمها والتعامل معها في عملية فهم وتحليل النصوص وديناميكيات لغة الحوار التفاوضي في السياقين الإجتماعي والسياسي وتداخل هذه الأطر وتشابكها إلى حد بعيد بصفة عامة وفي هذه الأزمة بصفة خاصة .

(ب) فجوات البحث الحالية في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض ومدى الحاجة إلى منظور "لغويات التفاوض" .

(جـ) مناهج "تحليل المضمون" من منظور تطور علم اللغويات .

(د) منظور "لغويات التفاوض" ومدارس تحليل المضمون (الخطاب) في العالم العربي والغربي .

(أ) ما المقصود بمنظور " لغويات التفاوض ومدى الحاجة إليه ؟

المقصود بهذا المنظور هو استخدام مفاهيم من علم اللغويات والعلوم السياسية والعلاقات الدولية بهدف دراسة ديناميكيات التفاعلات التفاوضية عبر النصوص المتعددة والمتبادلة بين أطراف موقف تفاوض ما في سياق الأزمات أو في غير سياق الأزمات. وهذه النصوص (TEXTS) تتضمن "الأجندة الأصلية" لأطراف الموقف التفاوضي والتحركات الإستراتيجية والتكتيكية للأطراف وتفاعل وإصطدام هذه التحركات التي يتمخض عن عملية إصطدامها وتفاعلها عمليات إزاحة وإحلال أو إستمرارية مما يولد "نصوص ناتجة أخرى" هذه النصوص الناتجة عن تفاعلات تحركات أطراف التفاعل قد تكون ممثلة للأجندة الأصلية للطرف الذي إستطاع أن يفرض اجندته وقد تكون بمثابة " اجندة وسطية" تتضمن حلول وسط تشمل عناصر من "الأجندات" المتصارعة أو قد ينتج عن عملية تفاعل التحركات "نص متسجد (أجندة مستجدة)، ويتم الاستعانة في التعرف علي دقائق تفاعلات الأجندة بعدة وسائل تحليلية منها تحليل أثر فعل القول SPEECH ACT ANALYSIS على مستوى الخصوصية الثقافية أو عبر الثقافات وتحليل الموضوع TOPIC ANALYSIS وتحليل التحركات الاستراتيجية و التكتيكية & STRATEGIC TACTICAL MOVE ANALYSIS ولقد استخدم كاتب السطور كل هذه

الأدوات التحليلية لتحليل أكثر من ثلاثين موقف تفاوضي في اطروحته للدكتوراه ولكن ماأود أن أوضحه هنا أنه من الممكن أن تُستخدم أداة تحليل واحدة فقط أو أثنتين فقط أو الثلاثة معاً في تحليل عمليات التفاوض الإجتماعي والسياسي حسبما تقتضي الحاجة وطبيعة الموقف والنص أو المادة موضوع التحليل. [ولمزيد من التفاصيل الدقيقة بخصوص هذه التحليلات وعلاقة الترابط بينها (انظر حسن - وجيه ١٩٨٩)].

(ب) فجوات البحث الحالية في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض ومدى الحاجة إلى منظور "لغويات التفاوض":

إذا بحثنا في تعريفات علم العلاقات الدولية لوجدنا أن من أهم الكلمات التي يتم تداولها في معظم التعريفات الخاصة بهذا العلم ومفاهيمه الأساسية في كلمات التفاعلات " INTERACTIONS " وأنماط التفاعلات PATTERNS OF INTERACTION ، إلخ (انظر على سبيل المثال هولستي HOLSTI 1988 ، آرون ARON 1966 ، ودويتش DUETSCH 1978 بالعلاقات الدولية في واقعها الحقيقي ماهي إلاّ سوى تفاعلات بين الدول على كافة المستويات. واللغة في هذا السياق ليست مجرد تعبيرات أو مفردات تدرس بشيء منفصل وإنما طبقاً لمنظور " لغويات التفاوض" فهي وسيلة التفكير والتخطيط والتنفيذ المتعلق بتلك

التفاعلات وسياقاتها المختلفة ومع ذلك فلقد كان دائماً النظر إلى أمر اللغة على أنها أداة أتوماتيكية ولم يتطرق إليها البحث بالتعمق المطلوب الذي يواكب دورها المركزي والتعقيدات المصاحبة للأداء اللغوي في سياق هذه التفاعلات الدولية أو الاجتماعية وهذا يمثل فجوة بحثية على خريطة أبحاث كل من العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية حيث لايوجد سوى أعمال قليلة جداً من قبل علماء السياسة التي تناولت أمر علاقة اللغة بالممارسة السياسية ومن أمثلة هذه الأعمال كتاب مايكل شابيرو SHAPERO **اللغة والفهم السياسي**، وإيدلمان EDELMAN في مجموعة كتبه **السياسة كأفعال ترميزية** ، ١٩٧١ ، اللغة السياسية : **الكلمات التي تنجح والسياسيات التي نفشل**، ١٩٧٧ ومن أحداث أعماله في هذا الصدد : **العلاقة بين اللغة والسياسية والحقيقية**، ١٩٨٥ ، إن هذه الأعمال والتي تعبر عن توجهات علماء السياسية في هذا الصدد نزعت في إستعراضها وتطرقها لموضوع تحليل اللغة في السياق السياسي على مناقشة الأمثلة اللغوية التي لم تتعد مستوى الكلمات والتعبيرات DEDUCTIVE APPROACH ولم تعالج هذا الموضوع امبريقياً بتحليل البيانات وإستنتاج النتائج والتنظير بعد تحليل البياناتINDUCTIVE APPROAH (لمزيد من التفاصيل بخصوص البحث الأمبريقي في سياق اللغويات السياسية انظر حسن - وجيه ١٩٩١ .

إن أهمية استخدام منظور "لغويات التفاوض" وهو الخاص بتحليل ديناميكيات التفاعلات السياسية والاجتماعية كما أوردنا تعريفه يستمد شرعية خاصة من خلال آراء العديد من علماء السياسية والعلاقات الدولية وكذلك من خلال إرتباط ذلك بأمور حيوية تتعلق بفلسفة العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وهنا تجدر بنا الإشارة إلى مقولات لبعض الباحثين البارزين فيقول أونف ONUF في مقالته مابعد العلاقات الدولية، ١٩٨٧ :

" إن من ضمن مارفضه بعض المنظرين الإجتماعيين لتلك المدرسة السائدة المسماة بالمدرسة الوضعية – الموضوعية - POSTITIVIST OBJECTIVEST ويصرون على استبدالها بعكسها أي بما يسمى بـ " الدور اللغوي أو المرحلة اللغوية "LINGUISTIC TURN " . وهوذلك التعبير الفلسفي الذي شاع من خلال كتابات رورتي RORTY (١٩٦٧). فإن مايسمى بالدور أو المرحلة اللغوية حين يتم تكوينه على نحو علمي دقيق كما هو الحال فيما يتعلق بالمدرسة الوضعية الموضوعية كمدرسة مخالفة في تكوينها، فإنه سيتم استبدال العلاقات بالأشياء . . أي الكلمات بدلاً من الأشياء . . وبالطبع فإن الكلمات ماهي إلاّ أشياء ولكن النقطة هي أن الكلمات لامعنى أو مضمون لها دون علاقاتها بالكلمات الأخرى، إن الأمر الذي نعلمه هو أن العلاقات ذاتها متداخلة بصورة معقدة . . وليست الأشياء . . "

(أونف ١٩٨٧ : ٣). ويقول أدوارد عاذار في مقالته بعنوان "الصراع وبنك البيانات المعروف بمشروع" كوبداب" والتي يعرض فيها دراساته الكمية لتحليل الأحداث... EVENTS ANALYSIS.

"إن أحد الأبعاد التي يهتم بها علماء العلاقات الدولية هي تنمية وتطوير نظرية أساسية للغة السياسية ويتضمن ذلك سلوك التحدث وغيره من الأساليب الأخرى.. فكما تبني النظريات في مجال الاقتصاد على أساس تبادل العملات.. فإن هذه النظرية للتفاعل السياسي من خلال اللغة ستكون مبنية على تبادل الرموز السياسية. إن تحقيق وجود مثل هذه النظرية يتخلله القيام بمهام أكثر تعقيداً من النظرية الاقتصادية.. حيث إن اللغة السياسية أو قواعد هذه الرموز لهي أكثر تعقيداً من عملية تدفق وتبادل العملات والبضائع AZAR." (١٩٨٠ : ١١٤).

ويقر وينستسن WEINSTEIN في كتابه لغة المواطنة والتبعات السياسية لإختيارات اللغة، (١٩٨٣)، بأهمية أن يتنبه الباحثين في علم اللغويات إلى دراسة اللغة في السياق السياسي فيقول:

إن المناقشات الدائرة حول نظام المعلومات الدولي تعالج الرسائل دون أن تتعمق في الوسيلة الناقلة لهذه المعلومات وهي اللغة: وفي مجال العلوم السياسية قام كارل دويتش (١٩٨٢) بمحاولة لربط

السياسية بالإتصال وجعل هذا الأمر محل إهتمامه السياسي . . ومع ذلك فإن أمر معالجة اللغة علمياً وبقدر من التعمق لم يتعدى سوى جزء بسيط جداً من عمله . . ولكن بالقدر الكافي الذي يحرك الآخرين لأخذ هذه المهمة على عاتقهم لدراسة اللغة السياسية . وينتقد دويتش الباحثين وخاصة المتخصصين بعلم اللغويات بالتقاعس عن أداء هذه المهمة مشيراً إلى أن إهتمام الباحثين اللغويين مازال مقتصراً على نواح خاصة بعلم اللغويات فقط مثل القواعد والصوتيات والوحدات الأساسية . والمستويات المختلفة للغة في حد ذاتها . . ويحثهم على تناول أمر اللغة السياسية بالدراسة " (وينستين ١٩٨٣ : ١٠).

وفي بحث غير منشور يهدف إلى تقييم دراسة أساليب المفاوضات الدولية الحالي يقول دفيد بيل (BELL) :

" إن المفاوضات من أكثر العمليات الذهنية تعقيداً . . وتحليل مايحدث في المفاوضات يتضمن وجوب الانتباه للغة وكذلك لنواحي الاتصال المتعددة الأخرى . . ومع ذلك فإننا نجد عدد صغير من نظريات المفاوضات يتعامل مع ذلك الأمر . . كذلك هناك القليل من البحث الأمبريقي يعالج هذا الأمر . . والحقيقة أن معظم الأبحاث الموجودة مشتقة من المدارس النظرية التي تخلو من أمر اللغة كعلم . والإهتمام بهذه الزاوية . . ونجد أن نظريات المفاوضات الحالية هي

نظريات ترجع في أساسها إلى علم الرياضيات وخاصة لنظريات المباراة (GAME THEORY) (بيل ١٩٨٨ : ٢).

(ج) مناهج تحليل المضمون من منظور علم اللغويات

بما أن عملية تحليل الخطاب والمضمون ترتبط إرتباطاً كبيراً بمنهجية البحث في العلوم الإجتماعية وبمدارس البحث المختلفة وبما أن منظور "لغويات التفاوض" الذي قدمه الباحث في اطروحته التي يشهدها علم اللغويات الحديث فإن استعراض تطور علم اللغويات الحديث وعلاقة هذا التطور بنظرة اللغويين إلى تطور أو تطوير منهجية البحث وإنعكاس ذلك الأمر على عملية تحليل النصوص والمطارحات يعد أمراً لازماً لتوضيح منطلقات منظور "لغويات التفاوض" ولتعريف المتخصصين في العلوم الإجتماعية الأخرى بهذه التطورات وماتمثله من تشابه وإختلاف مع العلوم الإجتماعية الأخرى. وتتلخص هذه التطورات في الآتي:

** المدرسة التاريخية (HESTORICISM):

وهذه المدرسة تمثل أولى مراحل دراسة ظاهرة اللغة بطريقة علمية ولقد مهدت هذه المدرسة لظهور المدرسة الثانية التركيبية STRCTURALISIM . وكان من رواد المدرسة التاريخية عالم اللغويات أو توجيسبرسن (OTTO JESPERSEN) الذي ذكر في كتابه الهام **اللغة**،

طبيعتها، تطوروها وأصولها، (١٩١٢) إن الصفة الرئيسية المميزة للغة كظاهرة هي الصفة التاريخية وهذه الصفة تمكن الباحث من تعقب تاريخ اللغات ليوضح أسباب وعوامل إستمرارها، تطورها وإنقطاعها وموتها وكذلك تأثيراتها المتبادلة مع اللغات الأخرى. وهذا التوجه يوضح لنا تفسير مجرى تطور اللغة من الماضي إلى الحاضر. فمن منطلق هذه المدرسة كان الإهتمام في تحليل المضمون بقضايا دراسة الأساليب اللغوية المميزة لعصر ما والتغير الذي لحق بها من خلال فحص الوثائق التاريخية.

** المدرسة التركيبية (STUCTURALISM)

جاءت هذه المدرسة للوجود كرد فعل للمدرسة التاريخية وكان من روادها - دي سوسير (DE SAUSSURE) والذي ذهب إلى القول بأن وصف اللغة ليس من الضرورة وأن يكون في شكل تعاقبي وتاريخي (DIACHRONEC) "رأسيا" إنما يجب أن يكون وصفها في الأساس حالي "متزامن" (SYNCHRONIC) "عرضياً" وهنا ليكون الوصف تركيبي (STRUCTURAL) قبل أن يكون سببي (CAUSAL) كما في المدرسة التاريخية. وهذا التوجة يتيح أيضاً معالجة السؤال الخاص بمجرى تطور اللغة إلى أن وصلت إلى ماهي عليه الآن؟ أي أن الدراسة التزامنية للغة كمثل دراسة جملة من الظواهر اللغوية في لحظة محددة من تاريخ لغة ما وعلاقة ذلك بمفاهيم العالمية والخصوصية

الثقافية (UNIVERSALISM & RELATIVISM . هذا ولاتنكر هذه المدرسة صلاحية المدرسة التارخية والتي مازالت قائمة إلى الآن فيما يعرف بفرع علم اللغويات التاريخة (HESTORICAL LINGUISTICS) لمزيد من التفاصيل انظر ليونز LYONS ، ١٩٨١) .

ولقد تأثرت هذه المدرسة (التركيبية) بالمدرسة السلوكية (BEHVIORAL SCHOOL) وركزت في معرض تطورها على التوجه الكمي الاستقرائي (QUANTATIVE INDUCTIVE APPROACH) الذي يبدأ بملاحظة وتحليل البيانات (DATA) ثم تكوين الإفتراضية فالنظرية . وكان ذلك بتحليل كم كبير من البيانات وعلى مستوى وحدات لغوية أساسية صغيرة مثل الفونيمات (PHONEMES) " أصغر وحدة صوتية " والمورفيمات (MORPHEMES) " أصغر وحدة صرفية " كذلك شهد المجال أسلوباً يماثل الأساليب المنتهجة في العلوم الطبيعة من خلال الدراسات الكمية الإحصائية وكتابة القوانين والمعادلات وما إلى ذلك وشاعت في ذلك الوقت دراسات مقارنات الأنظمة النحوية والصوتية للغات المختلفة بغرض تعلم اللغات وإتقانها في أسرع وقت خاصة؛ أثناء فترة الحرب العالمية الثانية . ولمزيد من التفصيل بخصوص دراسة التحليل أثناء فترة الحرب العالمية الثانية . ولمزيد من التفصيل بخصوص دراسة التحليل المقارن (CONTRASTIVE ANALYSES) انظر لادو (LADO) (١٩٥٧)، (١٩٦٤) .

لقد حددت هذه المدرسة نطاق موضوع علم اللغويات بأنه فقط اللغة مستهدفة بذاتها ولذاتها وأن دراسة اللغة يجب وأن تكون بمعزل عن شروط إنتاجها الإجتماعية والتاريخية ومن أهم مدارس تحليل المضمون التي تمخضت عن هذه المدرسة هو منهج إحصاء المفردات حيث يقوم الباحث بحصر كمي شامل لمفردات النص دون إفتراضات أو أغراض مسبقة ويكون ذلك بإستخدام حاسبات آلية أو بدونها ويتم هنا ترتيب الأسماء والصفات والأفعال والحروف في جداول لتستخدم في دراسة لاحقة. لقد كان مفهوم الباحثين في علم اللغويات في هذه الفترة يذهب إلى مساواة مفهوم الإمبريقية (IMPERICISM) بمفهوم العلم (SCIENCE) من منطلق أن الحقائق المحسوسة والملموسة والمرئية من خلال تحليل البيانات هي فقط التي تمثل المنهج العلمي لدراسة اللغة. لقد أعتقد منظرى هذه المدرسة أن أمر دراسة اللغة كدراسة علم المنطق أو ا لفيزياء. واستمر هذا النهج إلى أن قدم نوم تشومسكي (CHOMSKY) في مستهل الستينات تفنيداً لهذه المدرسة (التركيبية) السائدة وقدم نظريته الخاصة والتي عرفت بالنظرية النحوية التوليدية التحويلية عام ١٩٦٥ (TRANSFORAMTIONAL GENERATIVE GRAMNAR).

**** المدرسة التوليدية (GENERATIVESM OR INNATISM):**

لقد أحدثت نظرية تشومسكي في علم اللغويات تغييراً جذرياً في

أمر تحليل اللغة فنظريته إستدلالية (DEDUCTIVE) بدلاً من أن تكون إستقرائية (INDUCTIVE) كسابقاتها وهذا يفيد بأن الإفتراضيات والنظريات ليس من الشرط أن تكن نتيجة تحليل البيانات ولكن من خيال العالم ثم تأتي بعد ذلك إختبارات هذه الإفتراضيات والنظريات. فمدرسة تشومسكي تذهب إلى القول بأن البدء بتحليل كم كبير من البيانات كما في الطريقة الإستقرائية ليس هو الأمر الذي يجعل المجال علمياً أم لا (SINE QUE NON).

وبذلك فإنه في الوقت الذي يدعونا فيه التوجه الأمبريقي إلى أن أراءنا قد تكون خاطئة وليس علينا إلاّ أن نثبتها بالدليل أي أن نبدأ من منطلق التعبير الذي يقول : قد أكون مخطئاً" (I MAY BE WORNG) فإن المذهب العقلاني (أو مذهب المنطلق المقبول MENTALISM OR RATIONALISM الذي عبرت عنه مدرسة نوم تشومسكي فهو يبدأ بالتعبير القائل "أنا أعرف الحقيقة (I KNOW THE TRUTH)" حيث أنه لاتوجد في بعض الظواهر اللغوية تلك النوعية التي يقال عنها "أنها ملموسة" وتتعلق بعمليات ذهنية معقدة تسبب عملية الإنتاج اللغوي.

ولقد سادت مدرسة نوم تشومسكي إلى أواخر الستينات وأحدثت جدلاً كبيراً ولكنها في نفس الوقت أحدثت ثورة في علم اللغويات وأوضحت بشكل إتسم بالتعقيد والدقة العلمية العلاقة بين

النطاق الإدراكي واللغة فهو الأمر الذي جعل تشومسكي يؤكد على أن دراسة اللغة هي دراسة العقل الإنساني، ولمزيد من التفصيل ارجع إلى كتاب تشومسكي **العقل واللغة** ١٩٦٨، ولقد كان من أهم ماتركته نظرية تشومسكي من أمور حيوية لم يوضحها البحث الإمبريقي الذي كان سائداً قبلها الآتي:

- أن للغة أكثر من مستوى تركيبي وأن هناك مستوى سطحي (SURFACE STUCTURE) وآخر عميق (DEEP STRUCTURE) وأن العلاقة بين المستويين تتسم بدرجات مختلفة من التعقيد. ولقد أوضحت النظرية قواعد الربط بين المستويين بدقة وصرامة علمية كبيرة.

- أن هناك قواعد للتحويل من تركيب لآخر.

-أن معرفة القواعد تختلف عن عملية استخدامها وهذا ما أوضحته النظرية من خلال تعبيري "الكفاءة والأداء" (COMPETENCE & PERFORMANCE) وأن إهتمام البحث اللغوي يجب أن يركز فقط على "الكفاءة لوضع تصور علمي مثالي يصف أنظمة القواعد على مستوى لغات العالم (الأمر الذي كان محل نقد شديد من قبل المدرسة الرئيسية الثالثة التي سوف يلي ذكرها والتي تركز على مفهوم "الأداء في المقام الأول).

- أن الإنتاج اللغوي والإبداعية في إستخدامات اللغة تحكمه

قواعد أوضحتها النظرية .

لقد كان لهذه النظرية آثار كبيرة على فكر الباحثين اللغويين إلى الآن وتمخضت عنها نظريات أخرى ولكنها ظلت تحت إطارها العام. كذلك فلقد تأثرت بهذه النظرية عدة أنظمة أكاديمية أخرى على سبيل المثال مجال " الذكاء الصناعي " (ART IFICIAL INTERLLIGENCE) في علم الكومبيوتر . وكذلك تأثرت بهذه النظرية الدراسات المتمخضة عن العلم الإزدواجي المعروف بعلم اللغويات النفسي PSY CHO- LINGUISTICS خاصة تلك الدراسات التي ركزت على موضوع اكتساب اللغة (LANGUAGE ACQUISITION) . ولقد تمخض عن هذه التطورات بالإضافة إلي تحليل المفردات المذكورة سابقاً ماعرف بطريقة تحليل شبكة المفردات المصاحبة لمفهوم مركزي ما والتي تستند إلى مفهوم ترابط الكلمات COLLOCATION وهو المفهوم الذي قدمه عالم اللغويات فيرث (FIRTH) وطبقاً لهذه الطريقة يتم اختيار مفهوم أو مجموعة من المفاهيم من النص المراد تحليلة وتحديد " شبكة الترابط " الخاصة به أو بهدف الكشف عن وعي المتحدث من خلال العلاقات المتبادلة بين المفهوم المركزي وحقل ترابطه اللغوي . وهذه الطريقة تستهدف الكشف عن شبكة العلاقات المفهومية في نص ما وتكون علاقة الترابط في هذه الشبكة من خلال المفاهيم المتوافقة أو المتعارضة SYNONYMS & ANTONYMS) مع المفهوم المركزي الذي تم

اختياره وللتطبيقات ذات العلاقة بهذه الطريقة على الصعيد العربي انظر إلى كتابي **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر** (مارلين نصر ١٩٨١) و**الخطاب الساداتي** (عبدالعليم محمد ١٩٩٠).

كذلك كانت طريقة تحليل المضمون المشتقة من مدرسة تشومسكي وزيلج هاريس من قبله هي تقطيع النص وإجراء تحويلات نحوية على الجمل بغية ردها إلى بنيتها المبسطة ليسهل مقارنتها وتصنيفها ضمن فئات متعادلة نحوياً وتصلح هذه الطريقة لتحيل النصوص القصيرة .

**** المدرسة التداولية**

ثم جاءت الفترة الرئيسية الثالثة ، والتي نحن بصددها الآن ، في تطور المنهجية في علم اللغويات لتشهد توجه ينتقل بعلم اللغويات من الإطار الذي وضعه تشومسكي والذي يركز في تحليلاته على التركيبات النحوية أساساً (SYNTACTIC LEVEL) ومن منطلق " إستدلالي " إلى إطار معالجة مستويات اللغة المختلفة من تركيبات فونولوجية " صوتية وظيفية من نبرات صوت إلى آخره " (PHONOLGOICAL) منتقلة بذلك نحو معالجة أكبر في نطاق معالجتها تصل إلى مستوى المطارحة بالكامل (DISCOURSE LEVEL) .

وكان هذا معناه التعامل مع وحدات لغوية أكبر من الجمل والفقرات. ولقد شاهد علم اللغويات الاجتماعية دراسات تراكمية

كبيرة منذ السبعينات إلى الآن في إطار هذه المدرسة الرئيسية الثالثة وكانت الدراسات طبقاً لهذه المدرسة على مستوى النص دون دراسة للأطر المرجعية خارجه، أي النظر إلى النص كنسق تعبيري مغلق على نفسه وهذا ماعُرف بالـ GLOSSOMATICS إلى أن بدأت في الظهور مدرسة تحليل المطارحات في إطار علم اللغويات الإجتماعي وبدأ الإهتمام بعلم التدوال PRAGMATICS ولقد بدأت تظهر توجهات مختلفة في إطار المدرسة الثالثة إلاّ أن هذه التوجهات قد أجمعت على نقد المدرستين السابقتين وكان من أعلام هذه المدرسة الثالثة والتي اهتمت بتحليل واقع المطارحات وليم لابف (LABOE)، روجر شاي (SHUY) كمبرز (GUMPERZ)، شيف (CHAFE)، وتنين، (TANNEN).

ولقد جمعت هذه المدرسة بين الإستراتيجية الإستقرائية والإستدلالية (INDUCTION & DECUCTION) ومنطلق بدء البحث طبقاً لهذه الإستراتيجية هو تجنب الأمثلة الموضوعة أو المتصورة وهو ماقد يمسى بأمثلة الكرسي الهزار (ROCKING CHAIR EXAMPLES) " » فعلى سبيل المثال بدأ لابف وفانشيل (LABOV & FANSHEL ١٩٧٧، بتحليل وحدات " أثر أفعال القول " (SPEECH ACTS) في سياق المقابلات العلاجية (THERAPAUTIC INTERVIEWS) بين الأطباء والمرضى، وكانت نتائج هذا التحليل هامة فيما يتعلق بتركيبة ووظائف " أثر أفعال القول " وطرق تحليل هذه الوحدات والسبب يرجع إلى تحليل

هذه الوحدات في سياق طبيعي وحقيقي وليس من خلال الأمثلة المتصورة. فلم يبدأ لابف وفانشيل "على سبيل المثال" بفكرة أن معلوماتنا عن نظرية "أثر أفعال القول "SPEECH ACT" (THEORY قد تتقدم من خلال فحص وتحليل الإستخدام الحقيقي (الطبيعي) للغة ولكنهما قد بدأ بالمشكلة الخاصة بكيفية إسهام عملية التحليل اللغوي في فهم أعمق لطبيعة المقابلة العلاجية بين الأطباء والمرضى. إن هذا التوجه الدائري (ABDUCTION) لقريب الصلة بمفهوم التركيبية الإجتماعية SOCIAL CONSTRUCTIVISM الذي يستند بدوره على أن الأشياء (OBJECTSM) لاتوجد فقط في العقل (INNATISM) أو في العالم (EMPIRICIS) ولكنها على العكس من ذلك تتكون من خلال الأفعال المتعمدة للوعي. أي أن العملية تراكمية وهي لاتتركز في الفرد كما كان شائعاً ولكن هذه العملية تتركز في في تركيبية التفاعل الإجتماعي أساساً والتي يجب وأن تدرس من خلال تفاعل الناس وليس من خلال الأمثلة المتصورة من عقل الإنسان (انظر توميك وشاي ١٩٨٧ SHUY & SHUY)، و مبهان ١٩٨٢ ، MEHAN .

والخطوات المنهجية التي تتم طبقاً لهذه الإستراتيجية الدائرية ABDUCTIVE STRATEGY هي:

١ - البداية بمحاولة لفهم مبدئي لطبيعة موضوع البحث (بناء على الخبرة) ، ودون الإرتباط المسبق بنظرية أو نموذج نظري

معين للتحليل .

٢- جمع البيانات المتعلقة بالبحث، وأخذ عينة منها للتحليل التقيمي JUDGEMENTAL / PURPOSIVE SAMPLING) وينبغي محاولة الحصول على تلك المادة التي تتسم بالثراء وبالكشف عن موضوع البحث ثم يتم يكن التحليل بعد ذلك من خلال أنسب النماذج النظرية وأدوات التحليل الملائمة لموضوع البحث .

٣- وضع الإفتراضية والمفاهيم النظرية المتعلقة بها .

٤- تحليل مزيد من البيانات للتأكد من صحة الإفتراضية وكذلك إختيار مزيد من البيانات التي.تساعد على إبراز المفاهيم النظرية المنصوص عليها . وهذا ماعرف بمفهوم (التركيز المتنامي (PROGRESSIVE FOCUSING) "انظر STUBBS ١٩٨٣ "وهذا المفهوم يسمح بإستقبال المعلومات الجديدة التي تظهر من خلال مايظهر من إشكاليات أثناء عملية البحث وهذا المفهوم هو ماأسماه LABOV بمفهوم تغذية البيانات (ENTICHING THE DATA) .

٥- يتم تحليل البيانات من أكثر من منظور فمثلاً بعد تحليل التركيبات اللغوية المختلفة والمتعددة المستويات يتم تحليل الأطر المرجعية وتتمثل في الإشارة إلى سياقات النصوص الدقيقة داخل الإطار الثقافي أو في إطار عبر الثقافات (INTER & CROSSCULTURAL CONTEXT) .

وقد تتضمن هذه الخطوة الإنتقال من التحليلات الكمية إلى الكيفية ومن الكيفية إلى الكمية وهو ماأسماه STUBBS بمفهوم الحركة المثلثية TRIANGULATION وهذه الخطوة تتعلق بما عُرف تقليدياً باسم المبدأ التأكيدي، VERIFICATIONAL PRINCIPLE .

(د) منظور "لغويات التفاوض" ومدارس تحليل الخطاب (المضمون) في العالم العربي والغربي:

بالإضافة إلى إنتهاج منظور "لغويات التفاوض" لخطوات البحث الإمبريقي الخمس المشار إليها آنفاً فهذا المنظور له خصائص توضح علاقته بمدارس "تحليل المضمون / الخطاب الأخرى في العالم والغربي وتتعلق بالنقاط التالية:

* حول المحتوى الظاهر والمحتوى الكامن:

بينما تتمحور غالبية دراسات الخطاب في العلوم الإجتماعية المختلفة في العالم العربي والغربي إلى الآن حول تعريف بيرلسون بأنه "أسلوب للبحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للإتصال" برلسون ١٩٥٢)

فإن تحليل الخطاب (المطارحات) طبقاً لمنظور "لغويات التفاوض" يتسم بالتعامل مع المعاني الكامنة بالنصوص TEXTS وعبر النصوص (التناص) INTERTEXTUALITY .

كـذلك فإن مـجـال الإهتمـام يمكــن في الـعـمـليـات الـوظائفيـة تتخلــل الـمـقـولة المكتـوبـة أو المـنطوقـة أو مايسمى بـ DISCOURS . PROCESSES

* حول مفهوم عملية الإتصال :

يشترك " منظور لغويات التفاوض " مع مدارس تحليل المضمون في أن المقولة التي قالها عالم السياسة المعروف LASSWELL ومفادها " أن عملية الإتصال في مجملها هي من قال ماذا، وعن أي شيء، وكيف قاله، وما الآثار التي تترتب من ذلك " . تكاد تحيط بالمباحث الكبرى في مجال تحليل مضمون ووسائل لإتصال الجمعي "كما ذهب إلى ذلك السيد ياسين ومجموعة الباحثين (١٩٨٢)، لأن تركيز الباحثين في مجال تحليل المضمون على الوصف الكمي للمعلومات الخاصة بأنواع القيم المذكورة في نص ما لفاعل من الفواعل لايوضح ميكانزمات التفاعل بين هذه القيم عند توظيفها من قبل المتحاوريين عبر النصوص والأطر المرجعية لها في السياقات المختلفة وهذا الأمر المفتقد يعتبر من أهم المباحث التي يعني بمعالجتها منظور "لغويات التفاوض " الذي يعني بدراسة كيفية إحداث ناتج إتصالي (تفاوضي) ما ويبحث في ظواهر تركيبية واثينة (ETHNIC) تتعلق بكيفية تصنيف الفواعل ACTORS (على المستوى الإجتماعي السياسي) للواقع وعلاقة ذلك بإدراكهم للأحداث ولطبيعة موقف التفاعل والتعرف على شبكة

إستدعاء المفاهيم؛ في عملية التفاعل، من هذا المنطلق فإن منظور " لغويات التفاوض " يعني أيضاً بتقديم تعريف لتحليل المضمون يتمثل أساساً في كيفية توظيف عناصر " القدرة " POWERفي عملية التواصل لتحقيق هدف تفاوضي مافي موقف تفاوضي ما و هذا الأمر يتعلق بفهم النصوص وعلاقات الإزاحة والإستبدال بين النصوص وديناميكيات الحوار المتعلقة بفهم هذه النصوص (الأحداث). وعناصر هذا التعريف مستمدة من الدراسات متعلقة بمفهوم "كفاءة التواصل" COMMUNICATIVE COMPETENCE في علم اللغويات الإجتماعي. ودراسات القدرة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

وأهم هذه التعريفات الخاصة بكفاءة التواصل كما ذهب إليه أحد خبراء علم اللغويات الإجتماعية هو تعريف بيكر الذي ينص على:

" إن فهم العمق الحقيقي لمعاني الأحداث يتمثل في فهم كيفية تراكم النصوص السابقة. فهذه النصوص السابقة تتسم بالخصوصية المحددة ويتم إكتسابها وإستيعابها من مصادر معينة ومحددة ومن خصوصية هذه النصوص تبزغ عموميات الأحكام والتي تستند إلى إعادة صياغة تلك النصوص الخاصة لتناسب سياق حواري جديد ما. وإن كفاءة التواصل للمتحاورين تتمثل في عمليات البحث عن وتداول تلك النصوص من خلال الذاكرة التي تمتليء بتلك النصوص

السابقة وتصنفها بطريقة تختلف من متحاور إلى آخر" . (بيكر ١٩٨٤ : ١١).

كذلك إذاً فإن عملية "تحليل المضمون" طبقاً لمنظور " لغويات التفاوض" تستلزم دراسة القدرة السلوكية للمتحاورين وهي قدرة المتحاور على التعامل مع النصوص وديناميكيات لغة الحوار لتحقيق هدف تفاوضي ما.

وهنا استلزم الأمر تحديد تصور دقيق لعناصر كفاءة التواصل من خلال المفاهيم المتعلقة "بالقدرة" (POWER) واستلزم الأمر كذلك النظر إلى أدبيات "القدرة" في العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وتكوين مفاهيم مستمدة من هذه العلوم وعلم اللغويات مجتمعين: ويعتبر مفهوم القدرة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية أهم مصطلح تفاوضي فهو مصطلح مركزي يدور في فلكه عدة مصطلحات تفاوضية أخرى، وهذا المفهوم هو بطبيعته من أكثر المفاهيم التي يتناولها علماء السياسية والعلاقات الدولية بالتحليل والبحث إلى الحدي الذي دعا هاروولد لاسويل LASSWELL إلى أن يقول "حينما نتحدث عن علم السياسية إنما نحن بصدد الحديث عن علم "القدرة" (لاسويل ١٩٤٩ : ٨). وإلى الآن مازال علماء العلاقات الدولية والعلوم السياسية يقدمون تعريفاتهم المتعددة لمصطلح "القدرة" ومعظمها يرتكز حول فهم "القدرة" على كونها

مجرد مجموع تلك المصادر الملموسة (AGGREGATE RESOURCES) التي تمتلكها دولة ما، ولكن الأمر من منظور "لغويات التفاوض" يعني بتعريف عناصر ومهارات تلك القدرات "السلوكية" والذهنية التي يكون الهدف من تنميتها هو تعظيم المنافع وتحقيق الأهداف الإستراتيجية من خلال كفاءة التواصل (COMMUNICATIVE COMPETENCE).

فتاريخ العلاقات الدولية قد أثبت أن الكفاءة العالية في توظيف القدرة السلوكية BEHAVIOURAL POWER قد مكنت لدول صغيرة من أن تدير الصراع بكفاءة مع دول عظمي تفوقها من حيث "القدرة المادية الملموسة" بطريقة حسمت ناتج الصراع لصالح الأهداف الإستراتيجية العليا لهذه الدول الصغيرة على سبيل المثال انظر حالة المواقف التفاوضية بين بنما والولايات المتحدة بخصوص قناة بنما (حبيب، ١٩٨٨). وإدارة مصر للصراع في أزمة السويس ١٩٥٦ (انظر حسن وجيه، ١٩٨٩).

ولقد حاول العراق ولكن بمقارنات خاطئة وإدراك مُضلل من خلال إدارته لأزمة الخليج وتحركاته المختلفة بها إثبات تلك المقولة التي تقر بإمكانية تحقيق دولة صغيرة لأهدافها الإستراتيجية العليا بعد خوض جولات صراعية مع دول كبرى، وبالتالي كانت النتيجية هي ماحدث بعد إنتهاء الأزمة.

ولقد حاول البعض أثناء تفاعلات الأزمة تشبيه مافعله العراق بإدارة مصر للصراع مع القوتين العظمتين في أزمة السويس ١٩٥٦ وذلك بتشبيه إحتلال الكويت بتأميم قناة السويس ولكن تناس هؤلاء هذا الاختلاف الكبير للغاية لطبيعة الحدثين ولسياقات التفاعلات في أزمة السويس ١٩٥٦ وأزمة الخليج ١٩٩٠ .

لقد تضمن تعريف "القدرة" المستمد من علوم اللغويات والعلاقات الدولية والعلوم السياسية على عدة كفاءات (قدرات) مطلوبة للتواصل الفعال COMMUNICATIVE COMPETENCIES داخل وعبر الثقافات وتمثل هذه العناصر التقنيات الرئيسية اللازمة لمتحاور ما لتحقيق أهدافه التفاوضية بنجاح في السياقين السياسي والإجتماعي وكذلك تمثل العناصر والمحددات الأساسية للفهم الموضوعي للحوارات ولنص ما ولعمليات تفاعل النصوص INTERTEXTUALITY (التناص) وميكانزماتها . وبالتالي يعتبر فقدان أي عنصر من عناصر هذه "القدرات" أو "الكفاءات" لدى متحاور ما بمثابة تحديد للخلل في أداء ذلك المتحاور . ويوضح الجدول التالي "جدول رقم (١) " هذه الكفاءات (القدرات) التواصلية (ولمزيد من التفاصيل بخصوصها أنظر حسن- وجيه ١٩٨٩).

جدول رقم (٢) كفاءات (قدرات) التواصل من منظور لغويات التفاوض

عناصر كفاءة الحوار اللغوية الاجتماعية والعرقية داخل وعبر الثقافات SOCIO/ ETHNOLIGUISTIC COMPETENCE	عناصر كفاءة الحوار اللغوية الأساسية BASIC LINGUISTIC COMPETENCE
- معرفة الخلفية السياسية والإجتماعية للماوض. - معرفة المتحاور لما يحيط بموضوع التفاوض من موضوعات متعلقة به. - معرفة قيمة أثر أفعال القول SPEECH ACTS ودرجة حدتها أو خفتها في السياق التفاوضي سواءداخل إطار المجموعة الثقافية الواحدة أو عبر الثقافات. - إعتبار الفروق في معايير الحوار الموضوعية بين ثقافة وأخرى.. التعرف على معايير جوار GRICE MAXIMS وهي تتضمن: - مقولة الكيمية - مقولة الكيفية - مقولة الإتساق	- إتقان قواعد اللغة المستخدمة في التفاوض على مستوياتها النحوية والدلالة. - معرفة قيمة العناصر اللغوية المختلف واستخداماتها وهذا يتضمن فهم طبيعة معاني المفردات في إختلاف المقامات أو السياقات وكذلك المعنى الإصطلاحي- كان يتقن المفاوض من معرفة المصطلح القانوني أو الدبلوماسي المتعلق بالموقف التفاوضي.

عناصر كفاءة اللغوية النفسية PSYCHOLINGUISTIC COMPETENCE	عناصر كفاءة الحوار الدبلوماسية DIPLOMATIC COMPETENCE
- القدرة السريعة على فهم طبيعة الموقف وأولوياته. - معرفة الخلفية النفسية للمفاوض الآخر والتوظيف الفوري لانسب الإستراتيجيات للتعامل معه ومع الموقف وهذا يتضمن: أسلوب تحليل الدور CONTEXT ROLE ويعنى بقياس التوقعات التي يكوها الأفراد تجاه السلوك المرتبط بالدور الذي يؤدونه أو الذي يؤديه الآخرون وإدراك هذا الدور PERCEPTION OF THE ROLE BEHAVEIR وصراع الدور ROLE CONFLICT وهنا يمكن للمفاوض أن يرسم خريطة ذهنية تعبر عن نسق الأدوار ROLE SYSTEM للكشف عن أسلوب تفاعل الشخصيات الذين يشغلون أدوار مقابلة وتوقعاتهم فعاتهم الكامنة إذاء بعضهم البعض.	- القدرة السريعة على توظيف أدوات إحتواء الأثر الدبلوماسي السيء (إجتماعاً أو سياساً). DIPLOMATIC DAMAGE CONTROL - معرفة المستويات المتعددة للغة الدبلوماسية وهذا يتضمن على سبيل المثال لا الحصر القدرة على أداء العمليات التفاوضية الآتية: ١- الإقناع، وسلامة وإتساق الحجج، وبناء التحالف. COALITION BUILDING. ٢-التجنب عند اللزوم EVASION (عدم السقوط في فخاخ الخصم) وطرق الإستدراج المختلفة. ٣- فيهم الفرق بين التساوم والتفاوض ويضمن الفروق بين توضيح الرسائل EXPLICITNESS OF MESSAGES وبين إرسال رسائل تحتمل إنكارها مستقبلياً DENIABILITY OF MESSAGES. ٤- الإستخدام الموزون لإستراتيجيات التهديد وفتح الباب للمهادنة والموائمة بينهما لتحقيق الهدف التفاوضي إلى آخره.

لمزيد من التفاصيل بخصوص الأبحاث التي تفصل عناصر الجدول .

(١) وهي عناصر كفاءات «قدرات» التواصل من منظور "لغويات التفاوض" (أنظر حسن وجيه، ١٩٨٩).

إن مانريد الاستدلال عليه في سياق الدراسة المقدمة هنا هو أن مصدر "خطاب التناحر : الذي يهيمن على الكثير من تفاعلاتنا على المستويين الإجتماعي والسياسي هو إنتهاكه لمعايير قدرات التواصل المشار إليها بنسبة أو بأخرى بالجدول (١).

** حول منهجية منظور لغويات التفاوض

بينما قد تشترك مجموعة من مدارس تحليل "المضمون" ومنظور "لغويات التفاوض" في انتهاج بعض الخطوات الاجرائية الخمسة التي سبقت الإشارة اليها، إلاّ أن هناك اختلافين منهجيين أساسيين بين منظور "لغويات التفاوض" ومدارس تحليل المضمون أو ماعرف عند بعض الباحثين بتحليل الخطاب وهما يتعلقان بالنقاط التالية :

(أ) دراسات مقاييس العلاقة والنماذج التفاعلية :

إن من أهم منطلقات منظور "لغويات التفاوض" هو المحاولة العلمية لوصف ظواهر وكوامن الأداء اللغوي في السياقات المختلفة دون الإرتباط المسبق بنظرية أو تحليل بعينها خاصة تلك المستمدة من

العلوم الطبيعية كما هو سائد في الكثير من دراسات العلوم الإجتماعية بما فيها علم اللغويات وذلك من منطلق أن البحث العلمي وعملية التنظير الخاصة بالعلوم الإجتماعية وعلى وجه الخصوص المتعلقة بتحليل الأداء اللغوي تحتاج إلى ا السيطرة على عوامل أصعب وأعقد من العوامل التي تتم السيطرة عليها معملياً في العلوم الطبيعية .

فعلى سبيل المثال نجحت دراسات مقاييس العلاقة CORRELATIVE STUDIES في بعض السياقات وفشلت في الكشف عن طبيعة الظاهرة محل الدراسة في سياقات أخرى فدراسات مقاييس العلاقة المنقولة عن العلوم الطبيعية هي تلك الدراسات التي يمكن من خلالها قياس درجة بين متغيرين بمعامل الارتباط الذي يرمز له برمز وتعطي له قيمة رياضية تبين درجة هذه العلاقة فيكون موجباً بين متغيرين (DEPENDENT & INDEPENDENT VARIABLE) بمعنى إذا أنه تغير أحدهما في إتجاه معين يتغير الآخر في نفس الإتجاه مثلاً .

لقد كان من بين الذين استخدموا دراسات مقاييس العلاقة بنجاح في علم اللغويات الإجتماعي (SOCIOLINGUISTICS) وليم لابف (LABOV) لتحديد العلاقة بين المحدثين وأعمارهم وأوضاعهم الإجتماعية وذكائهم واختلاف أساليبهم في أدائهم اللغوي ؛ وهو الأمر الذي لم يكن واضحاً بصورة علمية من قبل والتي كان من أثارها

إعادة تقييم نظرية عالم الإجتماع (BEMESTIEN) المعروفة بنظرية العجز الإجتماعي " (SOCIAL DEFICIT THEORY) والتي كان لها صدي وأثر كبير في ايقاظ الأمال في أمريكا وأوربا في حل مشاكل الصراع الإقتصادي الإجتماعي بين الطبقات من خلال تدخل الدولة في عمليات التعايش الإجتماعي (SOCIALIZATION) لتحويل الفقراء إلى متعلمين يعتمد عليهم لمواكبه تحول الاقتصاد من اليد العاملة إلى الاعتماد على الخدمات وبالتالي على الأداء اللغوي إلى وحد بعيد وهو الأمر الذي انفقت الولايات المتحدة أموالاً طائلة عليها في عهد الرئيس كيندي في الستينات (انظر DITTMAR ١٩٧٦). إلاّ أن مدرسة تحليل المطارحات وعلم اللغويات الإجتماعي والتي يستند إلى نتائجها منظور "لغويات التفاوض" . تنتقد أساءة تطبيق هذه النوعية من الدراسات القياسية التي شاع استعمالها وسوء استعمالها في العلوم الإجتماعية وقدمت البديل الذي عرف النماذج التفاعلية (GUM[ERZ 1970 .1977) وكان ذلك من منطلق نواحي القصور الناتجة من استخدام الدراسات القياسية التي لاتقدم تفسيراً دقيقاً لأسباب اختلاف السلوكيات حيث أنها لاتشرح لماذا تختلف سلوكيات أساليب التناول اللغوية من مجتمع لآخر؛ كذلك فإن دراسات القياس (CORRELAIVE STUDIES) لاتمكننا من فهم المعايير الاجتماعية والقواعد الخفية التي تنظم عمليات السلوك اللغوي أثناء التفاعل بين الأفراد أو تفسير أدراك هؤلاء الأفراد لطبيعة العلاقات الاجتماعية

المختلفة كما أشرنا إلى ذلك من قبل. ومن ثم انصرف العديد من الباحثين إلى انتهاج مناهج النماذج التفاعلية وتراكمت الدراسات في هذا الاتجاه في علم اللغة الإجتماعي. انظر (١٩٧٧) GUM[ERZ (١٩٨٤ ، ١٩٨٦ TANNEN)، وكذلك تستخدم هذه النماذج في دراسات تحليل المطارحات القضائية (انظر على سبيل المثال SHUY (١٩٨١ ، ١٩٨٧) WALKE (١٩٨٧).

(ب) منظور "لغويات التفاوض" وماعرف بمدرسة تحليل الخطاب في العالم العربي:

بينما يعالج منظور "لغويات التفاوض" تحليل المضمون في إطار المنظور الدائري (ABDUCTIVE APPROACH) المشار إليه في استعراض تطورات توجهات البحث الأمبريقي في علم اللغويات فإن معظم مدارس تحليل المضمون كالتي عرفت بمدرسة تحليل الخطاب السياسي ومن أعلامها الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو (MICHAEL FACUAULT) وروتي (RORTY) وجاك ديريدا JACK DERRIDA تقترح دراسة الايديولوجية من خلال الخطاب السياسي. وفي العالم العربي نجد أن الأعمال التي مثلت هذه النوعية من المدارس الفلسفية هي أعمال الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري الذي قدم عدة مؤلفات منها تحليل **الخطاب العربي المعاصر** (١٩٨٥) و**تكوين العقل العربي** (١٩٨٤)، وبنيه العقل العربي، وهذه المدارس هي مدارس فلسفية

في واقعها أي أنها تتخذ من علم الفلسفة منطلقها الأساسي للنظر إلى دور اللغة في سياق تحليل النصوص الإجتماعية والسياسية فهي إذاً تختلف في أساليبها عن أساليب البحث الأمبريقي الذي يتسم به منظور "لغويات التفاوض" ولقد وصف السيد يسين كتابات الجابري كأحد الممثلين لهذه المدرسة في سياق تعرضه لها بالتحليل في مقالته "بحثا عن هويه جديدة للعلوم الإجتماعية في الوطن العربي الخطاب والأصولية المنهجية والاستراتيجيه قائلاً:

أن الجابري حين درس الخطاب العربي المعاصر قد ركز انتباهه على التناقضات بين الخطابات المختلفة ونادراً ماأشار إلى الممارسة وكان اهتمامه بمقياس عدم التناسق الداخلي أكثر من اهتمامه بتقويم التجربة المعاشه. . . وأن الجدل بين الفكر والواقع والذي يعد أساسياً في علم اجتماع المعرفة، يغيب كلية عن تحليلاته" (السيد يسين ١٩٨٦: ٤٨٨).

كذلك فإن النقد الموضوعي الذي يمكن توجيه لكتابات الجابري ومن ينتمي إلى هذه المدرسة هو نفس النقد الذي يمكن أن يوجه للمدرسة التفكيكية DECONSTRUCTIONISM التي إذا كان لها الجانب الموضوعي الذي يتضمن تفكيك النص إلى مكوناته التي توضح النص كبيانات وليس كبيانات مرصوصة إلاّ أن مانعتبره سلبياً هنا إنشغال العديد من أعضاء النخبة العربية بمثل هذا المنهج التفيكيكي والتركيز

عليه فقط ولحد ذاته في كثير من الأحيان، مثلهم في ذلك مثل العديد من الباحثين الغربيين وهذا ما انتقده الأستاذ WALTER JACKSON BATE الأستاذ بجامعة هارفارد الذي هاجم المنهج التفكيكي بقوله إن هذا المنهج التفكيكي أولاً قد خلق من تحليل النص بإستخدام مفردات هذا المنهج لغة خاصة لايكاد يفهمها أحد في معظم الأحيان. ويرى هذا الأستاذ "إن التفكيك فيه إنحرافاً يجمع بين عناصر تحليلية بنيوية وبين نزعة عدمية وهو يأسف لرواج التحليل التفكيكي ولايرى فيه إبتكاراً بل صياغة جديدة لنزعة التشكيك، التي شاعت قديماً عند الفلاسفة والتي رد عليها كل من إفلاطون والفيلسوف كانت KANT من بعده. ولهذا فهو لايرى داعياً للتشكيك والتفكيك لأن هذا الأمر يؤدي إلى خلق فراغ معرفي" (١٩٧٩ : ٤٦) BATE, 1979 .

إن هذا المنهج التفكيكي هو المنهج الذي هيمن على مقولات غالبية من الباحثين العرب في تفنيدهم للمسائل الفلسفية المتعلقة بالتراث العربي والحداثة وإنتهاج أسلوب تعميمي يميل إلى ترك التراث أو التحرر التام من النموذج السلفي، الأمر الذي جعل تركيزهم ينصب أساساً على تفكيك الماضي إلى كتل من المطارحات المشكوك في كل ماتتضمنه، وهذا الأمر لايساهم بالتأكيد في بناء المستقبل، ولكنه يسبب نوع من الخلخلة لأسس وقيم كثيرة.

ولاشك أن أنتهاج هذا المنهج التفكيكي قد أسهم أكثر في خلق ذلك الفراغ المعرفي وخلق روح من الشك في كل شيء واليأس والأحباط لأجيال قادمة الأمر الذي نلاحظه في كثير من مقولات شباب هذه الأمة في الوقت الراهن وهو ماسوف نقدم له تحليلاً أكثر تفصيلاً عند تناولنا لنمط اليأس والإحباط في الحوار في الفصل التاسع من هذه الدراسة .

*****

الفصل الثامن

خريطة تفاعلات أزمة الخليج وموقع الدراسة عليها
(حالة تطبيقية)

إذا كانت عمليات المساومة والتفاوض (BARGAINING & NEGOTIATION) من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية وتناولها الكثيرون بالدراسة العلمية من زوايا ومجالات متعددة (على سبيل المثال لا الحصر انظر FRASER ١٩٨٤ ، GOFFMAN ١٩٦٩ ، HABEEB ١٩٨٨ DIESING & SNYDER ١٩٧٧ ، IKLE ١٩٨٧ ، MONTVILLE ، (ALY) ١٩٨٢ ، AHSSAN ١٩٨٩) فلقد كان لأزمة الخليج تعقيدات فريدة من نوعها. فإذا كانت صفة " المفاوض العربي " في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة والتي حدثت في إطار نظام عالمي يهيمن عليه قطبين BIPOLAR SYSTEM تتضمن أساساً مواجهة مع مفاوضين من غير العرب، فإن " المفاوض العربي " أثناء هذه الأزمة يمثل " المفاوض العربي " في مواجهة " مفاوض عربي أخر " من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب - كل بطريقته - من الناحية الأخرى وفي هذا الفصل سنقدم تحديداً لخطريطة تفاعلات الأزمة وبمعنى أخر التركيبة الهيكلية العامة للموقف التفاوضي الذي اتسمت به هذه الأزمة وسوف تحاول هذه الدراسة التركيز على جزئية من هذه الخريطة وهي الخاصة

بالإشكاليات الأساسية في عملية التفاوض الدولية العربية والعربية -العربية من منظور "لغويات التفاوض" (المكون رقم ٦ في شكل رقم(١) .

فكاتب السطور يرى أن إشكاليات التفاوض التي قذفت بها تفاعلات هذه الأزمة لم تكن وليدة أحداث هذه الأزمة فقط ولكنها تمثل في واقعها ناتج تلك الأزمة المزمنة التي كان ولايزال يعاني منها العالم العربي سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأي العام وتظهر أعراض هذه الأزمة المزمنة من خلال هذا الكم الهائل من السلبيات التي ترسخت في أنماط وإستراتيجية الحوار التفاوضي اليومي في العالم العربي وبنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة . ولاترجع هذه السلبيات إلى وجود أزمة أخلاقية فقط كما يرى ذلك غالبية الباحثين وأعضاء النخبة العربية ولكن الأمر يرجع أساساً إلى إفتقاد التألف مع تقنيات وديناميكيات التفاعلات الحوارية التفاوضية المعقدة بطبيعتها على المستويين الإجتماعي والسياسي والتي يهتم العالم المتقدم بالتعامل معها من خلال العديد من المجالات التكاملية الحديثة والتي يمثل عدم وجودها في برامج الدراسات العليا في مجالات العلوم الإنسانية ومراحل التعليم بمستوياتها المختلفة (بعد تسبيطها) في العالم العربي في الوقت الراهن قصوراً بحثياً وتعليمياً (انظر حسن وجيه (١٩٨٤) - ١٩٩٠)، (١٩٩١).

الإفتراضية المقدمة في هذه الدراسة هي أن عمليات التفاوض على المستوى الإجتماعي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها، وإن زادت الأخيرة في حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها وإن لكل من نوعي التفاوض تعقيدات بالغة الضخامة ينبغي النظر إليها بأسلوب شامل في إطار نظام القيم الإجتماعية والثقافية لأفراد مجموعة ثقافية ما وكذلك في إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر إتساعاً وتعقيداً. وبالتالي فإن نجاح التفاوض الإجتماعي والسياسي يستلزم من المتحاورين التدرب على إكتساب قدرات خاصة بكفاءة التواصل الحواري والقدرة على التعامل مع أساليب التناول المختلفة وإقامة الحجج وتفنيدها وإختبار إتساقها وإكتساب وتنمية المهارات التفاوضية الأساسية التي تمكن من توظيف أنسب الإستراتيجيات الحوارية الملائمة لسياق ما بعد الفهم الكامل والعميق للموقف التفاوضي وطبيعته والقراءة السليمة لما يتعلق به من أحداث (أو نصوص). والتي أوضحنا عناصرها من خلال الجدول رقم (١) الخاص بكفاءات أوقدرات التواصل من منظور لغويات التفاوض.

** أزمة الخليج من منظور لغويات التفاوض:

إ ذا كنا بصدد تقديم تحليل لملف التفاعلات الأساسية لازمة خليج ١٩٩٠ من منظور لغويات التفاوض فلابد وكإجراء أساس طبقاً لهذا

المنظور الذي نقدم له، فإن علينا أن نرصد سياق التفاعل CONTEXT OF INTERACTION سياقات التفاعل وهي التي نشير إليها هنا من خلال الشكل التالي (رقم ٢)

والشكل السابق (رقم ١) يوضح الإطار العام لخريطة تفاعلات الأزمة أو بمعنى أُخر " رحم تفاعلات " هذه الأزمة منذ بدايتها.

أن الهدف من عرض هذا الشكل رقم (١) ليس تقديم تحليل لعناصر موضوعات التفاوض الرئيسية المتمخضة عن تحركات أطراف الأزمة والمتضمنة به، فهذا له سياق تفصيلي أُخر، ولكن الهدف هو - وكما ذكرنا - توضيح الرؤية الشمولية لتفاعلات الأزمة وطبيعتها وتحديد لموقع هذه الدراسة التي تعني بالمكون رقم ٦ بالشكل رقم (١)، وهو المكون الذي يتعامل مع مجموعتين من الأشكاليات، الأولى تعني بإشكاليات التفاوض العربية العربية الأمر الذي سوف نتعرض له بالتفصيل فيما يلي ونكمله بما يلي من فصول: وكبداية لتناول هاتين المجموعتين من الإشكاليات نقدم النقاط التالية في هذا الفصل كمدخل عام لمجموعتي الإشكاليات بالفصل الرابع:

أولاً: خصوصية أزمة الخليج في ظل أدبيات الأزمات الدولية السابقة:

ينطبق على أحداث الخليج ١٩٩٠ تعريف الأزمة: كما يقرها خبير العلاقات الدولية " وليام كوانت " حيث يقول:

شكل رقم ٢
تركيبة موضوعات التفاوض
المتمخضة عن تحركات الأطراف
(INTERACTIONAL TOPICS)

التحركات الإستراتيجية والتكتيكية للطرف الأول (العراق)		التحركات الإستراتيجية والتكتيكية للطرف الثاني (التحالف الدولي)
تحركات مبدئية لمنع تدخل النظام الدولي، ثم تحركات لإستغلال تركيبة هذا النظام	موضوع إحتلال الكويت (١)	تحركات حاسمة تؤكد تدخل النظام الدولي والشرعية إلى النهاية مع استهلاك كافة المبادرات
تحركات تعكس شخصية صدام في إدارة الأزمة وتركيبته الثقافية	ديناميكيات الصراع بين اللاعبين الرئيسية وحدة التنافس في الأزمة (٢)	تحركات تعكس أداء الفاعلين الرئيسين مبارك وبوش وفهد في مواجهة أداء صدام
تحركات تعكس ديناميكيات دبلوماسية النظام الشمولي ودور الإعلام فيه	ديناميكيات صراع الأنظمة في عملية صنع القرار أثناء الأزمة (٣)	تحركات تعكس دبلوماسيات ديمقراطيات متفاوتة الهوامش
تحركات ربط أزمة الخليج بالقضية الفلسطينية	ديناميكيات الصراع العربي الإسرائيلي (٤)	تحركات لنفي الربط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية على الطريقة العراقية (بسب مختلف)
تحركات لتسليط الضوء على إزدواجية الغرب في لتعامل مع قضايا العرب والمسلمين	ديناميكيات صراع الغرب والعرب والمسلمين تاريخياً (٥)	تحركات معلنة تتسم بالحساسية لمحاولة تلافي تنشيط هذه الديناميكيات

(٦)
العناصر الرئيسية للخطاب المتأزم" :
مجموعتين من الإشكاليات :
١- إشكاليات التفاوض العربية الدولية ومأزق التفاوض
٢- إشكاليات التفاوض العربية العربية

" إن الأزمات بطبيعتها تطرح إفتراضات سائدة عن الواقع بطريقة خاصة وحادة. وعندما تتم مواجهة القائمين على صناعة القرار السياسي بهذا الواقع بطريقة مفاجئة تتسم بوجود خطر داهم وعدم يقين بما سوف يحدث، يبدأ هؤلاء القائمون على صناعة القرار بمعالجة الأوضاع على أساس المفاهيم السابقة لديهم لذلك الواقع. ولكن عندما لايتطابق هذا الواقع مع الصور الذهنية السابقة لديهم للأمور المختلفة وجب على صناع القرار وبسرعة بالغة وفي ظل أحداث متلاحقة سريعة أن يقوموا بإعادة صياغة الصور الذهنية للأوضاع السابقة لما قبل الأزمة. . فإذا ماإنفرجت الأزمة بنجاح يستمر تواجد هذه الصور الذهنية الجديدة للأوضاع وكذلك لأطراف الأزمة وتستوعب الدروس الخاصة بما حدث وينبثق إطاراً جديداً للتحركات السياسية المستقبلية " . (كوانت ١٩٧٧ : ١٦٥)

ثانياً : تصنيف هذه الأزمة :

صُنفت الأزمات الدولية إلى نوعين رئيسيين، الأول هي تلك الأزمات التي حدثت في نظام دولي تهيمن عليه عدة قوي دولية وهي ماسميت بأزمات عالم الأقطاب المعددة " MULTIPOLAR CIRSES " كتلك التي حدثت في مستهل هذا القرن والنوع الثاني يشمل تلك الأزمات التي حدثت في إطار النظام الدولي الذي هيمنت عليه القوتين العظميين في عالمنا المعاصر وهي ماسميت " بأزمات عالم

القـوتين " (BIPOLAR CRISES) وكـان أهمـهـا الأزمـة التي ترتـبت عـن حـرب أكتوبر رمـضان ١٩٧٣ أمـا أزمة الخليج (١٩٩٠) فنصـفـها فيمـا يُعـرف " بأزمات عـالم الاقطاب المتعـددة الجديد (NEW MULTI POLAR CRISES) [انظر سنيـدر وديزنج ١٩٧٧]. ويتلـخص الفـرق بين نوعي الأزمات الرئيسية في الآتي:

١ - إنه عادة مايسمح النوع الأول (أزمات عالم الاقطاب المتعددة بـوجـود اعـتـبـارات لـلتكيف والتنسـيق مع الأوضـاع (ALIGNMENT CONSIDERATIONS) أكـثـر من المطلـوب في النـوع الثـاني (BEPOLAR CRISES) وهـذا يـرجـع إلى حـدوث مـكـثف لنوعـين من المسـاومـات أحـدهـمـا يـسـمـى " بمسـاومـات المتـنـازعـين " (ADVERSARY BARGAINING) وهـذا يعني وجـود مـبـاراتين علـى السـاحـة " مـبـارارة التنازع ومبـاراة التـحـالف " . وتتـداخل أفعـال الأطراف في اللعـبتين ولكـن تـخـتـلف طـبـيـعـة ذلـك التـداخـل فـفـي " مـبـاراة التـنـازع " (ADVERSARY GAME) تتسم طبيعة التداخل بمقدار الأذى الذي قد يلـحقه طرف ما بالخصـم ويتوقف هذا الأمر على درجة حـدة صـراع المصـالح ، فكل طرف في هذه الحـالة يحـاول أن يجـبـر الخصـم على الرضوخ لمطالبه ، وتكون هناك إذاً عـملية تقييـم مستمر لـلمصـالح مع الإستعداد لإيقاع الأذى والسوء بالآخر ويتـمـخض عن ذلك توقـعـات بخصوص قوة عزم الطرف الآخر ومدى حسـمه في الأزمة وعملية

المساومة هنا عادة ماتتضمن محاولات السيطرة على قدرة الآخر على الحسم من خلال التهديد وإلاّ فإن تقديم الحلول الوسط بشأن الصراع وتقديم التنازلات هو الخيار الآخر لهذا الطرف أوذاك.

أما في "مباراة التحالف" (ALLIANCE GAME) فإن التداخل يرجع إلى القدر الذي يحتاج فيه المتحالفين وأشباه المتحالفين بعضهم لبعض وهذا يعني مدى حاجة كل من المتحالفين وإعتماده على قوة بعضهم البعض لمواجهة التهديدات التي يرسلها الخصم.

٢- إن التحالف في حالة النظام الدولي الثنائي (BIPOLAR CRISES) عادة مايكون مجرد تسجيل للمصالح العامة لأعضاء التحالف فالمصالح كامنة في تركيبة القدرة لهذا النوع من النظام الدولي، وهذا هو ماكان سائداً في فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة و "الإتحادة السوفييتي" سابقاً. أما التحالف في حالة "أزمات النظام الدولي المتعدد القوي" (MULTIPOLAR CRISES) عادة ما يخلق مصالح مستجدة لم تكن موجودة من قبل.. ففي هذه الحالة يعكس أمر التحالف عدم وجود دولة تمتلك القوة الكافية بمفردها لمجابهة التهديدات التي قد تأتي بها مراحل الأزمة.

٣- أما الفرق الثالث بين نوعي الأزمات فهو كما حدده روبرت أزجود OSGOOD أنه في حالة أزمات النظام الثنائي (BIPOLAR CRISES) فإن المصالح تكون متجانسة (HOMOGENEOUS) وفي حالة

أزمات النظام المتعدد القوى (MULITIPOAR CRISES) تكون المصالح غير متجانسة (HETEROGENEOUS).

لمزيد من التفاصيل في شأن الفروق (انظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧).

وفي ضوء ماذكر يمكن القول بأن أحداث الخليج ينطبق عليها مايميز نوع "الأزمات التي تحدث في عالم تعدد الأقطاب الجديد" الذي تضطلع الولايات المتحدة فيه بالدور الرئيسي فيه إلاّ أن العراق في هذه الأزمة قد وقف وحيداً وقد تحالف معه بقدر أو بآخر ومتأرجح بعض القوى ذات غير الوزن في النظام الدولي حركهم في ذلك إدراك مستقبلي وهمي (ILLUSIONARY PERCEPTION) بإمكانية تحقيق قدر من المغانم أو رفع شعارات مغلوطة وغير عقلانية وهذا يكفي المراقب بأن يصف موقف العراق والذين أيدونه بأنهم ذو أهداف متجانسة وأن العراق كان هو سيدهذا التحالف. وفي مقابل العراق كان هناك إدانة الغزو العراقي للكويت وضم الكويت ممن رفعوا شعار الشرعية الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة التي إتخذت العديد من القرارات لإدانة العدوان والمطالبة بعودة الحكومة الشرعية للكويت وفرض العقوبات الإقتصادية والحصار البري والبحري على العراق إلى أن اندلعت الحرب وحقق التحالف ماأراده وفرض أجندة الموضوعات التي أعلنها في بدء صراع الأزمة.

الفصل التاسع

خطايا الحوار التفاوض في الواقع العربي

إذا كنا قد استعرضنا فيما سبق تركيبة الموقف التفاوضي لأزمة الخليج كأزمة لها سمات الأزمات العالمية من ناحية ووجود صور ذهنية قد استجدت للأطراف عند بداية الأزمة وبالتالي فلقد حاولت جميع الأطراف أن تتعامل مع هذه الصور المستجدة في ظل عدم اليقين بما سوف يحدث، وفي هذا الفصل سنوضح ذلك البعد التركيبي الأخر للموقف التفاوضي للأزمة والذي بلاشك، قد زاد من تعقيدات التعامل مع هذه الأزمة ويتمثل هذا البعد في تلك التركيبات والإشكاليات الإثنية الثقافية المتعددة والمعقدة التي أحاطت بالأزمة. وهذه الإشكاليات التركيبية تتلخص - كما ذكرنا- **في حدوث هذه الأزمة في سياق أزمة أخرى مزمنة يعاني منها العالم العربي في تفاعلاته التفاوضية اليومية وعلى مستوى النخبة قبل أن يكون الأمر على مستوى الجماهير**. ونحاول من خلال هذا القسم من الدراسة تقديم تقييم للمقولات التي تتعلق بهذه الأزمة المزمنة وتسليط الضوء على تلك الأنماط الحوارية التي تسبب شيوعها في مزيد من تأزم التفاعلات الحوارية في العالم العربي وبالتالي فشلت المحاولة بعد الأخرى في إنجاح عملية التفاوض العربي العربية التي كان الهدف منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت. ولقد أدى "الخطاب المتأزم"

وعدم إدراك مايحدث على الساحة الدولية إلى أن تكبد العالم العربي خسائر فادحة كان في غنى عنها بكل تأكيد.

دراسات " العقل العربي " : أوجه الوصف وأوجه الخلل:

ولقد تناول العديد من المتخصصين في العلوم الإجتماعية العرب وغير العرب تعقيدات الأوضاع الثقافية العربية للأزمة المزمنة ولعلنا نجد في مفردات بعض هذه الدراسات الرئيسية مؤشراً واضحاً على كينونة الواقع الثقافي العربي، فغليون قد قدم دراسة بعنوان **إغتيال العقل العربي** (١٩٩٠) والتي أوضح بها أن علاقة العرب بثقافتهم علاقة معقدة ومتناقضة إلى أبعد الحدود. فالبعض يرى العلاقة سبب في التخلف والبعض الآخر ينظر إليها كخشبة الخلاص. ولقد حاول غليون من خلال كتابه أن يبين كيف أن محنة الثقافة العربية ليست إلاّ مظهراً لمحنة الذات العربية وتشتتها بين التأكيد الشكلي للذات، والرفض السلبي للآخر.

وانتقد الجابري العقل العربي في كتابيه بنفس العنوان لعامي (١٩٨٤، ١٩٨٦) وفي كتابه بعنوان **العقل السياسي العربي** في عام ١٩٩٠ أما هشام شرابي فيقدم تحليلاً سياسياً اجتماعياً للثقافة العربية وينتقد فيه عوامل الشلل والجمود التي تعوق حركة التغيير من وجهة نظره في كتابه بعنوان **البنية البطركية** (١٩٨٧) وإذا كانت هذه الأعمال تصف الوضع العربي بمسميات مختلفة فإن السيد ياسين قد

وصف الواقع العربي بأنه "أزمة" عندما تحدث عن "**خطاب الأزمة**" (١٩٨٩) وكان يعني بذلك تلك الخطابات المتصارعة في الوطن العربي ورغم أن تعريف "الأزمة" في ظل التفاعلات الدولية وكما ورد ذكره في الفصل الثالث من هذه الدراسة (كوانت ١٩٧٧) يختلف عن استخدام تعبير "الأزمة" بمعناها المجازي والمتمثل في وصف عنف تصارع الخطابات في العالم العربي من دينية وعلمانية وخلافه، إلاّ أن المتأمل في هذا الوصف المجازي يجد وكأنما كان هذا الإستخدام ينبيء بإستمرارية الأمور في إتجاه طريق الأزمة الحقيقية الكبرى التي نعيشها الآن ولا بد أن نشيرها هنا" إلى أهم الندوات العربية التي تعرضت بالنقد للأوضاع الثقافية العربية المعاصرة والتي كان عنوانها "أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي" ومن سخريات القدر أنها عقدت بالكويت عام ١٩٨٤ وكان دافع مجموعة الباحثين البارزين من المثقفين العرب لعقد تلك الندوة في ذلك الوقت هو " حالة التشرذم الذي وصل إليه العالم العربي وظهور جوانب الضعف الجسيمة في بنائه مما جعله أرضاً مستباحة للعدوان بأشكاله وصيغه المعددة" . (السيد ياسين ١٩٨٩).

إن معظم الدراسات التي عنيت بأمر الوضع الثقافي في العالم العربي هي دراسات وصفية من منظور نظري فلسفي واستقرائي "DEDUCTIVE " وليس من منظور امبريقي استدلالي

INDUCTIVE EMPIRICAL/ أو دائري ABDUCTIVE كـمـا في حـالـة استخدام منظور لغويات التفاوض الذي قدمنا تفصيلاً له في الفصل الثاني من هذه الدراسة. وسوف نستعرض في هذا الجزء أكثر الأنماط سلبية في التفاعلات التفاوضية العربية في سياق الأزمة المزمنة وكذلك ماحدث منها أثناء أزمة الخليج. وسوف نسلط الضوء أولاً على تلك الأشكاليات الخاصة التي عادة ماتصاحب الأزمات الدولية عموماً ثم نستعرض إشكاليات الأزمة الزمنة في العالم العربي وكيف أنها أضافت بعداً غاية في التعقيد للتركيبة الهيكلية للموقف التفاوضي الخاص بأزمة الخليج ١٩٩٠. إذاً فإن الإشكاليات التي سنتعرض لها في هذا القسم من الدراسة تنقسم إلى مجموعتين من الإشكاليات المجموعة الأولى وتبحث في عناصر الأزمات الدولية والثانية تبحث في عناصر الخصوصية الثقافية للأزمة والإشكاليات المتمخضة عن تلك الخصوصية وهذا ماسوف نتناوله في إطار مأود أن أسميه " بالخطاب المتأزم " كما أشارنا إلى ذلك آنفاً.

***

أولاً : المجموعة الأولى من اشكاليات التفاوض :

الإشكاليـــة الأولى: حدة تنافس الأطراف لتكوين الصورة الذهنية لدى الآخرين بما يؤثر في ناتج الأزمة

(IMAGE & SCHESMOGENSIS) .

من الممكن النظر لموضوع تنافس الأطراف لتكوين صورة ذهنية لدى الآخرين تساهم في ناتج الأزمة من خلال مستويين، الأول يتعلق برؤية الأطراف بعضهم لبعض بصفة عامة بعيداً عن أزمة الخليج والثاني يتعلق بكيفية رؤية الأطراف بعضهم لبعض في سياق الأزمة ذاتها. ويتعلق المستوى الأول بصراع المنافسة الحادة بين الأطراف من حيث توظيف أساليب الحسم والدفاع عن المبدأ والقوة وعدم الرضوخ أو المهادنة في لحظة ما من لحظات الأزمة وإنتهاج كافة العمليات التفاوضية التي تبقي على حدة الصراع وهذا هو مايعرف بما يسميه خبراء اللغويات الإجتماعية (LINGUISTIC SCHESMOGENSIS) "انظر BATESON ١٩٧٧ " .

وإذا كان لإعتبار الصورة الذهنية للآخرين أمر هام في تحديد مسار العديد من الأزمات الدولية السابقة والتي لم يكن العرب أطراف فيها فإن أمر إعتبار الصورة الذهنية لدى الآخرين في هذه الأزمة كان له قدر كبير من الإعتبار لأنها لم تمثل فقط صراعاً بين طرفين يهتم كل

منهما بالصورة التي يريد أن ينقلها للآخر والتي تمكنه من ا لخروج فائزاً أو على الأقل متعادلاً بعد الأزمة والتي تعتبر فرصة أي زعيم لتأكيد ذاته أمام شعبه وأمام العالم.

الإشكالية الثانية : اختلاف الثقافات وأثر ذلك على إدارة الأزمات:

إن الأمر في أزمة الخليج قد مثل صراعاً بين ثقافتين يعرفهما الباحثون في مجال اللغوية العرقية (ETHNOLINGUSTICT) والإنثربولوجي "بالثقافة العليا" و "الثقافة الدنيا" (HIGH & LOW CULTURES) فأفراد "الثقافة العليا" و التي صنفت في إطارها الثقافة العربية يهتمون بشكل الصورة التي يريدون أن ينظر إليهم بها الآخرون ويضعون ذلك الأمر فوق كافة الأولويات والإعتبارات الخاصة بنظام القيم لديهم، بينما لايضع أفراد" الثقافة الدنيا " (LOW CULTURE) نفس القيمة لهذا الأمر في ترتيب نظام القيمة لديهم وهذا يجعلهم أكثر قدرة على التكيف بطبيعة الحال. (للفروق بين نوعي الثقافة انظر تينج تومي (TING - TOOMY ١٩٨٥) وهنا يظهر سبب مقنع في تفسير "عناد" صدام حسين للنهاية ومحاولة تصوير نفسه بالبطل المنقذ الذي يستطيع أن يتحدى أعتى القوى في العالم بل يستطيع أن يتحدى العالم أجمع دون أن يرضخ مهما كانت النتائج ويستحيل عليه أن يتراجع أو يتكيف سريعة مع الأحداث طالما يتعارض هذا مع الصورة

الذهنية التي اقتنع هو أنها الصورة الوحيدة التي يريد أن ينظر إليه من خلالها الجميع . . ولذلك فإن تصويره في الغرب في بداية الأزمة بأنه "هتلر، وموسوليني، وناصر، وصلاح الدين، وربين هود، وكابون" (كما ورد في نيوزويك١٢ أغسطس ١٩٩٠) قد زاد من إحساسه بالصورة الذهنية التي أراد أن يُنظر بها إليه فعلى الرغم من عدم دقة هذه الأوصاف عليه خاصة بوصفه صلاح الدين أو حتى عبدالناصر- وفي هذا مايعكس الرؤية التأطرية للعالم الغربي التي تتسم هي الأخرى بالمغالطات التاريخية والموضوعية في كثير من الأحيان والنظر للعرب والمسلمين والأرهاربين بمعنى واحد- . إلاّ أن ما وحد بين هذه الشخصيات أنه يتوفر فيها عامل الحسم والقوة وهو ما قد أقنع صدام حسين بالإستمرار في عناده بالقدر الذي أتاح للغرب تسديد الضربة التي رأو ألا يتراجعوا عن تسديدها له ولذلك وُصف بأنه ذلك المفاوض العنيد (نيوز ويك١٢ أغسطس ١٩٩٠) الأمر الذي ولّد لديه إحساس بالثقة الظاهرية والإستمرار في عناده فهذه الصورة التي أوحي له الغرب بها قد أكدت له نجاحه ولو لحين، فوصفه بالمفاوض العنيد أو بالإنجليزية BULLY NEGOTIATOR والمعنى هو المفاوض العنيد المتحكم فيمن هو أضعف منه والذي يجد المتعة في إجبار الآخرين على أن يفعلوا دائماً مايريدهم أن يفعلوه . ولقد عرف ماتسبوره MATSBURAH ١٩٨٨ هذه النوعية من المفاوضين بأنه .

" ذلك المفاوض الذي يعرف بإستخدام مبدأ العين بالعين ولايهادن أبداً .

وإذا كانت هذه صفة تفاوضية لها ميزتها في بعض الأحيان إلاّ أنها ليست بالتأكيد أفضل صفات التفاوض . والميزة الأساسية لهذه الصفة إذا لم يساء إستخدامها وتوظيفها هي الحصول على أكبر قدر من الفوائد من العملية التفاوضية وعدم تحمل أي نوع من الإستجابة من الطرف الأخرى هذا ولايستريح هذا النوع من المفاوضين إلاّ في حالة تعاون ومهادنة الطرف أو الأطراف الأخرى تماماً (MATUSBURAH ١٩٨٨ : ٨) .

وفي مقابل صدام أكد بوش هذه الصورة الذهنية لصدام لإستدراجه في مستنقع لم ينجو صدام منه وذلك عندما ذكر في حديث له " إنه قد تعلم منذ طفولته أن يقف إلى جانب المظلوم والمستنجد به وكما أنه يراعي الأخلاق وصفات المسيحي الطيب إلا أن تربيته في مؤسسة واسب المسيحية (WASP) قد مكنته من أن يرد الشخص العنيد الذي يسيء إستخدام قوته BULLY نيوز ويك ٢٠ أغسطس ١٩٩٠) .

ومن الأمثلة الشيقة التي حدثت أثناء تفاعلات الأزمة والتي توضح صراح الثقافتين العليا والدنيا ، واللتان أشرنا إليهما آنفاً ، واللتان يحدث في إطارهما تفاعلات كل من صدام وبوش ، هو

ماحدث أثناء المحادثات التي أجراها وزيرا الخارجية العراقي طارق عزيز ونظيره الأمريكي جيمس بيكر في جنيف في بداية شهر يناير ١٩٩١ أي قبل إنتهاء المهلة الدولية للعراق للإنسحاب من الكويت. ففي نهاية المحادثات رفض طارق عزيز مجرد أن يحمل رسالة خطية من الرئيس بوش إلى صدام لمجرد أنه يخاطبه فيها بـ "صدام مجرداً" !! وكأنما جورج بوش من أهم شيء لديه، من لقبه "المهيب الركن" ، رفض وزير الخارجية العراقي حمل الرسالة وحاول إفهام بيكر عبثاً: إذا ماكان بوش يعتزم سلاماً حقيقياً فعليه أن يتأدب في الخطاب!! ولقد وقف الرئيس بوش بعد ذلك بساعات قليلة أمام كاميرات التليفزيون وهو يقسم بأن الخطاب كان في منتهى الأدب وأنه كان مباشراً وقصيراً ومختصراً!! . . وبالفعل ففي الثقافة الإمريكية يكون الحوار أكثر قرباً بين أطراف الحوار إذا لم تكن الألقاب سائدة. أما في ثقافتنا العربية فإن اللغة الفخمة مطلوبة، فتفاعلاتنا غنية بالألقاب وعبارات التكريم، فالعربي البسيط عندما يخاطبه أي شخص فإنه عادة لايستمع إلى الكلام بقدر ماينصت إلى الأسلوب الذي ساق به هذا الكلام، فما بالنا إذا كان المخاطب رئيس دولة.

وإذا كان ماسبق ذكره يلقي بالضوء على طبيعة أمر صراع الشخصية في عمليات التفاوض العربية والدولية، فإن صراع الشخصيات المحورية في سياق الأزمة على مستوى عملية التفاوض

العربية العربية نجده في صراع شخص الرئيس مبارك والرئيس صدام حسين .

ولقد كان لهذا الصراع الأثر الحاسم في تحديد ناتج أزمة الخليج وكان أول إراء النخبة في هذا الصدد ماأورده الدكتور سعد الدين إبراهيم بعد أيام قليلة من غزو العراق للكويت على صفحات جريدة الأهرام بإيجاز يمثل تصارع الشخصيتين وماتمثله كل منهما من أنماط في عمليات التفاوض العربية العربية ونورد هنا هذا الرأي بنصه الذي نشر بالأهرام في ١٦/٨/ ١٩٩٠ تحت عنوان " مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية " .

" لاشك أن الأزمة التي أحدثها صدام حسين باجتياحه للكويت الشقيق، يمكن أن تتحول إلى كارثة مدمرة بالنسبة له وللعراق والخليج وبقية الوطن العربي . وشأن هذا الرجل هو شأن الشخصية التراجيدية في الأساطير الإغريقية، يرى الكارثة قادمة أمام عينيه مثل كتاب مفتوح، ولكنه بوعي أو بغير وعي يقذف بنفسه إلى قلب الكارثة كما لو كان يستجيب لقدر محتوم . وقد قيل الكثير حول فقدان الرجل لرشده السياسي واختلطت عليه " الأزمنة " وقوانين الحركة في النظام العالمي . ويتصرف صدام حسين الآن كما لو كان يؤمن بأنه استثناء فذ لقوانين التاريخ والإجتماع، بينما كل الشواهد تشير إلى أنه نشاز صارخ لهذه القوانين .

وفي مواجهة هذه الشخصية التراجيدية الناشزة يقف الرئيس المصري حسني مبارك بثبات وضجاعة وعقلانية يحاول أن يمنع تحول الأزمة إلى كارثة ويؤمن أن "الإنقاذ" ممكن وأن الكارثة حتمية. وقد عبر عن ذلك كله في خطابه إلى الأمة يوم الأربعاء ٨/ ٨/ ١٩٩٠، ثم إمام مؤتمر القمة يوم الجمعة ١٠/ ٨/ ١٩٩٠، وأثبت مبارك أنه زعيم قومي عاقل ورجل دولة مسؤل وكبر بمصر وعقلاء العرب، وكبرت معه مصر وعقلاء العرب. وكان واضحاً أن الرجل يعرف "مكانه" و "زمانه" وقوانين عصره وعالمه بكل الشفافية والوضوح.

وبين شخصية صدام التراجيدية النشاز، وشخصية مبارك رجل الدولة العاقل، يتأرجح حاضر ومستقبل الأمة العربية بأسرها. أحدهما يستثير أحط غرائز القوغائية العربية، والآخر يستنفر اسمي مباديء الأمة العربية. والمقابلة أو المقارنة هنا ليست بين شخصين أو رئيسين وإنما هي بين ظاهرتين، وبين نزعتين، وبين اتجاهين. ظاهرة البقاء في مقابل ظاهرة الفناء نزعة عقلانية في مواجهة نزعة خرافية اتجاه نحو المستقبل واتجاه نحو الماضي وسواء يدرك الرجلان ذلك بوعي أو لايدر كأنه، إلاّ أنهما في لحظة الدراما القومية هذه يجسمان كل جدليات التاريخ والإجتماع العربي.

ولأننا مع "البقاء" و "العقلانية" و "المستقبل" فلايمكن ولاينبغي أن نترك رجلاً واحداً في قطر عربي واحد يقرر مصير مائتي

مليون عربي، خاصة إذا كان هذا الرجل شخصية تراجيدية ناشزة، تجسم نزعات " "الفناء" و "الخرافة" و "الماضي" . لذلك لابد أن يقف العرب مع مبارك ومع مصر ومع قوات السلام العربية في الخليج ولابد من دعم مايمثله هذا الرجل من نزعات البقاء والعقلانية والمستقبل بالمال والسلاح والرجال، ففي أمتنا من لديهم فيض من الرجال وفيها مالديهم فيض من المال والسلاح، ولابد من المزاوجة بين الرجال والمال والسلاح بلا وهن أو تردد. فإذا فعلنا ذلك بحسم وجدية، فلابد للأزمة أن تنتهي دون أن تتحول إلى كارثة عربية.

لقد كلفت الأزمة التي خلقها صدام حسين لنفسه وللعراق وللخليج والوطن العربي في أسبوعين فقط مايوازي عشرة مليار دولار وعشرات المليارات بعد ذلك ذهبت هباءً منثوراً، غير كل الآلام الإنسانية والبشرية لشعب الكويت والعرب والعالم، وهي آلام لاتقدر بمال. ولعل في هذه الحقيقة نفسها أحد مؤشرات ماكان ينبغي علينا أن نفعله في الماضي. وبالقطع فهي مؤشر لما ينبغي أن نفعله في المستقبل مباشرة بعد إحتواء الأزمة ونقصد بذلك نظام عربي جديد أكثر تكافلاً بين عرب اليسر وعرب العسر. منعاً لإنفجار أحقاد مكبوتة، نظام عربي أكثر ديموقراطية منعاً لظهور المستبدين المغامرين من أمثال صدام، نظام عربي أكثر قوة من داخله وعماده مصر، منعاً لإلتهام أقطارنا الصغيرة بواسطة أشقاء جشعين أو أجانب طامعين.

ومهما كانت كلفة هذا النظام العربي الجديد -الأكثر تكافلاً وديموقراطية وأمناً - فإنها بالقطع ستكون أقل من تكاليف أهدار المال والبشر والأمن والكرامة لكل الأمة كما رأينا في الأسبوعين الماضيي . " .

الإشكالية الثالثة: إشكالية تفاعل الشخصيات الأنظمة المتصارعة:

إذا كان دراسة تصارع الشخصيات بطبيعتها المختلفة تتم من خلال بعض النظريات والنماذج التي تعني بتحليل الأزمات والتفاعلات الدولية . (انظر على سبيل المثال كالدويل دان CALDWELL **كيسنجر شخصيته وسياسيته** ١٩٨٣) وكتاب BARBER JAMES **خواص الرؤساء**، ١٩٨٥ . فإن هناك منهج آخر لتحديد دراسة الأزمات من خلال تحليل الطبيعة التفاعلية للنظم المتصارعة وعملية صناعة القرار بها (على سبيل المثال انظر سنيدر وديزنج ٩١٩٧٧ فإن النظر من خلال هذا المنظور الأخير يوضح أن أحد عناصر الهيكل التركيبي لعملية التفاوض التي ينبغي إعتبارها في تقييم تفاعلات الأزمة هو وجود صراع بين نظام ديكتاتوري يوظف ما يسمى بالدبلوماسية الشمولية من ناحية وعدة نظم دولية توظف أغلبها تفاعلات تتماشي مع مايسمي بالدبلوماسية الديموقراطية (بخصوص هذه التصنيفات انظر NICOLSON، ١٩٨٨) .

ولقد تجسدت ملامح هذا الصراع بين نوعي الدبلوماسية في سياق أزمة الخليج ١٩٩٠ في نقطتين رئيسيتين هما :

(أ) إن النظام الشمولي في بغداد استطاع من خلال إجراءته وآلياته ومفاهيم سخرة الفرد أن يصمد في وجه العقوبات الإقتصادية لفترة أطالت من أمد الأزمة ولقد تنبأ بطول هذه الأزمة منذ الأيام الأولى للأزمة د . مايكل هدسون أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جورجتاون حين ذُكر على لسانه في مجلة نيوز ويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠ قوله " أن هذا النظام لديه القدرة على أن يستخلص من الشعب أكبر قدر من المعاناة . كذلك فإنه نظام يتسم بدرجة عالية من النظام والإنضباط ولذلك فبإمكانه أيضاً إستغلال الرقعة الزراعية لديه تحت وطأة الأزمة لزيادة إنتاجه من الأساسيات مع الإلتزام بإجراءات تقشف حادة . " (نيوز ويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠) .

(ب) إن النظام الشمولي بطبيعته يستطيع القيام بحملات دعائية مركزة تكون لها نتائج حاسمة في عقول الجماهير على التميز بين الحقيقة والدعاية فيها ومن هنا يمكن تبرير إستجابة جموع كبيرة من الجماهير العربية في شكل مظاهرات تأييد للعراق أثناء الأزمة .

ولعل من الأمثلة الشيقة التي أفرزتها هذه الأزمة في هذا الصدد هو إستخدام أجهزة الدعاية العراقية لتعبير " الحملة الصليبية CRUSADE " فعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية قد طلبت

دخول القوات الأمريكية للسعودية بعد غزو صدام للكويت وتهديد أوضاع قواته الهجومية بغزو السعودية إلاّ أن العراق قد وصف القوات الأمريكية والدولية المتواجدة بالمنطقة بأنها " حملات صليبية جاءت لتحقيق مطامعها الخاصة بها وقد وجدت هذه الترجمة لتعبير "CRUSADE " وللأحداث المعبرة منه تأييداً في العديد من البلدان العربية وسوف نتناول هذا الأمر بالتفصيل في الفصل العاشر في معالجتنا للنمط الحادي والعشرين .

*****

**

*

ثانياً : المجموعة الثانية من الإشكاليات :

«خطايا الحوار التفاوضي»

- «مدخل عام للخطاب المتأزم »

لاشك أن إشكاليات لغة التخاطب المزمنة والتي يعاني منها العالم العربي في عمليات التفاوض الاجتماعي والسياسي سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأي العام قد وصلت إلى حد لم تصل إليه من قبل بغزو العراق للكويت. **وبطبيعة الحال، فإن هذه الإشكاليات الحوارية لم تكن وليدة حدث بعينة ولكنها نتيجة تراكمات اجتماعية وسياسية وتعليمية عميقة ترسخت في أنماط وإستراتيجيات الحوار اليومي في العالم العربي بنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة.**

إن سوء الفهم والتفاهم المستمر وعدم الانسجام والتألف بين أعضاء الأسرة العربية باتساعها كان ومازال في حالة تدهور بسبب عدم التعامل مع هذه الإشكاليات على نحو علمي، إن العالم المتقدم يهتم بدارسة التفاعلات الحوارية في سياقتها المختلفة من خلال نتائج دراسات علم اللغويات الإجتماعي والنفسي والسياسي. فما هو الحال بمعاهدنا وكلياتنا المتخصصة؟! . . الواقع يقول إنه لايزال معظم خبراء علم اللغويات عندنا يتناولون في برامج التدريس والأبحاث

النظرية النحوية أساساً لعالـم اللغويات نوم تشومسكي والذي لاجدال حول مكانته العلمية الرفعية، فلقد أحدثت نظرياته ثورة في علم اللغويات وكان لها آثارها العميقة على بعض العلوم الإجتماعية الأخرى. ولكن أين الإهتمام بالنظريات الحديثة التي جعلت تشومسكي نفسه يتخلى - وبتواضع وموضوعية العلماء - عن الكثير مما ذهب إليه في النظريات التي طرحها بذاته؟! كذلك مازالت قضية اللغة واللهجات وظاهرة الإزدواجية بين الفصحى والعامية- والتي ظهرت معظم الأبحاث الرئيسية الخاصة بها في الستينات والسبعينات - والمعروفة بظاهرة الـ DIGLOSSIA (وهي ظاهرة في العربية واليونانية والألمانية والعبرية وإن اختلفت طبيعتها بين هذه اللغات) تحتل موقع الصدارة في اهتمامات العديد من خبراء اللغويات عندنا. أنني أرى أن الوقت قد حان لتناول قضية، يجب وأن يكون لها الأولوية في البحث والتدريس وأعنى بذلك أن نفتح «**ملف قضية لغة التخاطب**» وأكرر هنا الدعوة إلى أهمية تدريس مادة تسمى "بتقنيات لغة التخاطب" ليس فقط في الكليات المتخصصة ولكن أيضاً في المدارس بمراحلها المختلفة (وهذا النداء موجه لكل القائمين على تحديث التعليم في الوطن العربي) حتي يتسنى لنا معالجة إشكاليات الحوار المزمنة من الأساس وبطريقة علمية. فهذه الإشكاليات المزمنة والتي نحاول التعرض إليها في هذه الدراسة، نجدها واضحة في سياق التحدث

بالفحصى وبالعامية وحتى في سياق التحدث باللغة الأجنبية إذا ما استخدمت في حوار ما .

ما المقصود بإشكاليات لغة التخاطب بصفة عامة ؟ ،لتوضيح هذه النقطة نتعرض في هذا المدخل العام لبعض الأسس المعيارية البسيطة والتي غالبا ماتنتهك في الحوار اليومي رغم بداهتها وهذه الأسس مثل تلك الأسس التي سماها أحد علماء اللغويات باسمه وهي ماتعرف باسم معايير جرايسGRICE وهي معايير الكمية والكيفية والاتساق والسلوك . وتتعلق هذه المعايير بالآتي :

(١) حجم المعلومات التي يتطلبها الحوار ، فعلى المتحدث أن يشارك في الحوار بالقدر المطلوب طبقاً لسياق الحدث ذاته وعليه أن يتجنب الإسهاب وأن يكون مركزاً .

(٢) على المتحاور الا يفرض نفسه أو يناقض مايقوله أو مايتعهد به وعليه أيضاً تجنب الغموض والالتباس في حواره .

(٣) على المتحاور أن يجعل مشاركته في الحوار متسقة مع الواقع ومع عناصر الحجة التي قد يكون بصدد إقامتها .

إن مراعاة هذه المعايير وطريقة التعامل معها هي التي تشكل الأساس فيما يعرف بأسلوب الحديث لمتحاور ما . كذلك يتعلق بأمر هذه المعايير علاقات "القدرة" POWER " في الحوار والمقصود بهذه

العلاقات هو مايملكه المتحاورون من القدرة أثناء الحوار فهناك حوار الرئيس والمرؤوس والرجل والمرأة والطبيب والمريض والمذيع وضيفه والمتهم والقاضي إلى آخره وتختلف هذه العلاقات باختلاف سياق الحديث من رسمي إلى شبه رسمي إلى ودى أو شبه ودى وكذلك ترتبط هذه العلاقات ببنية النظام الإجتماعي والسياسي لثقافة ما .

*** " فاولات " كأس العالم وإشكاليات اليومي على المستويين الإجتماعي والسياسي :**

إن إحدى إشكاليات الحوار اليومي الرئيسية في الوطن العربي هو عدم ادراك الكثيرين لماقد يحدث أثناء الحوار وعدم تحديد نوع الإشكالية بدقة وهنا نعود بالذاكرة إلى مشاهد "كأس العالم التي كانت توضحها بجلاء تلك الكاميرات "العجيبة" التي زودت بها أرض الملاعب . فقد كانت توضح وبالتصوير البطيء مدى حجم الانتهاكات الكبيرة لقواعد اللعبة والتي كان يمارسها بعض اللاعبين سواء عن قصد أو غير قصد، وكان من الصعب حتى على حكام المباريات، في كثير من الأحيان، أن يدركوا كل وحجم هذه الانتهاكات والآن، فإن نفس الأمر ينطبق على عمليات الحوار اليومي، فكثير من "الفاولات" الكلامية والمكتوبة لايمكن أن يرصدها المراقب العابر بل تحتاج في رصدها إلى كاميرات دقيقة وعاءة ماتمر هذه "الفاولات" دون حساب وكذلك دون ادراك حقيقي لما

حدث من انتهاك لقواعد لعبه الحوار، وبالتالي دون التعرف على أسباب حالات عدم انسجام المتحاورين أو صولهم إلى حالة تصارعية حادة. فهناك حالات حوار تصارعية نتجت وتدهورت بسبب أن نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئاً مايتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الآخر، وهناك حالات أخرى ادت فيها تقلصات وجه المتحدث وحركة يديه إلى ترك انطباع لدى أحد أطراف الحوار بأن أحد المتحاورين يرسل رسائل تتسم بالتهديد والتحدى والعداء أو الاستهتار بالآخر، وفي أحيان أخرى كان إيقاع المتحدث سريعاً وحماسياً فتصور الطرف الآخر أن المتحدث انفعالي ويريد أن يستأثر بالحوار، هذا في الوقت الذي ثبت فيه، بالدراسة، **أن هذه الحالات كانت لاإرادية ولم يقصد المتحاورون فيها أي عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث ولكنهم لايشعرون بوقع مايقومون به على الآخرين وحجم الانزعاج الذي يتسببون فيه.** كذلك فإن هناك إشكاليات ذات طبيعة أكثر تعقيداً حين يتصارع المتحاورون لفرض "اجندة موضوعاتهم" على الساحة النقاش ومايصحب ذلك من إستراتيجيات حوارية متعددة تتعلق بأساليب بناء الحجة وتفنيدها واستخدام الإستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة في الحوار كذلك ترجع نسبة كبيرة من إشكاليات الحوار إلى اختلاف في فهم وتفسير النصوص السابقة والمتعلقة بحوار ما وهذه من أكبر

إشكاليات الواقع الحواري في العالم العربي على وجه الخصوص.

إن تحليل الحوار (المكتوب والمسموع) وتحليله وتحديد موقع الخلل الذي أدى إلى حدوث عدم الفهم أو التفاهم لمن الأمور التي تحتاج إلى دراسة وممارسة وتدرب فهذه الأنشطة هي بمثابة "كاميرات ملاعب كأس العالم" التي أشرنا إليها سابقاً وهي التي توضح إلى أبعد الحدود حجم انتهاكات "أو فاولات" الحوار وتحدد أين وقع الخطأ ولماذا ومن هنا يبدأ علاج ذلك الواقع الحواري الفوضي الذي نعاني منه جميعاً وإلى أبعد الحدود.

* " القنبلة " وإنهاء حوار!

إن خطورة ترك إشكاليات الحوار دون التعرف على طبيعتها ومحاولة التعامل الإيجابي معها قد يؤدي إلى حدوث مزيد من "الفاولات" غير مقصودة أو المقصودة، والخطورة الأكبر هي حدوث هذه "الفاولات" في الأوقات الحرجة لعلاقة ماسواء كانت بين أفراد أو دول فيكون وقعها كوقع قنبلة الدمار الشامل التي تنهى الحوار والعلاقة برمتها.

إن استخدام تعبير "القنبلة" ليس استخداما مجازيا، فمن الدراسات الطريفة التي وردت في دراسة لعالم اللغويات الإيطالي امبرتو ايكو. أنه عند تحليل الوثائق الخاصة بالقاء القنبلة الذرية على اليابان، قامت الولايات المتحدة، وقبل اتخاذ آخر الخطوات لتنفيذ

عملية ضرب اليابان ذريا بمحاولة للتأكد من إمكانية استسلام اليابان دون استخدام القنبلة، وهنا استعانت الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتي ليقوم بجس نبض اليابان بخصوص الاستسلام الكامل والنهائي، إلاّ أن رسالة اليابانيين والتي نقلها السوفيت اتسمت بظاهرة حوارية يابانية حيث تضمنت استخداماً متعدداً لأدوات النفي مع أفعال التوقع والاستنكار والاستثناء والتي فهم منها طرف من توظيف هذه الظاهرة الحوارية القبول بالاستسلام مع التفاوض وليس الرفض.

إن هناك أمثلة أخرى عديدة لتوضيح الآثار المدمرة على علاقة مانتيجة لسوء الفهم أو التفاهم بين المتحاورين من ثقافات مختلفة وقد يحدث نفس حجم سوء الفهم أو التفاهم بين أفراد الثقافة الواحدة ويكون في هذا مأساة أكبر وأسف أشد **وماأكثر الأمثلة المؤملة في واقعنا العربي وما أكثر الأمثلة الحديثة جداً والتي ولدتها أزمة الخليج.**

من منطلق هذا التقديم لطبيعة الإشكاليات الحوارية استعرض في هذا الجزء من الدراسة الإشكاليات الحوارية التي تمثلت في كم من الأنماط الحوارية السلبية والتي تتداخل وبعضها البعض. ولكن على سبيل توضيحها لتعميق الإحساس بها سأسردها بصورة جزئية من خلال الأنماط التالية:

الفصل العاشر :

أنماط الحوار التفاوض السلبية في الوطن العربي : مدخل للتقويم

* النمط الأول : "حوارات المباراة الصفرية" :

المقصود بهذا النمط الحواري هو وصف تلك الحالات الصراعية غير المتعاونة في الحوار والتي قد تصل درجة حدتها إلى منطق تعامل مفاده " لابد أن أجعل الطرف الآخر يخسر كل شيء وأن اكسب أنا كل شيء، وهذا مايطلق عليه أصحاب نظريات مباريات التفاوض GAME THEORISTS في علم العلاقات الدولية " مباراة محصلتها صفر " "ZERO -SUM GAME " وطبقاً لقواعد هذه المباراة فإن المتحاورين يؤمنون بأن إدارة الصراع الإجتماعي والسياسي لاتحتمل حلولاً وسطاً- أي أن الأمر ينبغي وأن يكون أما رفضاً مطلقاً أو قبولاً مطلقاً "اما قاتلاً أو مقتولاً" وممارسة هذه النوعية من المباريات تعتبر من أسوأ أنماط إدارة الحوار التفاوضي إجتماعيا وسياسياً، فمفهوم المنافسة والمسابقة طبقاً لهذه النوعية من المباريات لايكون عادة من خلال الاستعداد واللياقة والسعي للفوز بطريقة شرعية، بل أن الفوز يتحقق أساساً من خلال تدمير وتشويه الآخر. والمؤسف حقاً أنه في الوقت الذي لم تعد الجماعات والشعوب والمتحضرة متقبلة لمباراة

" المحصلة صفر " وبعد أن أصبح يسود معظم قطاعات هذا العالم المتقدم قواعد مباراة أخرى تسمى بـــ "اكسب واكسب" أو مايسمى "بعكس" (اسم المباراة الأولى)- "المحلصلة ليست صفراً" (NON - ZERO - GAME)، نجد أن المباراة الأولى أي " المحصلة صفر " هي التي لاتزال شائعة بين أعضاء النخبة والعامة في العالم العربي .

ولقد تجسد هذا النمط من خلال كتابات ومواقف كثيرة لأعضاء النخبة العربية أثناء المراحل المختلفة من الأزمة إي أن "الخطاب النخبوي" من ناحية قد جسد هذا النمط وكان من الواضح أن "خطاب السلطة" أيضاً قد جسده فعلى سبيل المثال أصر العراق على أن يعلب هذه المباراة الصفرية من ناحيته وأن يصر عليها في كافة مراحل الأزمة إلى أن خسر في إدارتها . فلو إدار الأزمة بسلوك غير سلوك "المباراة الصفرية" واستجاب لنداء العقلانية وانسحب من الكويت بعد هذا الكم الهائل من المبادرات التي قام بها عدد كبير من زعماء العالم وهيئاته لكن ناتج الأمر مختلفاً تماماً ولفضح على الأقل موقف المتربصين، إذا كان السياق تحكمه نظرية المتربصين والمتأمرين!!! .

* النمط الثاني : حوارات " التأطير " FRAMING

والمقصود "بنمط التأطير" هو عملية تصنيف المتحاورين لبعضهم البعض أثناء التفاعل الحواري .

ولقد وجد كاتب هذه السطور - من خلال تحليل كم كبير من التفاعلات الحوارية المنطوقة والمكتوبة. أن هذا النمط يمثل واحداً من أكثر أنماط الحوار شيوعاً وسلبية ويوظفه المتحاورون من كافة التوجهات التي تمثل "الخطابات" (المطارحات) المتعددة والمتصارعة في العالم العربي، سواء كانت هذه "الخطابات" "يمنية"، "إسلامية"، "علمانية" "مستقلة" أو فاشية (أو سمها ماشئت) ونجد أن أكثر الأمثلة التي تعكس الطبيعة التناحرية بين هذه الخطابات هو ذلك القول المتبادل بأن " هذا عميل" وهذا "عنصر مندس" وذلك "متطرف" وهذا " رجل قوال أو هؤلاء قوالون" . . إلخ . . . . .

والملاحظ أن الإشكالية في هذه التصنيفات - رغم أنه قد تكون صحيحة في سياق ما في بعض الأحيان - إذا وجد الدليل الواضح عليها - إلاّ أن التفسير الذي استطيع تقديمه بخصوص مايتعلق بـ توظيف "التأطير" في الحوار وبعد تحليل العديد من المواقف التفاوضية على المستويين الاجتماعي والسياسي يرجع إلى الآتي : -

١ - أن يكون المتحاور قد عزم النية على تشوية الآخر من خلال وضعه في قالب مالايكن موضوع استحسان من الأغلبية رغم أدراك ذلك المتحاور لما يفعله.

أن يكون المتحاور حسن النية ولكنه يستخدم أسلوب التأطير من

منطلق فهمه وأدراكه الطبيعي للأمور، ولقد أثبت التحليل، أنه في أغلب الأحيان يكون المتحاور تحت تأثير "نظرية المؤامرة" التي تكون قد ولدت لديه قنوات وأوعية ذهنية مفادها أن هناك دائماً "مؤامرة" وهناك دائماً "متآمرون" على مستوى التفاعل الإرادي الإجتماعي والسياسي وبالتالي فإن كل شيء "مرسوم" و "متوضب" وليس هناك هامشاً للحركة بصيغة فاعلة. وهذه النوعية التي تمكنت منها "النظرة التآمرية" للواقع الإجتماعي والسياسي قد فقدت القدرة على التعامل الإيجابي مع الواقع وتكون مساحة الإدراك لديها لامكانية وجود "ميكانيزمات" عديدة غير وارد ولو حتى بنسبة ضئيلة. كذلك أوضح تحليل البيانات موضع الدراسة افتقاد هذه النوعية للقدرة على أقامة الدليل الواضح والصحيح لما تذهب إليه من تفسيرات وكذلك وجود خلط كبير لديها في تفسير الشواهد والنصوص. كذلك فإن لغة هذه النوعية من المتحاورين تتسم بإستخدام مكثف للمبنى للمجهول "دُبِّر" "رُسِم" "خُطِّط" إلخ والأفعال التي لايتحدد معها الفعل (PROCESS VERBS)، مثل "سيحدث" "سيتم".

٣- أن يكون سبب إستخدام أساليب "التأطير" هو خليط من ١، ٢.

وللتأطير أساليب متعددة وأكثرها شيوعاً هو إخراج الكلمات والعبارات بل والنصوص برمتها عن سياقاتها الأصلية عمداً أو سهواً،

وهذا مـايسـمـيـه خـبـراء علـم اللـغـويات الإجـتـمـاعي بـــ DECONTEXTUALIZATION . وهنـاك أسلوب آخـر يتم مـن خـلاله استخدام الألفاظ والعبارات التي تترك أطيب الأثر لدى المتلقى لها لتحقيق أهداف غير أخلاقية تتعارض ودلالة المفاهيم المستخدمة في حقيقتها، وطبقاً لذلك فقد تكون "**حرب التحرير**" حرب غزو دنيئة في واقعها و "**الإجراءات الديمقراطية**" قد تكون إجراءات قمعية و "**كشوف البركة**" قد تكون في واقعها "كشوف رشوة" وهذا مايطلق خبراء علم اللغويات الإجتماعي SOCIOLINGUISTS بما يسمى بـــ "LINGUISTIC FRAMING" وإذا كان نمط "التأطير" من أكثر الأنماط الحوارية سلبية وشيوعاً في المجتمع العربي، فهذا لاينفي عالميته واستخدام أفراد وجماعات الثقافات الأخرى له خاصة في الصراعات السيـاسيـة ولهـذا الأمـر سيـاق تفصيـلي ينـدرج تحت ما اسمـاه خبراء علم اللغويات الإجتماعي "بلغويات أو رويل" ORWELLIAN LINGUISTICS وهذا التعبير مستوحى من أشهر روايات الكاتب البريطاني المعروف جورج بعنوان ١٩٨٤ وفي هذه الرواية يتصور أوروويل وجود مدينة غير فاضلة ٠ UTOPIA NEGATIVE تمارس فيها أشكال التأطير المختلفة.

لقد تبنت أجهزة الأعلام العراقية منهج "لغويات أرويل" هذا إلى أبعد الحدود عند إدارتها للازمة فقامت بتغليف الممارسات العراقية

البغضية بمسميات رأت القيادة العراقية أنها ذات وقع إيجابي على الجماهير العربية مثل : إن الغزو قد جاء لمساندة حكومة الثورة في الكويت .

ثم الانتقال إلى القول بأن هذا الأمر جاء أيضاً لتوزيع الثروة وإقامة العدل الإجتماعي بين الدول الغنية والفقيرة وأن ماقام به العراق هو نوع من مقاومة مافرضه ذلك المقص الاستعماري الذي ساهم في قطع الكويت عن العراق "وحجة الحق التاريخي" ولقد أكدت أجهزة الدعاية العراقية على محاولة تثبيت أفعال القول "التأطيرية" هذه من خلال تحركات حوارية تمثلت في إرسال تهنئته لإلمانيا بمناسبة الوحدة (أثناء الفترة الأولى من الأزمة) سعياً في تأكيد تشبيه العراق بضم الكويت بالوحدة الإلمانية . كذلك نجد هذا الأسلوب التأطيري يتجسد في تعبير "ضيوف العراق" على الرهائن إلى آخره . أما على صعيد تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة التي تذخر بعشرات الأمثلة يتجسد من خلالها أساليب التأطير في الحوار ، نستشهد بمقال للكاتب ثروت أباظة بعنوان :

أقتل وبهتان ؟ حيث يقول : !

سأل شاب من شهود ندوات المعرض واحداً ممن كانوا ينتسبون إلى الأخوان المسلمين ثم أصبح ينتسب إلى المتطرفين" لماذا قتلتم النقراشي؟" فإذا المتطرف يجيب في ثقة أن النقراشي كان عميلاً للإنجليز كبرت كلمة تخرج

من أفواهـم أبهذا يأمر الإسلام؟ . . أيأمر الإسلام بشاهدة الزور ورمى الناس بالباطل والاعتداء على تاريخ الكرام بهذه السهولة وهذا اليسر . . النقراشي الذي وضع رأسه على يده هو وزميله أحمد ماهر واتهما بتهم خطيرة من أنهما كانا يقتلان الإنجليز وقدما إلى القضاء وكادا يفقدان حياتهما . هذا النقراشي كان عميلاً للإنجليز؟

النقراشي الذي وقف في هيئة الأمم المتحدة يصيح بالإنجليز في مواجهتهم أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة فتدوى صرخته في العالم اجمع فهي صرخة لم يسمعها المحتلون طوال حياتهم ولم يقلها قائل لهم قبل النقراشي. النقراشي كان عميلاً للإنجليز . فماذا جمع من هذه العمالة وكان ماكان في جيبه حين قتلتموه ثلاثة جنيهات والله وحده يعلم كيف كان يعيش كموظف ليس له من دخل إلاّ مرتبه. النقراشي كان عميلاً؟!

أيها القاتل السفاك المزور لقد حدثت في مصر في عام ٥٢ ثورة وقد حاولت بقضها وقضيضها أن تعصف برجال الحكم الذين كانوا قبلهم وتكونت المحاكم في شتى أوقات وشتى أسماء منها محكمة الثورة ومنها الغدر وغيرهما وغيرهما مااستطاع الببغاوات من الضباط الذين وضعتهم الثورة على كراسي القضاء المقدس أن ينالوا من الشرف الوطني لواحد ممن حاكموهم وكم أساءوا إلى رجالات مصر وكم تهجموا عليهم الباطل. ولكن الثورة .ممثليها وقواتها وقضاتها الذين لم يكونوا قضاة لم يستطعوا أن يمسوا وطنية شخصية واحدة من الشخصيات التي حاكوا حولهم ماحاكوا واختلفوا عليهم مااختلفوا لم تستطع الثورة بكل جبروتها الذي نعرفه أن تدعى أن بين

رجال مصر عميلاً واحداً . وبين رجال مصر لم يسمع عن سياسي أنه كان على صلة مريبة بالإنجليز إلاّ أمين عثمان وأنا لاأعرف الرجل ولكن أعرف من يعرفونه ويقولون عنه أنه كان مصرياً صميماً ولكنه كان يرى أنه مع المحتل الذي يملك مايملك من قوة عسكرية وجنود وحشود لاسبيل إلاّ تحسين العلاقات حتى تنال منه حقوقك ولو بالتدريج مادمت لاتستطيع أن تنالها بالقوة في حرب ولاتستطيع أن تنالها جميعاً في دفعة واحدة .

وهذا رأى يقبل النقاش . وإذا نظرنا إلى تاريخنا مع الإنجليز نجد أننا نلنا حقنا كاملاً على مراحل بدأت بتصريح ٢٨ فبراير الذي تمكن منه ثروت باشا رحمه الله ثم مشينا مع المحتلين الهويني حتى تم الجلاء . ومع ذلك فقد عادوا في عام ١٩٥٦ إلى حرب يريدون بها أن يستردوا ما تركوه .

فرأى أمين عثمان ليس مرفوضاً جملة وتفصيلاً وإنما كان رأيا جديراً بالمناقشة . وعلي كل حال فأمين عثمان قتل . ولم يشهد الثورة .

ومصر ترفع رأسها في فخر وعزة إلى السماء أن ليس بين رجالها خائن واحد لها ففيم إذن عدوانك هذا الآثم على النقراشي بعد أن قتلتموه أما يكفيكم قتله وتريدون أيضاً أن تعتدوا على سمعته وكرامته . كبرت كلمة تخرج من أفواهكم أهذا هو الإسلام . هل قرأتم القرآن أم على قلوب أقفالها . . هل قرأت قوله تعالى . . ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الآية ٣٠ سورة الحج ، أولم تقرأ قوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ . [الآية ٧٢ سورة الفرقان]

ولا والله ماكان النقراشي عميلاً بل كنتم أنتم قوماً بوراً ظالمين ومازلتم.

وإن كان هذا رأيكم في النقراشي فقتلتموه فما وضعكم للقنابل في دور السينما تنفجر فتصيب من تصيب لافرق بين رجل وامرأة ولابين عجوز وطفل ولافرق بين من يؤيدكم وبين من يعارضكم.

إن كان هذا رأيكم في النقراشي فماقتلكم الخازندار القاضي الذي حكم على واحد منكم حكماً لم ترضوا عنه؟

لماذا أعدت إلى الحياة ماينبغي أن يظل بعيداً عن الذاكرة وماسيظل سبة سوداء في تاريخكم الغاشم الظلوم في تاريخ الإنسانية جمعاء. إنما هو عدم التوفيق.. أوقعكم فيه الله لأنكم لستم من أهل الله .. فلو كنتم من أهله ماإستحللتم دم البشر ولاكرامات الناس.. والله سبحانه هو المولى وهو نعم الوكيل..

بقلم ثروت أباظة

الأهرام ٢٧/ ١/ ١٩٩٢

*** النمط الثالث : حوارات " تضخم الإحساس بالذات".**

والمقصود بهذا النمط أن يقوم المتحاور بتوظيف أساليب المبالغة التي تعكس درجات متعددة من الانفعالات غير الموضوعية التي يسيطر عليها احساس بتضخم الذات والاستخفاف الفعلى بالآخر والانعزال عن رؤية الحقيقة المجردة. ويرجع شيوع استخدام هذا النمط إلى عدة عوامل إجتماعية وسياسية وتعليمية ومنها على وجه الخصوص هذه العوامل التي شهدتها فترة تعبئة الوطن العربي في حقبة الستينات بطموحات كبيرة لم يتم تدريجها ومواكباتها بالإنجاز. . . فالإحساس بقدرتنا وحضارتنا وقيمنا وقيمتنا في العالم أمر مهم، ولاشك أن له أهمية خاصة في شحذ الهمم وهنا أتذكر أننا في أثناء فترة ابتعاثنا بالخارج، وكمجموعة من الدارسين المصريين (في الغربة) كنا نختلس بعض الدقائق سويا عند قرب أوقات امتحانات درجة الدكتوراه لنستمع إلى أغنية عيون مصر" لأنها كانت ولاتزال تمثل إحدى هذه الأغاني الوطنية التي تشحذ النفس بكل الهمة والعزم في مواجهة صعاب الأمور ومكانتها واختلافها كمجرد أغنية ترتبط في أذهننا بنمط مفتقد للغاية في الوطن العربي وهو أننا حين كنا نستمع إلى كلماتها الهادئة والقوية للغاية في نفس الوقت كانت مصر، جيشاً وشعباً ومؤسسات تترجم كلماتها القوية والمعبرة عن أرادة مصر وشموخها إلى واقع فعلى بعبور قواتنا الباسلة إلى الضفة

الشرقية للقناة وتطهيرها لأرض مصر الغالية من دنس المعتدين واستعادة الكرامة لمصر وللعرب. إذا فإن الإحساس بالذات في سياق الإنجاز الحقيقي لمن الأمور الطبيعية لدى البشر عموماً إلاّ أن تضخم الإحساس بالذات، خاصة إذا صاحبه الفشل في تحقيق إنجاز فعلى ليمثل أبشع الصور سلبية في مجتمعنا العربي. لقد فقدت المعاني دلالتها على الصعيد العربي بسبب توظيف هذا النمط في الكثير من تفاعلاتنا، ومن الأمثلة التي استوقفني في الفترة **الماضية هي تشبيه أحد معلقينا الرياضيين لتعادل الفريق المصري مع بعض الفرق العالمية في مسابقة كأس العالم بإيطاليا، بأنه انتصار ولم يتوان هذا المعلق عن الإسراع بسؤال لكابتن الفريق القومي قائلاً لمن تهدي هذا الفوز؟ !!**" وإذا كان هناك الكثير من الأمثلة على صعيد التفاعلات الحوارية الإجتماعية، فإن جذور هذا النمط قد تجسدت بصورة صارخة للغاية في تفاعلات أزمة الخليج السياسية - فالعراق رغم أنه وصل إلى أن يكون إحدى القوى العربية الرئيسية والتي فقدناها بسبب رعونة أداء النظام العراقي وعدم جديته إلا أنه كان يصور للجماهير العربية "بأنه قادر على انزال الهزيمة المؤكدة بالقوات المتحالفة كلها" - وبالحرب لأكثر من ألف عام وأن صدام هو السبب في إستقالة مارجريت تاتشر وشيفر نادزة وإلى ذلك من المقولات.. الأمر الذي كان يرثى له من يعرف حقائق الأوضاع. لقد كان لعمق

تأصل نمط تضخم الاحساس بالذات العربية في العقود السابقة وخاصة في فترة ماقبل حرب ١٩٦٧ أن نجحت القيادة العراقية في استغلال هيمنة هذا النمط وماأثبته ذلك أنها استطاعت أن تستقطب لمقولتها إعداداً كبيرة من الشارع العربي خاصة أثناء فترة الأزمة. . ولعل من الأمثلة الشيقة في هذا الصدد هو مثال " **كويتنام** " . . فلقد ظهر جنرال أمريكي سابق على شاشات التلفزيون الأمريكي يتحدث عن مخاطر الحرب في الخليج ويعيد إلى الأذهان ذكري إليمة لدى الأمريكيين وهي ذكر فيتنام واستخدم تعبير "كويتنام" على سبيل التحذير أن الموقف في الخليج قد يكون بمثابة " ڤيتنام" أخرى وهنا إلتقطت وسائل الأعلام العراقية التعبير وردده صدام حسين إلي الدرجة التي صدق معها صدام بأن هذا الأمر قد يحدث وأن الوجود العراقي في الكويت لابد وأن يستمر وليكن اسم الصمود والتصدى إذاً هو " **كويتنام** " وأن فيتنام أخرى تنتظر أمريكا في الخليج وكان بداية الفعل نحو تحويل الخليج إلى فيتنام هو الاسم فقط!! أي كويتنام. **وبهذا تجاهل صدام العراق القيام بالحسابات الدقيقة والاعتبارات الجادة لكل تعقيدات الموقف مأخوذاً أساساً بموسيقي اللفظ الضخم** مرة أخرى. ليضيف إلى أمثلة الإحساس بتضخم الذات الكثيرة في واقعنا العربي أسوأ وابشع الأمثلة.

* النمط الرابع : حوارات "رد الفعل المتأخر"

DELAYED :REACTION

يرتبط هذا النمط الحواري بآخر يمثله تناقض القول والفعل والقول والقول والأمر ليس أخلاقيا فقط ولكنه يرجع إلى فقدان القدرة علي استيعاب الموقف ووضوح الرؤية والتدرب على سرعة تكوين الرأى الصائب والثابت عند التفاعل أثناء الوقت الفعلي لحدث ما "REAL TIME INTERACTION " فكثيراً مايخالف المتحاورون في العالم العربي ماقد أتفقوا عليه في جلسة مابخصوص موضوع مابسبب أجواء الحسابات "البطيئة" أو " البليدة" بعد الجلسة وعدم القدرة على الرؤية الصائبة والمتسقة في وقت الحدث. وهؤلاء يعانون من ظاهرة رد الفعل المتأخر DELAYED REACTION فكثيراً مايخالف المتحاورون في العالم العربي ماقد أتفقوا عليه في جلسة مابخصوص موضوع مابسبب أجراء الحسابات "البطيئة" أو البليدة" بعد الجلسة وعدم القدرة على الرؤية الصائبة والمتسقة في وقت الحدث. وهؤلاء يعانون من ظاهرة رد الفعل المتأخر DELAYED REACTION وهذا ماجسده أداء بعض أعضاء الأسرة العربية في تفاعلات الأزمة وأوضح مثال على ذلك هو أدانة البعض للغزو العراقي في قمة القاهرة في ٨ أغسطس (١٩٩٠) ثم مفاجأتهم للجميع بتكوين رأى آخر بعد الرأي الأول له معطيات أخرى تتناقض مع محاضر المؤتمر والموقف الذي سجلوه أثناء

تفاعلات محاضر المؤتمر . وإذا ماأسترجع كل منا شريط احداث التفاعلات اليومية التي مر بها لوجد حتما العديد من الأمثلة التي تجسد نمط "رد الفعل المتأخر" في الحوار التفاوضي وهذا النمط السلبي مازال يتسبب في إحداث اعاقة رئيسية لابسط صور الوصول إلى حد أدنى من الاتفاق المبدئي ذي الطابع الاستمراري والذي لانجده بالطبع مفتقداً في تفاعلات العالم المتقدم .

ولعل أحداث مؤتمر السلام بمدريد وماتلا ذلك من خطوات قد ألقى بالضوء على هذا النمط والذي تجسد حين قال أحد أعضاء الوفود العربية أننا نفعل الآن ماكان يطلبه السادات منا ولكن بعد أكثر من عقد من الزمان . لقد امتلئت الصحف العربية بعناوين من المقالات العديدة التي تلقي بالضوء على نمط "رد الفعل المتأخر" دون الإشارة إلى هذا النمط بعينه بل من خلال الإشارة إلى تبعات تأصله في التفاعلات العربية وهذا ما ينعكس جلياً في عناوين مقالات كثيرة مثل "قبل ضياع الفرصة" انظر على سبيل المثال لا الحصر أحمد نافع الأهرام ٢٦/٨/ ١٩٩٠ "قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة" إحسان بكر الأهرام ١٤/٨/ ١٩٩٠ . . . وكأن هذه النوعية من المقالات تمثل إرسال نداءات للأطراف العربية بالتخلي عن القيام برد فعل بعد فوات أوانه .

* " النمط الخامس " : حوارت "المؤامرة الكبرى"

"الأصابع الخفية" ، والأيدي الخفية" هذه بعض من تلك التعبيرات التي كثيراً مانسمعها في تعاملاتنا الإجتماعية والسياسية وكذلك تلك المنطوقات التي تبدأ " هناك من يهمه. . . إلخ" "وهناك من يتأمر" . . . أو بأفعال المبنى للمجهول المختلفة ولاتعرف من المتحدث ومن هم "هؤلاء" في كثير من الأحيان. . وفي إحدى الندوات وكانت عن طه حسين ومستقبل الثقافة العربية في كلية الأداب بجامعة القاهرة ووقع في يدي بحث عن الثقافة العربية لباحث أردني من جامعة اليرموك كان ضيفاً على جامعة القاهرة ولعلي أبدأ تحليل نمط المؤامرة بالاستشهاد بتعبيرات وقعت عيني عليها في الصفحة الأولى من بحثة الذي ألقاه عام ١٩٨٩ وهي :-

«إن أخطر ما في الأمر أن الوطن العربي قد أُقحِم إقحاماً وزُج به زجاً بلاشفقة عليه أو رحمة به ، وبلا متسع لديه من الوقت كي يلتقط انفاسه ، وقد أُدخِل في دنيا جديدة لايعرف لها أول من آخر . . . ما الذي يُراد به؟ وما الذي أصابه أو حدث له في هذا المضطرب الجديد . . .

هل هذا الهامش الضيق الذي مُنح للوطن العربي يتسع لكي يتحرك فيه بإرادة وحرية . . .

أبوالعدوس ١٩٨٩ : ١»

إن هذه المقولة أعلاه تتسم بكثافة أفعال المبنى للمجهول والأدوات اللغوية التي تتجنب صيغ الفاعل وتؤكد على المفعول به وتعكس أدوات نمط المؤامرة بجلاء شديد وتعكس تصوراً أساسياً يتكرر سماعه من أغلبية من ممثلي النخبة العربية الذين تسيطر على مقولاتهم ملامح نظرية وسيناريو المؤامرة. . . بصورة شعورية أولاً شعورية. لقد تأصل هذا النمط في الفكر العربي على مدى سنوات التدهور والتخلف وإذا كان العديد من أعضاء النخبة قد تشبعوا بهذا السيناريو التأمري الذي تسلط على تفكيرهم فما بالنا بحجم الإشكالية على مستوى العامة؟ . . لقد كانت ساحة العقل العربي مهيئة للغاية لتفسير ماحدث في أزمة الخليج على أنه في المقام الأول مؤمراة جبارة قد رُسمت كل تفاصيلها بعناية بالغة من قبل الأعداء. وبأنها مؤامرة صليبية أو صهيونية أو الإثنين معاً. . . وإنها استمرار أكيد لسيناريو التأمر على العرب والمسلمين منذ قرون طويلة. **أن الكارثة تكمن في هذا التبسيط الشديد للأمور والذي أدى إلى فقدان كل عوامل الصيغة الفاعلة التي تتعامل مع تعقيدات الأمور بنوع من الاقتدار بدلاً من هذا السقوط في براثن فكرة التأمر السلبية. وهذا لايعني أنه ليس هناك مؤامرة** ولكن هناك دائماً "أجندات" مختلفة بكل تأكيد للمتصارعين والمتنافسين معنا وهم بطبيعة الحال يريدون فرض "أجنداتهم" كلما سنحت لهم الظروف بذلك. . . ولكن الإيمان بأن

ذلك "الآخر" المتآمر علينا على هذا القدر من الجبروت كي "يخلق" كل الظروف لتحقيق أهدافه فهذا أمر مُبالغ فيه وينقصه الفهم الحقيقي للأمور والطبيعة العلمية للتفاعلات الدولية من ناحية وكذلك ينقصه القراءة المتأنية للجوانب المشرقة والإيجابية لتاريخ العرب والمسلمين الأوائل الذين واجهوا "أجندات الآخرين؛ بصيغة فاعله كانت تقطع الطريق دائماً على ذلك التآمر بدلاً من الشكوى الاستسلامية بشأنه، كذلك أن المتصارعين أو المتنافسين معناهم بالدرجة الأولى سياسيون والسياسية هي فن الممكن واستغلال إنماط تفاعل الآخر وليست عملية ؛خلق من جديد" لظروف أو لديناميكيات معينة ولكنها دائماً وأبداً استغلال لما هو مسموح به وقابل للتحقيق. ولقد كان هذا الاختراق أو حجمه وتحجمية أو تعميقه دائماً مرتبطاً بما تصنعه مكونات هذا النظام في الشرق الأوسط وذلك بالقائمين على إدارة الصراع وقدراتهم المتباينة وتوجهاتهم. ولمزيز من التفاصيل في هذا الصدد اراجع كتاب كارل براون **بعنوان السياسة الدولية والشرق الأوسط** (١٩٨٤).

وإذا عدنا بعد هذا السرد النظري لتفاعلات أزمة الخليج لوجدنا أن نمط المؤامرة يحدث عادة مع مجموعة أخرى من الأنماط وأكثرها هو نمط التأطير من أجل التشوية. والمراقب للأحداث يجدكماً كبيراً للغاية من أطراف الخطابات المتصارعة في العالم العربي- سواء كانت سلطوية أي معبرة عن الأنظمة أو كانت معارضة داخلية تتهم بعضها البعض بالعمالة أساساً.

وقد يكون الأمر ليس من قبل تشوية الآخر العربي أو الإسلامي ولكن تكون المباراة الصفرية في العديد من الحالات هي المحركة لمنهج التفاعل. وكذلك يلعب حدود الإدراك لبعض الأطراف الدور الرئيسي في الترجمة التآمرية للأحداث. ولقد تنوعت أطروحات التآمر في تفاعلات أزمة الخليج فلقد رأى الكثيرون أن الأمر كله مجرد فخ أمريكي قد نُصب لكل من العراق والكويت وإن أمريكا قد حرضت كل أطراف النزاع الرئيسية؛ أولاً على الغزو ثم على رد الفعل تجاه هذا الغزو بحيث لايوجد أي مساحة لدى أصحاب العقلية التآمرية ليتصوروا حدوث الأمر بطريقة أخرى أو لأسباب رئيسية أخرى مثل جهل وحماقة وإستبداد بعض الأطراف.. في المقام الأول!! أو تفويت الفرصة على التآمر بذكاء واقتدار....

* النمط السادس: حوارات "المواربة" أو اللا مباشرة INDERECTNESS

ونمط المواربة أو اللا مباشرة من الأنماط التي تستخدم من قبل المتحاورين لطرح موضوع مابصورة غير مباشرة بحيث يقع دائماً على المتلقى للكلام عبء فهم ما المقصود به. فعلى سبيل المثال حين يقول متحدث مالصديقه في حوار "الساعة الثانية عشر الآن!" ويتصور المتحدث أن على المتلقى أن يفهم أن المعنى هو "ليس اشاره لمجرد تأخر الوقت وإنما المقولة تعنى شيئاً مثل "دعنا نعود إلى منازلنا" أو

" ليس من المناسب الذهاب لصديق ثالث الآن " (أو حان الآن موعد الدواء!) أو كثير من المعاني الأخرى التي تحددها خلفية سياق الحديث وطبيعة علاقة المتحاورين . . . ويلاحظ المراقب أن إستخدام هذا النمط يتردد كثيراً في لحظات التفاعلات الحوارية التي قد تتطلبها بعض المواقف في السياقين الإجتماعي والسياسي ، إلاّ أن سوء توظيف هذا الأسلوب وكثرة إستخدامه حين لايكون مناسباً يعد من أكثر سلبيات تفاعلاتنا الحوارية في الوطن العربي ففي الوقت الذي ينبغي فيه المصارحة والوضوح وينبغي أن يكون مايقترح واضحاً دون مواربة نجد أن الكثيرين يوظفون نمط " اللامباشرة " هذا بطريقة تسيء إلى صحة العلاقة بين المتحاورين وعلى حساب تحديد الأمور مما قد ينتج عن ذلك مشكلات في عملية التواصل الحوارية قد تؤدي إلى سوء فهم . وهناك العديد من الدراسات في مجال اللغويات الإجتماعية وعملية الاتصال عبر الثقافات قد تعرضت لهذا النمط ولمزيد من التفصيل " راجع TANNEN ١٩٨٦ وحسن وجيه ١٩٨٩ .

حوار جلاسبي الشهير ؟!

في سياق الأزمة بالخليج نورد في هذا الجزء من الدراسة ذلك الحوار الشهير بين الرئيس العراقي والسفيرة الأمريكية أبريل جلاسبي . وأهمية هذا الحوار هو أنه قد تمت ترجمته وتفسيره من قبل العراق على أنه بمثابة الضوء الأخضر من الولايات المتحدة للعراق

لغزو الكويت، وإذا كنا نريد تسليط الضوء على ميكانزم "المواربة" كما يتضح من حوار جلاسبي وصدام فإننا سوف نقدم تحليلاً موجزاً لهذا الحوار بناءً على النص الذي تدوالته أجهزة الإعلام الدولية من خلال ثلاثة ميكانزمات وهي :

(١) اللامباشرة (٢) المؤامرة (٣) طبيعة التفاوض والتساوم .

لقد كان الجزء الهام من حوار جلاسبي وصدام الذي حدث يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٠ والذي اعتبر على أنه بمثابة إعطاء الضوء الأخضر لغزو الكويب كمايلي :

جلاسبي لصدام : *"الرئيس جورج بوش، شخصياً، يريد أن يطور ويعمق العلاقات مع العراق .... وإننا لسنا لدينا مانقوله بخصوص الاختلافات العربية العربية مثل موضوع حدودك مع الكويت . وكل مانأمل فيه أن تحل هذه الأمور سريعاً" .*

[التايم ١/ ١٠/ ١٩٩٠]

إن هذا الجزء من الحوار قد يفيد أن أبريل جلاسبي قد تيقنت من أن نمط اللامباشرة "أو المواربة" هو نمط المقترحات المفضل في كثيرمن التفاعلات الإجتماعية العربية وبالتالي إذا كان في نيتها الإيحاء بإعطاء الضوء الأخضر لصدام فإنها قد تمكنت من توظيف نمط المواربة واللامباشرة الحوارية الأمر الذي كان بمثابة الطعم الذي ابتلعة صدام دون احتراز من جانبه ويكون بذلك قد صدق أن أمريكا ليس لها

رأي، فيما يتعلق بالاختلاف العربية العربية مثل موضوع الحدود بين العراق والكويت . . . كذلك يكون صدام قد افتقد الفهم الصحيح والإدراك لطبيعة الفرق بين "التفاوض" "والتساوم" NEGOTIATION & BARGAINING فعادة مايتسم التفاوض بالرسمية والاعلان عن أجندة للتفاوض و يتعرض لكل تفاصيل الأمور التي يجب وأن تنتهج من قبل طرفي التفاوض حتى وإن كان سريا في حين أن المساومة (BARGAINING) تتمثل في التحركات والمقولات التي تكون عادة غير مباشرة وغير رسمية وتكون غير معلنة في بعض الأحيان ومن (أمثلة ذلك الخط الأحمر في لبنان بين إسرائيل وسوريا فالطرفان يفهمان وجوب عدم تجاوزه ويحدث ذلك في الواقع دون وجود اتفاق تفاوضي صريح بذلك. إن المشكلة تكمن في أن صدام يصور حوار جلاسبي على أنه عمل صريح ومباشر من جانب أمريكا لإعطائة الضوء الأخضر لغزو الكويت (أي أنه بمثابة تفاوض سري مثلاً) وهذا يوضح افتقاد صدام لفهم طبيعه التفاعل التفاوضي والتساومي. والفرق بينهما. . الأمر الذي قد تجسد بشكل واضح في العديد من مواقف صدام التفاوضية الأخرى قبل وأثناء وبعد الأزمة. أما جلاسبي وكذلك أي محلل محايد في الشؤن الدبلوماسية يعي جيداً أن التساوم في الأساس يعني قابلية إنكار الرسائل أو (DINIABILITY OF MESSAGES) من قبل طرفي التساوم ولايعني مايعينه التفاوض من الوضوح وعدم قابلية الإنكار - لأن الأمور

تكون مدونة- في الأساس فكلام جلاسبي لايعني بالضرورة إيحاء بالتحريض على الغزو إذا تم تفسيره بمعزل عن الغزو. . . بل من الممكن جداً أن يفهم على أنه تأدب ودبلوماسية من قبل سفيرة أجنبية عند محادثة لها مع زعيم عربي. فقولها " إننا لسنا لدينا مانقوله بخصوص الاختلافات العربية العربية، مثل موضوع حدودك مع الكويت. وكل مانأمل فيه أن تحل هذه الأمور سريعاً لايجوز تفسيره بإطلاقية كما حدث من جانب العراق على أنه بمثابة "الضوء الأخضر" الذي شجع صدام على القيام بالغزو. ولكن الذي قد راج بعد نشر حديث جلاسبي في العالم العربي أن الأمر مؤامرة فقط. فمن المحتمل أن يكون الأمريكيين قد أغروا العراقيين وأوقعوا بينهم وبين الكويتين، ليتذرعوا بما جرى ولكن لماذا تصر العقلية التآمرية على أن التحريض هو العامل الرئيسي في كل ماحدث وتحجب دعاوي صدام بشأن الحقوق التاريخية للعراق وهي لم تكن بجديدة. وتحجب أمر أن الغزو قد جاء من دوافع أخرى مثل المصلحة الاقتصادية ففي ذلك الوقت كان العراق يمر بمحنة اقتصادية كبيرة عقب حربه الخاطئة مع إيران وإن احتلاله للكويت كان يمثل حلاً لازمته حسب تصور آخر؟ . . ولماذا حجبت العقلية التآمرية أهميته أن يصرف النظام السلطوي والاستبدادي في بغداد جيشه إلى أمور أخرى بحيث لايكون هناك فرصة مواتية لأحداث انقلاب ضد السلطة؟! ولماذا يحجب أصحاب العقلية التآمرية عرض صدام على

جلاسبي أثناء حواره معها أن يحل محل المملكة العربية السعودية في علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة قائلاً لها : " أن العراق أفضل لكم من التحالف مع السعودية " . لقد كان عهد العقلية التآمرية في العالم العربي على الصعيدين الإجتماعي والسياسي أن تتجاهل مجموعة العوامل الكثيرة والاحتمالات المختلفة التي تتواكب مع حدث ما وتقصر تفكيرها على فكرة المؤامرة والاستهداف فقط ولاغير .

*** النمط السابع : حوارات "دفن المقولة الرئيسية" .**

من سمات تفاعلاتنا السلبية على الصعيدين الإجتماعي والسياسي في العالم العربي ذلك الاسهاب والأطناب والتكرار دون داع لذلك . . الأمر الذي يصعب معه تحديد المقولة الرئيسية التي يريد المتحاور/ الكاتب أو المتحدث أن ينقلها للمتحاور الآخر . وهذا النمط هو ماأريد أن اسميه " دفن المقولة الرئيسية " (. . . أي دفنها في خضم اسهاب لغوي بدلاً من البدء بها بوضوح ثم تدعيمها) : وأحياناً تكون عملية " دفن المقولة الرئيسية " عن عمد حين يريد المتحاور أن يكون غير مباشر في حواره من خلال التمويه على المقولة الرئيسية . ولكن في معظم الأحيان تتم عملية " دفن المقولة الرئيسية " ومايصاحبها بطريقة لاشعورية في حوارات الكثيرين من المتحاورين . ولعل ما أدى إلى رسوخ هذا النمط في تفاعلاتنا هو ممارسات عديدة

على المستوي الثقافي تتمثل في أهمية وضرورة أن تكون خطبة الرؤساء طويلة وكذلك خطب الجمعة ورسائل الدكتوراه وحتى العديد من الأناشيد الإغاني خاصة في فترة الستينات والسبعينات . . . إلاّ أن طبيعة العصر بدأت تفرض نفسها فبدأ هذا الأمر في التغيير وهذا ما قد نلاحظه مثلاً من خلال تعبير يتداوله رجل الشارع عند تحاوره مع الآخرين حين يقول " هات من الآخر " . إلاّ أن أرث التطويل والإسهاب المنافي لطبيعة العصر يبدو وإنه لاتزال له الغلبة على تفاعلات الكثيرين إلى الآن . والأمثلة كثيرة ولكن من أكثر الأمثلة الواضحة التي جسدت هذا النمط بصورة فريدة هو ذلك الخطاب الذي أرسله الرئيس صدام حسين للرئيس حسني مبارك للتغاضي عن الوقوف في وجه الغزو للكويت والوقوف بجانب العراق في هذه الأزمة يجسد العديد من الأنماط السلبية الأخرى . وأهمها " خلط الأوراق " وتجاهل معطيات التفاعلات الدولية والإقليمية بشكل يدعو للدهشة . ولكن ماأركز عليه هنا هو نمط الإسهاب والإتيان بالمقولة الرئيسية بعد مقدمات متعددة . فالقاريء لهذا الخطاب يستغرق الوقت ويبذل الجهد للتعرف على المقولة الرئيسية (أو CLAIM) التي ينبغي وأن تكون قريبة وواضحة من مقدمة الطرح المكتوب أو المسموع ومن الملاحظ أيضاً في هذا الصدد أن الرئيس صدام قد بعث برسالة على شريط فيديو للرئيس الأمريكي مدتها ساعتان رداً على رسالة الرئيس الأمريكي التي استمرت خمس

دقائق، وتناقلت وكالات الأنباء خبرا مفاده أن بوش قد جند أحسن مستشاريه المتخصصين في الشؤن العربية لكي يتعرفوا وبإختصار على "المقولة الرئيسية" ويستخلصونها من خضم المقولات المتفرقة التي تضمنها شريط الفيديو الذي بعث به الرئيس صدام ودفن في مكان ما به مقولته الرئيسية!

* النمط الثامن : حوارات الصمت والغموض

ترتبط ميكانزمات "الصمت والغموض" بمكاينزم اللامباشرة الذي ذكرناه آنفاً . واستخدام هذه الميكانزمات قد يكون له مايبرره كادوات حوارية في سياقات معينة، إلاّ أن مانسلط الضوء عليه هنا أيضاً هو أساءة توظيفها في لحظات حرجة في علاقة ماحين يستلزم الأمر الكافي والأدلاء برأي حاسم ومحدد وتجنب الصمت واللامباشرة أو الغموض.

ولقد تناول بعض خبراء علم اللغويات الإجتماعي والاتصال عبر الثقافات هذه الميكانزمات بالتحليل وقدمت كل من SAVILLE - TAROIKE, TANNEN (١٩٨٥) كتاب مفصل عن ميكانزمات الصمت عبر الثقافات المختلفة ووظائفه في عملية التحاور. فإدراك الأفراد والثقافات لهذه الميكانزمات لايزال بحاجة إلى دراسات متعمقة. ومن الأمثلة الشيقة التي وردت بكتاب، SAVILLE - TROIKE, TANNEN كان عن حادثة إطلاق الطائرات

القبرصية النار على طيار مصر حينما كان مضطراً للهبوط بقبرص وطلب الهبوط ولكن لم يصرح له بذلك وساد الصمت. . . وهنا تصور الطيار المصري أن الصمت يعني "الرضا" والموافقة فهم بالنزول فإذا بالطائرات القبرصية تعترضه وتطلق رشاشاتها وتيقن الطيار عند الهبوط أن الصمت القبرصي في هذا السياق لم يكن علامة "الرضا" (انظر تنين وسافيك ١٩٨٥ : ١٩٩).

أما الدراسات المتعلقة بمفهوم الغموض في الحوار وفي الحوار السياسي على وجه التحديد فهي نادرة هي الآخرى وإحدى الدراسات الهامة في هذا الصدد هي دراسة قام بها المعهد الدبلوماسي بجامعة جورجتاون (١٩٨٥) وكانت الصراع وغالبية الدول الأخرى على القرار لحين التفاوض فيما بعد بشأن التفسيرات المختلفة للقرار : ولم تكن بعض الوفود المتصارعة على علم بهذا التعمد.

وحين ننظر الآن لتفاعلات أزمة الخليج لنرى تأثير ميكانزمات كل من الصمت والغموض على سير هذه التفاعلات نجد أنها قد تم توظيفها من قبل بعض من الأطراف العربية بما يجعل من استخدامها انتهاكاً "لمبدأ التعاون الإيجابي" في الحوار وهو أحد المعايير الأساسية اللازم توافرها في الحوار السليم طبقاً لماذكره عالم اللغويات والفليسوف جرايس وهو ما أسماه بـ (COOPERATIVE PRINCIPLE) . . فعلى سبيل المثال نجد انتهاكاً لهذا المبدأ حين وظف الطرف الاردني

ميكانزمات " الصمت والغموض " في بداية الأزمة وكان يعني بهذا تأييد ضمني للموقف العراقي وبالتالي تأييد ضمني لعدم قبول الشرعية الدولية . . الأمر الذي أفقد الأردن الكثير من معقوليته أثناء تفاعلات الأزمة وبعدها . ولقد انتقد هذا الموقف في كثير من المقالات التي أكدت على أن " الصمت " أو " الغموض " في سياقات تفاعلية مثل تفاعلات أزمة الخليج يعني " الرضا " والموافقة فهذه هي الترجمة السائدة لمفهوم الصمت على محيط التفاعلات في المجتمع العربي .

وربما لأن توظيف الصمت والغموض في الحوار قد يعني نوعاً من الحياد أحياناً وأحياناً أخرى قد يعني الابتعاد وفي أحيان أخرى قد يعني الاستعلاء ، إلاّ أن هذه الترجمة ليست الصحيحة في سياق تفاعلات الأردن في بداية الأزمة لأن مايحسم الأمر هو النظر إلى توظيف الصمت والغموض في إطار أثر أفعال القول (SPEECH ACTS) ككل . وربما ما يوضح مثل ذلك التفسير للغموض والصمت الأردني مقالات مثل مقال إبراهيم نافع بعنوان " محاولة لفهم الغموض الأردني " ٣٠/٨/ ١٩٩٠ بجريدة الأهرام حيث أشار الكاتب إلى أن الغموض والصمت من الجانب الأردني كان بمثابة تأييد واضح للعراق ويندرج تحت هذه الفئة العديد من المقالات الأخرى مثل مقال جمال بدوي في جريدة الوفد بعنوان " لغز الملك حسين " بتاريخ ٢٨/٨ وكذلك مقال لزكريا نيل ١١/٨/ ١٩٩٠ (الأهرام بعنوان " نحن والرموز الغامضة في لعبة الانكسار العربي " حيث يقول : وإذا كان

ثمن الصمت من قبل بعض الأطراف العربية التي أيدت صدام باهظاً عليها وعلى العراق وعلى الأمة العربية . . . إلاّ أن الميكانزم الذي تبنته ووظفته إسرائيل في تفاعلاتها أثناء الأزمة كان له ثمن كبير لصالحها وهذا المعنى الأخير نستشفه في مقال لإحسان بكر بالأهرام ١٨/ ٢/ ١٩٩١ بعنوان "ثمن الصمت" الأمر الذي يؤكد على أن توظيف الميكانزمات الحوارية من قبل طرف ما في الوقت الملائم هو المحدد النهائي لناتج التفاعل الحواري السلبي أو الإيجابي. وهناك عدة مقالات تلقى بالضوء على بعض الميكانزمات الرئيسية للصمت في تفاعلات أزمة الخليج . الأولى لعباس الطرابيلي بعنوان "الصمت . . الملعون!" (الوفد ٢٥/ ٨/ ١٩٩٠) والأخرى لسعيد سنبل بعنوان "الأزمة والصمت" . وفيما يلي جزء من مقالة عباس الطرابيلي التي تلقى الضوء على مدى الضرر الذي نتج عن توظيف نمط الصمت في تفاعلات الأزمة وتربط بين أحداث الخليج وضياع الأندلس بسبب "الصمت" :

" . . . والذي يتابع صورة الوطن العربي الآن يجدها غاية في القتامة . . فليست هناك جامعة . . وليست هناك عربية . ويكفي لمن يريد أن يحلل أن يسترجع ماحدث في مؤتمر القمة الطاريء الذي عقد بالقاهرة استجابة – ولو شكلية– لنداء الرئيس مبارك . .إذ لأول مرة ظهر جلياً عمق التفكك العربي واختلاف الأهداف ، وتنوع الاهتمامات حتى وصل بنا الأمر أن رحبنا بالقوات الأجنبية ورأينا فيها البطل المنقذ لنا ولشعوبنا من اعتداءات

وتهورات بعضنا .

ثم ماذا حدث بعد القمة العربية . . للأمة العربية والدول العربية العشرين ، بعد أندماج اليمنيين ! لاحس ولاخبر . . بل لاصوت سوى الصمت الرهيب- وكأن كل رئيس أو بلد يرى أنه آمن داخل حدوده أو كأن القضية لاتهمه ، بل تهم شعوب الزولو والماوماو . لقد نزل الصمت على كل الرؤساء والأمراء وكأن الأمر لايعنيهم . . وكأن كل جهادهم العربي هو الجلوس على مائدة القمة العربية حتى ولو جلسوا صامتين . . لأنهم للأسف لايعرفون ما الذي يمكن أن يقولوه . . وإذا قال أحدهم فلايعرف هل يرضي هذا أم يغضب ذاك ! !

وإذا أخرجنا من حسابنا - للأسف الشديد - بعض الدول صغيرة الحجم والتأثير ، ولأنها ليست سوى مجرد صوت عند التصويت ، تماماً كما حدث في قمة الشتامين في بغداد في نوفمبر ١٩٧٩ . . عندما كان الهدف الظاهري هو سب مصر ورئيس مصر وشعب مصر . . بينما كان الهدف "الاسمى" لهم هو ازاحة مصر وهدم دور مصر ، والغاء وجود مصر . . حتى يخلو لهم الجو- وهم الاقزام- ليصنعوا من أنفسهم أبطالاً . . ويحاولوا سد فراغ غياب مصر . . بلامطامع . . وتحارب وليس في نيتها طلب الثمن . . كما فعلوا الآن إذا أخرجنا الدول الصغيرة الموجودة الآن تحت "مظلة" الجامعة العربية . . فما هي صورة الكبار الذي يمكن أن يفعلوا شيئاً . . ولكنهم للأسف من الصامتين ! ! . . .

إن عدم التوظيف السليم لميكانزمات الصمت يجعل الصمت ملازماً للغموض وعدم الوضوح وربما في هذا الجزء من مقال سعيد سنبل بعنوان

"الأزمة والصمت" مايلقي بالضوء على الميكانزم موضع التحليل هنا على صعيد تفاعلاتنا الداخلية والتي هي جزء من سلبيات الحوار التفاوضي على مستوى الوطن العربي ودول العالم الثالث بصفة عامة. وفيما يلي نص جزء من هذا المقال والذي كان من الأفضل وأن يكون عنوانه "الأزمة والغموض" ليتناسب العنوان مع مضمون المقال أكثر:

..اهتمامنا بأزمة الخليج، وتطوراتها، يجب إلأ يصرفنا، عن الاهتمام بأزمة العائدين ومشاكلهم، وبأزمة مصر ومشاكلها...

لقد استوقفتني عبارة نشرتها الصحف الصادرة أمس على لسان الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء، تقول العبارة: وناشد الدكتور صدقي المواطنين تفهم أبعاد الموقف الذي نتج عن احداث الخليج، وإن يساهموا قدر الإمكان، بالجهود الذاتية- خاصة أن موازنة الدولة فرضت عليها اعباء مالية كبيرة نتيجة النقص في موارد السياحة ودخل قناة السويس، وتحويلات المصريين العاملين بالخارج، وارتفاع اسعار عدد كبير من السلع الأساسية عالميا.

هذا، مانشرته صحف الأمس، واعترف أنني لم أفهم مايقصده رئيس الوزراء. هل يدعو رئيس الوزراء المواطنين إلي التبرع.. ولمن؟

هل يدعوهم إلى إقامة مشروعات بالجهود الذاتية.. وما هي المشروعات.. وأين؟! وبكل أمانة أقول: أن الموقف الذي نعيشه لايحتمل الغموض أو الصمت، أو حل المشاكل من وراء الأبواب المغلقة!

الموقف يتطلب أن يخرج رئيس الوزراء وأن يتكلم بصراحة ووضوح، ويشرح أبعاد الموقف، ويقول ماهو المطلوب، لا أن يناشد المواطنين من خلال

كلمات غامضة غير مفهومه.

إن كل مانطلبه من رئيس الوزراء هو أن يتكلم ويقول الحقائق للناس، ويضع أمامهم صورة واضح عن مشاكل مصر وهمومها نتيجة المتغيرات الأخيرة...

يقول لهم ما الذي تنوى الحكومة أن تفعله لزاء هذه المشاكل.. وما الذي يجب أن تقوم به الجماهير وتفعله..

[الأخبار ٤ / ٩ / ١٩٩٠]

لاشك أن مسألة غموض الرسائل في عملية الاتصال قد ترجع إلى تعمد من متحاور ما في سياق ما ولكن من تحليل الكثير من أمثلة التفاعل الإجتماعي وجد كاتب السطور أن هذا الأمر يحدث بصورة غير متعمدة في أغلب التفاعلات التي كانت موضع الدراسة وما أكثر مانواجهه في كتابات الطلاب من عدم تحديد للموضوعات مما يجعل كثير مما يكتبونه غامضاً ويحتاج لعلامة استفهام بجانبه. ففي كثير من الحالات نضطر لسؤال الطلاب أسئلة متعددة للوصول إلى مايريدون قوله، فجملة " ممكن لو سمحت توضح كلامك شوية؟! " هي جملة كثيرة التردد في تفاعلاتنا. . المشكلة أن كثيراً من الأمور يُترك عبء تفسيرها على متلقى الكلام. ومن الأمثلة الطريفة ذلك الحوار الذي دار بيني وبين أستاذ في كلية الطب كان عنوان مقالة له بالعربية "

دراسة طبية عشوائية " .

- فقلت له كيف تكون دراسة وكيف تكون عشوائية؟! ولماذا لانقول " دراسة طبية باستخدام طريقة العينة العشوائية " فيكون الكلام واضح ولاغموض فيه !! . . فليس من الشرط في عملية الترجمة أن تتم ترجمة عدد الكلمات من لغة في حدود نفس عدد الكلمات في الجملة الأخرى . . الأهم هو دائماً الوضوح وعدم الغموض ! .

* النمط التاسع : حوارات الإحباط واليأس والحيرة

إذا كان هناك شعوراً كبيراً بالاحباط على المستويات الاجتماعية والسياسية على مستوى الوطن العربي بفعل تداعيات أزمة الخليج التي ماكانت إلاّ تعميقاً لاحباطات أخري سابقة وموجودة فإن النخبة قد اسهمت بالدرجة الأولى في تعميق خطاب الأحباط واليأس لدى قطاعات عريضة في الأمة العربية . فلقد اتسم أداء النخبة العربية بالاستغراق في وصف الأوضاع المُحبطة حتى في عملية اختيارهم لمنهج تحليل الأوضاع نجد أن الأغلبية منه قد لجأ إلى انتهاج المنهج " التفكيكي " والتركيز عليه لحد ذاته . . الأمر الذي وصل بالبعض إلي تفكيك كل ماض الأمة إلى كتل من المطارحات المشكوك في كل ماتتضمنه وفي أمور يصعب فيها الحسم الأمر الذي تعرضنا له بقدر من التحليل في الفصل الثاني الخاص بمنهجية تحليل النص وهو الأمر

الذي ساهم كثيراً في وجود فراغ معرفي وروح من الشك في كثير من الأمور على الساحة العربية. ولعل أبسط توضيح لهذا الأمر هو عرض نماذج من بنك البيانات الخاص بتفاعلات أزمة الخليج أو الأزمة الثقافية المزمنة. ولنبدأ بعينات تجسد مفرادتها تلك الأزمة المزمنة التي سبقت تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٠ ولعل أكثر هذه العينات تمثيلاً للاحباط . . . أو بمعنى أُخر أكثر تعبيراً عن انزلاق أعضاء بارزين من النخبة إلى وصف الأوضاع المحبطة بأوصاف أن دلت على شيء فهي تدل على تعميم وانفعالية في الوصف تزيد من تعميق الأحباط واليأس بدلاً من معالجة الأمر بصورة أكثر إيجابية. وهذه العينة تتمثل في المقولة التالية للدكتور هشام شرابي حين يقول في كتابه بعنوان **"مقدمات لدراسة المجتمع العربي"** :

"إن النزعة العدوانية (AGGRESSIVE IMPULSE) التي يقول فرويد أنها تبدأ في البروز في الفترة الثانية من تطور الطفل البيلوجي (ANAL PERIOD) أي ابتداء من السنة الثانية من عمره عندما ينتقل إهتمامه إلى عملية البراز فينظر إلى برازه مثلاً كشيء ثمين وهام، هذه هي النزعة السائدة التي تطبع الشخصية القضيبية (PHALLIC PERSONALITY) التي يصنعها مجتمعنا، اعتماداً على التربية العائلية وطريقة معاملة الأطفال. ونرى هذه الشخصية القضيبية مجسدة في أشكال ونسب مختلفة من العدوانية والشراسة. وهي على اختلاف إشكالها تتميز باعتزازها بذاتها وبشعورها أنها شيء خطير وأنها هدية الآلهة إلى هذا العالم. ويجد صاحبها لذته في

الحياة في إبراز الأنا، فهو شديد الحص على التأكد من احترام الناس له، وفي التشديد على منزلته والدفاع عن سمعته. وهو يجد احترامه لنفسه في فرض نفسه على الآخرين، في تحقيرهم، خصوصاً إذا كانوا من أقرانه وإخوانه. أنه في كثير من تصرفاته لايزال طفلاً، يتأمل برازه كل صباح بإهتمام وعطف كبيرين".

(شرابي ١٩٨١: ٢٤)

أما على صعيد عينات التفاعلات التي صاحبت أزمة الخليج على المستوى النخبوى والتي تعكس بعمق روح الأحباط واليأس نجد مقالاً طويلاً للدكتور حسن حنفي بعنوان " خطاب للأجيال القادمة " بصفحة الحوار القومي بجريدة الأهرام بتاريخ ٧/ ١١/ ١٩٩٠ ينتمي إلى خطاب الحيرة واليأس والأحباط الذي لايزال يهيمن على كثير من تفاعلات النخبة إلاّ أن هذا الخطاب لم يتضمن ما هو شائع من القاء اللوم عادة على الآخرين أو على التنصل من المسؤلية ولكن هذا المقال قد تضمن الاعتراف بالاخفاق في لحظة ماخاصة إذا كانت لحظة حاسمة في تاريخ الأمم دون مكابرة واستعلاء كما يحدث في كثير من تفاعلاتنا مع الأسف ولقد تجسد هذا في مقولة د. حنفي في آخر مقالة حين ذكر: . . هل أكمل جيلنا دورة تاريخية، هل عدنا بعد محمد على وعبد الناصر؟ هل نحن في مخاض جديد يتعهده جيل قادم بعد

أن تهرأ كل شيء؟ "**هذا اعتراف للأجيال القادمة وإعتذار لها**" . . .
ولقد كان هذا المقال موضع تأمل العديد من أعضاء من النخبة ومن أمثلة هذه التأملات ماذكره الأستاذ فهمي هويدي الذي تعرض (الأهرام ٨/ ١/ ١٩٩١) لما ورد بهذا المقال ولمقولات نخبوية أخرى في معرض حديثه عن «خطاب الخروج من المأزق» ووصفه قائلاً أنه كان بمثابة "إعتذار عن الماضي، ويأس من الحاضر، واستقالة من المستقبل" . لقد كان لنمط "الإحباط واليأس" جذور وأسباب عديدة بطبيعة الحال ولقد عمقت تفاعلات الغالبية من أعضاء النخبة من تمكن هذا النمط لدى الكثيرين ولقد لاحظ د. عبدالمنعم سعيد منذ فترة سبقت تفاعلات أزمة الخليج تأصل ذلك النمط في تفاعلاتنا فكانت له مقالة هامة في الأهرام بعنوان: "لماذا لانفوز بكأس العالم" (١٩/ ١/ ١٩٩٠). وبالرغم من أن العنوان قد يبدو وكأنه حديث في الرياضة وهذا بالطبع مالايخوض فيه د. سعيد إلاّ إن المقال سياسي وإجتماعي في المقام الأول. ومن الممكن إعتبار هذا المقال كنوع من رد الفعل الإيجابي للتصدى لنمط الياس والإحباط وفقدان الثقة بالنفس لدى الكثيرين- من أعضاء النخبة الأمر الذي انعكس بالتالي على غالبيه من الشباب - لقد كانت مقال د. سعيد بمثابة تحفيز للهمم لما يمكن وأن تحققه مصر كدولة عريقة لها ثقلها الحضاري والثقافي ومايمكن أن يحققه الوطن العربي ككل. ولقد تصدى كاتب هذه السطور لشيوع

هذا النمط في مقال له بعنوان "رؤية إجتماعية وسياسية" للأوضاع الراهنة بمصر (بمجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا (ديسمبر ١٩٨٦) .

*** النمط العاشر : "حوارات جدلية الوسائل" (التسحلف) :**

وهذا النمط يتجسد في فقدان الاتساق بين تحقيق الهدف وأسلوب وإجراءات تحقيقه بأسلوب علمي وعملي وموضوعية تتعامل مع الواقع المعقد بطبيعته وأولوياتة ثقافياً وإجتماعياً ودولياً . ولعل احتدام الخطابات المتصارعة من إسلامية إلى علمانية أو أي اسم آخر تعاني من هذا الخطأ الفادح الذي شنج حركة الأمة وكبح انطلاقها وجعل الجميع يستهلكون الجهد الأساسي في مسائل إجرائية وخلافية والتعامل بأسلوب "شخصاني" وتعبيرية انفعالية بدلاً من الإهتمام بالانجاز لصالح الجميع . ولعل كل من تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة وأزمة الخليج ١٩٩٠ قد قذفتنا بعشرات الأمثلة ففي سياق الأزمة الثقافية المزمنة نجد أبسط الأمثلة وأعمقها تتمثل في عبودية إجراءات روتينية كثيرة ننس معها أنها ليست الهدف في حد ذاته ولكنها الوسيلة لتحقيق هدف آخر . . . ولعل ممارسات القيادة العراقية أثناء أزمة الخليج توضح أنها قد حاولت اللعب على تناقض الخطابات المتصارعة والتعامل مع دوامات الوسائل الجدلية بطريقة إطالت من أمد الأزمة وكان الهدف من ذلك هو محاولة استقطاب أكبر تأييد لموقف العراق

من ناحية ومحاولة لتمييع الموقف حتى يرجع التحالف عن عزمه في طرد العراق وتحرير الكويت ولقد تجسد نمط تغلب جدلية الوسائل على تحقيق الهدف بصورة جلية في تفاعلات الأربع أشهر الأولى من الأزمة من خلال ذلك الكم الهائل من المبادرات العربية المختلفة لحل الأزمة دون توحيد الجهد مما أدى إلى فقدان القدرة على إيجاد حل تحت المظلة العربية .

ومن صور هذا النمط ماسميه بإستر تيجيات التسحلف والمقصود بها فقدان القدرة على ترتيب أولويات الحوار وفقدان الأحساس بالندية والإسراع بطلب التأجيل أو الانسحاب بخصوص إشكالية ماتكون موضع الجدل أو طلب تأجيل الأمور دون البت فيها إلي أن تحل بقدرة قادر أو لاتحل نهائياً ومن المقالات التي تستشف منها هذا النمط مقال لمرسي عطا الله بعنوان "**سياسة الهروب من المواجهة ليست في مصلحة العرب**" ، حيث يقول :

" ولسنا مقطوعي الألسنة ولاعديمي الحجة لكي نفرح بالهروب من ساحة المواجهة في ظل عالم جديد يتجه إلى حقبة من "الدبلوماسية الوقائية" كبديل لحقبة" الدبلوماسية العلاجية التي كانت نتاجاص طبيعيا لسنوات الاستقطاب والحرب الباردة قبل أعلان شهادة الوفاة للاتحاد السوفيتي .

وكفانا أربعون عاماً من الجدل العقيم !" .

* النمط الحادي العاشر : حوارات " الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة " .

" صناعة كبرى . . . . . ملاعب خضرا

تماثيل رخام على الترعة وأوبرا

في كل قرية عربية

دي ماهيش أماني وكلام أغاني

ده برتاني . . ده برتاني ! . "

كلمات للشاعر والمفكر الراحل صلاح جاهين تغني بها الراحل عبدالحليم حافظ . . "ده برتاني" هذا تعبير دقيق في سياق حوارنا الآن . . . أنه بالفعل برتاني " . . ولكننا لم نصل إليه بسبب الاستغراق في الحلم دون الأخذ بتلابيب الأمور والنظرة العملية للواقع المعاش والتصرف من منطلق فن الممكن لتحقيق مايمكن تحقيقه . إن هذا النمط يتجسد فيما قاله رافائيل باتي برغم التحفظ على الكثير مما ورد في كتابه بعنوان " العقل العربي " وأسلوب معالجته مادة الكتاب :

«إن العقل العربي يعطي وعن قصد، وزن أعظم للرغبات والأماني التي يود العربي أن يحققها عن ذلك الوزن الذي للواقع الفعلى والموضوعي للأمور»

(باتى (patai) : ١٩٨٣ : ١٥٦)

ويتجسد هذا النمط أيضاً فيما أورده السيد ياسين في مقالة بمجلة المستقبل العربي (١٩٩١) بعنوان "التحليل الثقافي لأزمة الخليج" حينما تعامل مع ما اسماه "**بالخطاب المثالي**" الذي ركز فيه على الوزن التأثيري الكبير للشعارات على وعى الشارع العربي والإسلامي وهذا ماتجلى من خلال تأييد "القطاع الأكبر من الجماهير العربية للشعارات التي رفعها صدام حسين أثناء أزمة وحرب الخليج : لقد ذكر السيد ياسين "أهمية دراسة وتحليل السلوك الجماهير العربي أثناء الحرب، وعلى وجه الخصوص بحث ظاهرة التأييد الجماهير الواسع المدى للخطاب السياسي للرئيس صدام حسين وخصوصاً جماهير الأردن والجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة، وفي الجزائر والمغرب وتونس والسودان واليمن، وبعض قطاعات الجماهير في مصر وسوريا. وأضاف قائلاً. "إن دراسة هذا السلوك الجماهيري كشفت عن توحد الجماهير مع الشعارات التي رفعها الرئيس صدام حسين في خطابه، بغض النظر عن حديثه في رفعها، أو عمله الحقيقي لتحقيقها. وبغض النظر عن تناقض ذلك الخطاب وضعفه البنيوي وركاكة أسلوبه وبدائية أفكاره. ولقد عزى السيد ياسين هذا الأمر إلى الوضع النفسي للجماهير التي اختلط عليها الحقيقة بالوهم. أن أمر الإستغراق في الأحلام المثالية دون مواكبة ذلك بالفعل قد تأصل بسبب ممارسات كلامية كان الغرض منها التعبئة السياسية من خلال الإعلام والعملية التعليمية في إنحاء الوطن العربي ولفترة طويلة من

الزمان. ولعل ماأحدثته أزمة الخليج يدق على الأجراس لكي نتخلى أساساً عن مثل هذه الممارسات.

* النمط الثاني عشر: حوارات الإطلاقية في القبول والرفض وحتى في "الحل الوسط":

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع اللآخر، فإن الأمر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسيين للتحليل. البعد الأول ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية بيننا وبين ذلك اللآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا. ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط "القبول المطلق أو الرفض المطلق" بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، والسبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التي تؤكد على الرفض المطلق كان تبنى البعض لما قد نطلق عليه "نمط الوسطين أو التوفيقيين" وهؤلاء قد أنقسموا إلى فئتين الأولى تمثل هؤلاء الذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم والذي لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في احراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصيلة. أما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن أمور تتعلق بنظام القيم الثقافية الأصيلة وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال

الإطلاقية أيضاً، وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير "الحل الوسط" مدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعني التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية، وهذا المعنى هوالذي يهيمن على إدراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربي والإسلامي ومايلقي بالضوء على هذا الأمر ما ذكره باحث اللغويات الاجتماعي بروس فريزر BRUCE FRASER (7891) في بحثة الذي تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم "الحل الوسط" "COMPROMESE" ولقد أورد الباحث عدة أمثلة منها مثل من الشارع الإسلامي في إيران حين ذهب مبعوث الأمم المتحدة إلى إيران بشأن التفاوض في أزمة الرهائن الأمريكيين الشهيرة، ويذكرالباحث أنه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير "حل وسط" وأعلن أنه جاء للوصول إلى "حل وسط" فما كان من الجماهير إلاّ أن رشقت سيارته بالحجارة.

فإذا ماحاولنا الآن النظر إلى ماطرحته تفاعلات أزمة الخليج من أنماط الإطلاقية لنجد أن جزء كبيراً من بيانات تفاعلات الأزمة يجسد هذا النمط وقد لاحظه أيضاً السيد ياسين في مقالة "**بعنوان المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج**" (الأهرام ٨/ ٣/ ١٩٩١). حين ذكر النقاط التالية عن سمات خطاب المثقفين العرب في الأزمة :

- "انطلق معظم خطاب المثقفين العرب من مسلمة مبناها **إما أن تكون مع العراق على طول الخط**، أو مع **الكويت على طول**

الخط ، ومثل ذلك تبسيطاً مخلاً لرؤية الواقع ، ذلك أن الأزمة إثارت قضايا سياسية وفكرية وإستراتيجية معقدة . من الصعب للغاية حصرها في خانة "الأبيض" أو خانة "الأسود" وبالتالي حرم هؤلاء المثقفون أنفسهم من التحليل النقدي للأزمة والذي من شأنه أن يبرز سلبيات وإيجابيات سلوك كل طرف من الأزمة" .

وإذا عُدنا بالأمثلة إلى أحداث قريبة في الواقع الثقافي المصري تتعلق بنمط القبول المطلق والرفض المطلق لوجدنا مادة خصبة في التفاعلات الحوارية الخاصة "بقضية الغزو الثقافي" ، وسنجد أن كل هذه التفاعلات تندرج تحت إطار أحد المواقف التي يجسدها نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق أو نمط "الحل الوسط" . وهنا تندرج مقولة وزير الثقافة المصري أ. فاروق حسني الذي قال بالنص :

«إن التخوف من الغزو الفكري والثقافي هو تخوف بلاأساس ، لامخاطر من أي لون من الغزو الفكري ، ويامرحباً بالغزو الفكري في كل وقت وفي كل مكان» . ولقد كان لهذه المقولة رد فعل لدى الكثير من أعضاء النخبة المصرية : الأمر الذي دار بشأنه حورات على صفحات الجرائد استمرت لفترة لابأس بها . وماأود أن ألقي بالضوء عليه هنا هو نمط الإطلاقية الذي يتجلى في معظم تفاعلاتنا الإجتماعية والثقافية والسياسية الراهنة . ولعل أعمالنا الفنية تعكس هذا الأمر أيضاً . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، فإن الكثير من المسلسلات أو

الأفلام التي يُطلق عليها "سياسية" لم تكن في واقعها إلاّ قبول مطلق لعهد عبدالناصر أو رفض مطلق لهذا العهد ونفس الشيء ينطبق على عهد السادات، كذلك فإن مايقتحم إذاننا من أغاني هابطة بهذا الكم الضخم ماهو إلاّ صورة من صور نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق لقيم ثقافية معينة سواء على مستوى المرسل أو المتلقى.

إننا إذا ماحاولنا توسيع نطاق تأمل مواقف "العقل العربي" عموماً بخصوص التفاعلات الإطلاقية مع الآخر لوجب علينا تأمل وتحليل أهم مقولات المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري وهي مقوله رئيسية أكدها في كتابيه الأول والثاني عن العقل العربي، يقول د. الجابري.

«أن الذات العربية الراهنة تفتقد استقلالها لأنها تستمد فعاليتها ودرود فعلها من مرجعيتين اثنتين متنافستين ومتعارضتين، وهما معاً منفصلتان عن الذات العربية أعني أنهما تنتميان إلى عالمين لايعبران تعبيراً مطابقاً عن عالم العرب اليوم،إحداهما تنتمي إلى الماضي العربي الإسلامي والثانية تنتمي إلى الحاضر والمستقبل الأوروبي. إن تحكم هاتين المرجعتين، المرجعية التراثية العربية الإسلامية والمرجعية المعاصرة الأوروبية، في الذات العربية في توجه تفكيرها ورؤاها، هو مانعنية بافتقادها إلى "الاستقلال التاريخي التام" على صعيد الوعي والفكر كما على صعيد السلوك والفعل. وذلك إلى درجة أننا أصبحنا نحن العرب اليوم ولا نستطيع، إلاّ نادراً، التفكير في أية قضية من

قضايانا إلاّ من داخل إحدى المرجعتين المذكورتين، وفي كلتا الحالتين يكون فكرنا في واد وواقعنا في واد آخر، وبالتالي تغدو "الذات" الذات كفكر وكفاعلية وسلوك، موزعة بين فكر مغترب في الماضي أو عند الغير وبين سجن مظلم هو سجن الواقع الذي لاينيرة فكر ولايحكمة عقل. وإذن "فسبيل الاستقلال التاريخي للذات العربية هو التحرر من المنوذجين معاً– أعني المرجعتين – التحرر من سلطتهما "السلفية" سلطتهما "المرجعية" ذلك ماأكدناه في خاتمة "الخطاب العربي المعاصر" ونؤكده هنا من جديد".

(الجابري ٨٥:٥٦٧)

إن مايتحدث عنه ويؤكده د. الجابري بصورة جلية هو " التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين" "السلفي" و الأوروبي" حتى **يتحقق ذلك الاستقلال التاريخي التام للذات العربية**! وهذه المقولة مقولة هامة تعبر عن الأمل في التجرد والموضوعية وعدم سجن الذات في نموذج بعينة. وهذا مفهوم . . **إلاّ أن هذه المقولة تحمل في طياتها أيضاً ظلالاً قوية لنمط الاستغراق في المثالية التي تبتعد بنا عن الواقع المعاش وتجسد مفهوم "الإطلاقية"**، حيث أن التحرر التام من أي نموذج أو فكرة أمر طوباوي أكثر منه أمر علمي يشهد على عدم حدوثه وقائع التفاعلات الحوارية العلمية، ووقائع التاريخ.

إن مقولة د. الجابري بخصوص أمر الاستقلال التاريخي للذات العربية في عالم تتشابك مصالحة وتحركاته يدعونا إلى تأمل مقولة

عالم السياسية المعروف كارل دويتش حينما يتعرض للواقع الأمريكي الذي ينبغي وأن نتأملة كمجرد خبرة إنسانية انبثقت من خلال التفاعل في إطار سلطات نماذج مختلفة تمثلت في مهاجرين من إنحاء العالم. فبعيداً عن هاجس التبعية نستشهد بهذه المقولة لكارل دويتش الذي يقول: "إن الاستقلال شيء نسبي، فنحن الأمريكيون نعتمد على العالم الآخر بطريقة كبيرة والجميع يعلم أن العلم والتكنولوجيا والطب هي موضوعات "دولية" ولكن القليل هم الذين تأملوا... وماذا يعني هذا؟.. إن الأمر يعني وببساطة إنه لايوجد شعب في العالم قد وصل إلى ماصل إليه من تقدم تكنولوجي ورخاء، دون الإستعانة بالعالم الخارجي وإسهاماته، ويضيف قائلاً... إن عالم الطبيعة كارلوت يذكرنا بأن هناك ثلاثة إكتشافات إمريكية من الـ ١٢ إكتشاف الرئيسية التي سمحت بإنتاج الطاقة الذرية... إننا نفخر بأننا نشكل ١/ ١٨ من سكان العالم وبإننا قد أسهمنا بالربع في هذا الأمر... ولكن هذا أيضاً يجعلنا نتأمل الحقيقة القائلة بأن الأمر قد جاء من بلاد العالم الأخرى (دويتش ١٩٦٦).

إن أمر الإستقلال التاريخي التام" في عالم اليوم هو بمثابة استمرار "الحلم العربي" المجرد والراهن والذي يخرج عن نطاق نواميس أحلام البشرية المختلفة في عالم اليوم وخاصة الحلمين، "الياباني" و "الألماني"... فهذه "الأحلام" الأخيرة

قد تحولت إلى واقع بينما كان الشعبين الألماني والياباني تحت تأثير هيمنة سلطة نماذج المنتصرين بطريقة أو بأخرى. كذلك فإن تجارب دول مثل ماليزيا وكوريا والهند.. تؤكد أن هذه الشعوب لم تنشغل بالإستغراق الفلسفي المجرد والإطلاقية المثالية وإنما اندمجت مع الواقع والتجربة العلمية المعاشة بكل تعقيداتها فلقد تفهمت هذه الثقافات واستوعبت جيداً قواعد اللعبة الدولية وأيقنت إن ملاعب التحرك قد اتسعت وإن هناك حيثيات قد أصبحت حقيقة واقعة على الساحة، ومنها حيثية " الاختراق " فلقد أصبح عالم اليوم على اتساعه وتفاوته لايخلو من عمليات الاختراق المتبادل " (INTERPENTRATION) إن هذه الثقافات لم تتخل عن المفاهيم الرئيسية التي تمثل قوامها الحضاري.. ولم تنشغل بما قد يسمى " بالإستقلال التاريخي التام " أو المطلق لذاته ". وبالتالي تتعامل مع ذلك الاختراق الذي تتعرض له بإيجابية بعد أن أصبحت تسير على طريق امتلاك مقومات الاختراق المضاد، إن لم يكن ذلك الاختراق المضاد قد أصبح حقيقة في أسواق أوروبا وأمريكا.

* النمط الثالث عشر: حوارات تبديل المواقف بسرعة وإنفعالية حادة:

لاشك أن هناك أمثلة من التفاعلات الحوارية الإجتماعية اليومية في العالم العربي التي توضح بجلاء نمط تبديل المواقف من موقف إلى

آخر وربما يكون نقيضه الحاد وبسرعة غريبة وبإنفعالية. ولاشك أن حجم التفاعلات السياسية خاصة أثناء أزمة الخليج لها الحجم الأوفر في هذا الصدد. ولقد لاحظ السيد ياسين في مقاله "المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج" (الأهرام ٨/ ٣/ ١٩٩١). مايوحي بتأصل هذه السمة في خطاب المثقفين حين ذكر :

- وسمة أخرى تتمثل في التبعية المطلقة لبعض المثقفين لمواقف السلطة، سواء كانت السلطة العراقية، أم السلطة، السلطة الكويتية أم السلطة السعودية (وينطبق ذلك على تبعية بعضهم للسلطة المصرية أو السورية) وخطورة هذا الموقف أن يتحول المثقف إلى مجرد مبرر لمواقف السلطة، وهو لذلك مستعد لتغيير موقفه إذا ماغيرت السلطة موقفها. فالمثقفون الذين أيدوا العراق في غزوه للكويت ثم في ضمها بعد ذلك للعراق وابتدعوا النظريات المختلفة لتبرير هذا ا لضم. سواء في حديثهم عن أولوية الوحدة العربية ولو تم تحقيقها بالقوة العسكرية، أو في تعرضهم لهشاشة الدولة الكويتية، أو في إثارتهم لقضية الحق التاريخي، هم أنفسهم الذين أيدوا العراق في مبادرته السليمة، والتي جوهرها الإنسحاب من الكويت، ولدى هؤلاء البعض موقف السلطة - أيا كان ومهما تغير - هو الصحيح" (أي مهما تطلب الأمر من تبديل للمواقف).

ومن عينات البيانات التي تلقي بالضوء على نمط "تبديل المواقف" كنمط متكرر في تفاعلات النخبة نجد مقال فيليب جلاب بالأهرام بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٩٩١ بعنوان "عن الحرب والغزو والتوطؤ"

والذي يتحاور فيه مع د. فؤاد ذكريا بخصوص تفاعلات أزمة الخليج وماتمخض عنها ويركز في مقولته على مايلقي بالضوء على هذا النمط.

وإذا كانت هذه العينات تمثل التفاعلات السياسية الخاصة بهذا النمط فأود أن ألفت نظر القاريء إلى مضمون عينة من بنك بيانات هذه الدراسة تجسد مدى تأصل هذا النمط السلبي من التفاعل في مجتمعنا. . وهو ماأورده- وبطرافة عميقة- محسن محمد في جريدة الأخبار بعنوان "**متى نلعن الجوهري**" حيث يقول:

متى نلعن الجوهري؟

دخلنا التصفيات النهائية لكأس العالم في روما فأعلنا على رءوس الأشهاد أن الفضل لا للاعبين بل لمدرب الفريق الكابتن محمود الجوهري ونشرنا العرائض والقصائد في مدحه وإعتبرناه منقذ الكرة المصرية الذي سيجلعنا نفوز ببطولة الكأس. وهزمتنا انجلترا في الكأس بهدف يتيم فأخذ اللاعبون من أعضاء الفريق الذي حرمهم الجوهري من الإشتراك في المباراة يقسمون ويؤكدون أن العلاقات الشخصية السيئة بينهم وبين الجوهري هي التي أملت عليه أبعادهم!

وتطوعت أجهزة رقابية، لانعرف إلى من تنتمي، تتهم الجوهري بأنه أفرط في إستخدام المال العام، وإن مصروفات الفريق كانت أكثر مما ينبغي في دولة نامية.

ولم يرسل الجوهري إلى روما فريق التصفيق للفريق المصري، ولكن هذا لم يمنعنا من إتهام الجوهري بأنه كان يحتاج إلى من يهتف له ولفريقه في روما لتشجيعهم على الهزيمة!

وعندما لم تحقق نصراً في أثينا امسكنا بخناق الجوهري في أثينا وأخذنا نلومه بأثر رجعي وعزلناه من تدريب الفريق.

وجاءت الدورة الإفريقية لنهزم في التصفيات الأولى في كرة القدم. وكان من الطبيعي أن نلقى اللوم هذه المرة على إتحاد كرة القدم الذي سبق له إتهام الجوهري والتشهير به فاصدرنا قراراً بحل الإتحاد.

وتذكرنا فجأة الجوهري المظلوم. وتذكرنا أيضاً إننا لم نمنحه وساماً على جهده في وصول فريقنا إلى كأس العالم. حدث ذلك كله قبل أن تنتهي الدورة الأفريقية لتعرف إفريقيا كلها أن الحسم والحزم طابع حياتنا الكروية قبل أي شيء آخر في الحياة!

ومن المؤكد أننا سننتصر في مباريات قادمة. وسنهزم في مباريات أخرى.

وسيتذكر بعضنا أن الجوهري هو المسؤل. وسنلعنه مرة أخرى. وربما نسحب منه الوسام وربما نقدمه إلى المدعى الإشتراكي!

.... مبروك مؤقتاً للجوهري حتى يجيء الوقت المناسب لنلعنه.

[ملاحظة: إذا كان ماسبق يتعلق بوقت كتابة هذه السطور عام ١٩٩١م حينما رصدت مقال الأستاذ محسن محمد، فإنني اليوم في

عام ١٩٩٨م وأنا أعيد طبع تلك الدراسة في هذا الجزء من كتابي هذا أذكر القاريء بأننا والحمد لله نشكر الجوهري من الأعماق لتحقيق لقب بطولة كأس افريقيا. وإثبات قدرته وخبرته الوطنية].

*** النمط الرابع عشر : حوارات " التحفيز الإنفعالي " :**

يعد هذا النمط شكل من أشكال الإنفعالية الحادة التي تبتعد عن الأسلوب الهاديء في الحوار وهو شيء مفتقد في كثير من تفاعلاتنا فإذا كان هذا الأمر متوقع الحدوث من قبل العامة التي تحتاج إلى جهد لمعالجة هذه السلبية إلاّ أن هذا الأمر لايكون محتملاً إذا كان هو أسلوب من يفترض فيهم أنهم أعضاء في النخبة العربية والأمثلة كثيرة بغض النظر عن طبيعة الموضوع.

ولعل في مقال بقلم الأستاذ المستشار محمد أبو علم مايوضح ذلك (الأخبار ٢٠/ ٢/ ١٩٩١) والمقال بعنوان " **جهنم بعده لن تطلب المزيد!!** " ويتحدث الكاتب عن صدام حسين.. بلغة توضحها المقتطفات التالية " اقتلوه ولاترحموه... اذبحوه واشربوا من دمه "... «**اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بماضية** .... فسوف يرقص العالم كله لمقتله» اقتلوا صدام واسحلوه ولاترحموه... " «أما صدام مسحولاً في الشوارع فسوف ترقص البشرية كلها فرحاً به...» «أضربوه الآن قبل غد... اضربوا هذا الوحش المجنون الذي فقد عقله **ويلتف حوله شرزمة من الجبناء**

والمناجيس . . . لاتتوقفوا عن قتله في شهر شعبان وشهر رمضان فإن ذبح صدام واجب حتى في الأشهر الحرام . . . " .

* النمط الخامس عشر حوارت : الاذعان وإستراتيجيات " الدونية " :

ويتجسد نمط الاذعان والاستجداء العاطفي من خلال توظيف ماسميه " بإستراتيجيات الدونية في الحوار والمقصود بذلك هو إظهار طرف من أطراف الحوار للمتحاور معه دونيته أو قلة حيلته وعدم توافر الندية تجاه . وأهم إستراتيجيات الدوينة في الحوار هي :

(أ) المبالغة في استخدام القاب التخاطب .

(ب) الاستغراق في ا لاستشهاد ببعض الأمثلة التي تجسد نمط الإذعان والاستجداء العاطفي .

(أ) المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب :

في ثقافتنا العديد من القاف التخاطب الإجتماعية التي يطلقها أطراف الحوار على بعضهم البعض أو على من هم أعلى سلطة ومن أمثلة ذلك " سمو الأمير وجلالة الملك . . . وفخامة الرئيس ، (والركن المهيب والقائد الميمون) وفضيلة الشيخ ، وسماحة البابا ومعالي الباشا ، وحضرة الأفندي ، وسعادة البيك ، . . إلى آخره . . هذا غير مايرد في العامية من كم هائل آخر من القاب التخاطب . إن

هذه التعبيرات في أساسها هي تعبيرات إيجابية تدل على احترام الآخر في المقام الأول ولكن المشكلة هي الإسهاب في استخدام مجموعة من هذه الألقاب في كبسولة واحدة لمخاطبة السلطة السياسية أو سلطة السياق والمقصود هنا هو المبالغة في استخدام القاب التخاطب لمن له سلطة في سياق ما. . كسياق حوار الطالب للأستاذ والمذيع أو الصحفي ومن يستضيفه في حوار حيث يؤكد طرف ما الدونية تجاه الطرف الآخر ولايكون هنا أدنى مبرر لذلك. لقد شاهدت عينات من هذه النوعية من الحوارات التي لاينتج عنها بطبيعة الحال الاحترام المتكافيء بين أطراف الحوار بسبب مبالغة أحد الأطراف في تأكيد دونيته للطرف الآخر من خلال توظيف استرتيجيات الدونية في الحوار سواء كانت من خلال توظيف القاب التخاطب أو غير ذلك من استرتيجيات الدونية الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى جور على مفهوم عزة النفس ومفهوم المساواة والتكافؤ في الحوار كمبدأ هام في عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة وفي الحوار عبر الثقافات بكل تأكيد.

(ب) الاستغراق في الاستشهاد ببعض الأمثلة العامية:

ولعل في العديد من الأمثلة الشعبية مايلقي بالضوء على صورة أخرى من صور الأذعان وهنا أود أن أستشهد بالمقولة التالية للأستاذ

محمد إبراهيم اب سنة في كتابه " فلسفة المثل الشعبي " والتي تقديماً لبعض الأمثلة من هذه النوعية . يقول الأستاذ أبوسنة :

بعد إجتماع كل ظروف القهر الماضية بالإضافة إلى وجود الاستعمار في المراحل المتأخرة من تاريخنا ، وأخص المراحل الحديثة لأنه كان الاستعمار الذي ركز اهتمامه حول اقتلاع ثقتنا من أنفسنا ومازلنا نعاني أزمة الثقة هذه حتى الآن بين شتى مستويات الثقافة والمجتمع ، فالاستعمار قد قام بمزاولة عمله التخريبي في جبهتين: الجبهة الأولى هي تحطيم اقتصادنا أيام إسماعيل وخنق الروح الثورية أيام عرابي وتفتيت كل المحاولات للنهوض بأية إمكانيات ماالخلق وضع آخر . والجبهة الثانية هي ضغط الروح المعنوية وتقويمها بالمفاهيم الرجعية وتأسيس وتشجيع المؤسسات الرجعية المنهزمة . والحقيقة أن إنتشار هذا التخريب المعنوي في صفوفنا وثقافتنا ومدارسنا بحيث انعكس في كل مناحي حياتنا ليسر علينا ونقبل الأحكام التي يصدرها التاريخ كما أني لاأريد لمعنى الإطلاق أن يحيط بهذه الكلمة «الإنهزامية» ، فالفتور الذي يعتري نضال الشعوب لايمكن أن يستمر ، لأن التاريخ في زفحفه المرير على سواعد الجموع الكادحة لايؤمن بالجمود والتوقف .

وكان لانتشار هذه الروح داخل فلسفة شعبنا أثر فعال في خلق وجهة نظر غير سليمة أوحب دائماً بأحكام سلبية ورجعية ومتسامحة ، ونحن لاندهش كثيراً إذا كان مثلنا الشعبي لم يرتفع إلى مستوى المقاومة الحقيقية إلاّ في مراحل حديثة جداص من تاريخنا ، ذلك لأن الأدب المكتوب نفسه كان يعاني هبوطاً ومرضاً وسطحية لأزمته إلى مطالع القرن العشرين ، ولذا إذا

وضعنا أذهاننا واعية تحت ظروف القهر الماضية لانجد غرابة عندما نسمع مثلاً:

-"اللي يجوز أمي أقوله ياعمي"، "ارقص للقرد في دولته"، "أقل عيشه أحسن من الموت".

"اللي مايرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون"، "إن انهدم بيت أخوك خدلك منه قالب"، "إن كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدي"، "اللي يبص لفوق توجعه رقبته"، ولكن يقاوم أيضاً في روعة نادرة:

"اللي مايقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار".

(إبراهيم أبو سنة ١٩٦٨: ١٨، ١٩)

وعن "خطاب الإذعان" نستشهد هنا بمقولة د. شرابي الذي يصف الإنسان العربي.

وعن "خطاب الإذعان" نستشهد هنا بمقولة د. شرابي الذي يصف الإنسان العربي.

"بأنه ينزع دائماً إلي الاعتقاد بالاستمرارية الطبيعية والمجتمع ولايؤمن بقدرة الإنسان على تحقيق التحولات في واقعة وبيئته الإجتماعية، كذلك فإن الإنسان في صميمه إنسان عاطفي مستسلم للطبيعة والسلطة الخارجية ولايرغب بمقاومتها وهو لذلك سلبي وخنوع للسلطة السياسية والسلطة الأبوية ويؤمن بالمعجزات وغير قادر على التصدى لمشكلاته بمنهة عقلاني".

(شرابي ١٩٨١ : ١٢٨)

ورغم العمومية الإطلاقية التي اتسم بها أسلوب د. شرابي في هذه المقولة والتي نختلف معه بشأنها إلاّ إن مايتحدث عنه يمثل قطاع له وجوده الحقيقي على ساحة تفاعلاتنا الإجتماعية والسياسية.

وإذا انتقلنا الآن إلى عينات تفاعلات مابعد أزمة الخليج ١٩٩٠ الحديثة للغاية لوجدنا مايلقي بالضوء على "نمط الإذعان وتهيب السلطة" في مقال للأستاذ وجيه أبوذكري بجريدة الأخبار ١٣/ ١٢/ ١٩٩١ بعنوان "**إلى زعيم العالم الجديد: رفقاً برعايك!!** ولأننا نعرف أن وجيه أبوذكري من الكتاب الذي يتسمون بالجرأة وعدم المهادنة في المطالبة بالحقوق فهو أول من آثار قضية النعوش المصرية الطائرة التي كانت تحوي جثث العاملين المصريين بالعراق والتي كانت تصل في "صمت رهيب" في وقت كانت فيه العلاقة بين الحكومتين المصرية والعراقية في أحسن حالاتها وهو الذي تصدى للمطالبة بحقوق المصريين في دول الخليج وهو الذي انتقد بموضوعية عدة ممارسات للحكومة المصرية.. من هنا وفي ظل هذا السياق الأشمل وبعد قراءة المقال المشار إليه أعلاه نلاحظ أن المرامي الإقناعية للكاتب ترجح نغمة التهكم إلى ماوصل إليه حال خطاب الإذعان في الوطن العربي من ناحية والتصدى بأسلوب حاول الكاتب أن يكون فيه ساخراً لأساءة استخدام سلطة "زعامة العالم الجديد" من قبل الولايات المتحدة من ناحية أخرى. والمقال يمثل واحداً من المقالات

المصرية التي شاركت في محاولة امتصاص أي رد فعل متهود من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ضد ليبيا ولقد الكاتب في هذا المقال حشد مكثف من مفردات وإستر تيجيات الإذعان والدونية والتي تجسدت المبالغة فيها استخدام القاب التخاطب من ناحية مثل "زعيم العالم الجديد" ، "زعيم هذا العالم بلا منازع ولامنافس ولااعتراض" مع تكرار ملحوظ لهذه الألقاب. كذلك استخدام الكاتب أساليب "التصغير المعنوي" من ناحية أخرى مثل "رفقاً برعايك.. " ، إن ليبيا العظمى.. دولة صغيرة" .. ولقد زاد من تعظيم توظيف إستراتيجيات الدونية استخدام التعظيم المعنوي للطرف المخاطب وهو الرئيس بوش الذي وُصف في المقال بأنه "رجل مؤمن ومثقف ودقيق" هذا بالإضافة إلى تقرير مصادر قوة الطرف المتحاور معه (بوش) مثل " "أراك تسعد بالركوع والسجود لك وأمامك من رعاياك في محرابك.. فكم أنت سعيد بأن سفاح بغداد يقف ساجداً أمامك كما الأرنب ورئيس روسيا يقدم لك تقريراً عن تحركاته ، وتطلب من اليابانيين إعتذاراً عن بيرك هاربر ، ويسعدك تصريحات العقيد القذافي للأستاذ إبراهيم نافع حيث أشاد بك ورغم ذلك لاتصفح ولا ترضى" !!

* النمط السادس عشر : حوارات الاستبداد والتسلط

وهذا النمط هو نمط "لاحواري" أساساً بمعنى أنه نمط يتبناه ذلك

المتحاور المقرر للأمور بتعسف وبدون نقاش وتجاذب لأطراف الحديث بخصوص أمر ما. ويرتبط هذا النمط بإساءة استخدام سلطة مابصفة عامة ويرتبط كذلك بتركيبة الشخصية الاستبدادية المهيمنة على كثير من تفاعلاتنا والتي يكون حوارها أو عدمه أما تعبيراً مقتضباً مجسداً لاستغلالها لسلطات حقيقية ممنوحة لها بحكم الوظيفة أو السياق أو يكون حوارها مجرد انعكاس لذلك الإرث الموروث نتيجة تأصل ظاهرة الاستبداد في الحوار والتي عمقتها حقبة غياب الديمقراطية مع وجود نظام تعليم تلقيني جامدا كان أثره الأعظم هو تلقين وشحن إعداد كبيرة من العقول، التي لم تتحرك خارج نطاق منظوماته، بمقولات تصنيفية جامدة اتسمت بالهجاء الأجوف وإطلاقية ينقصها التناسق والاتساق ووحدة الفكر. وأمثلة النتائج الوخيمة لهيمنة هذا النمط على تفاعلات أزمة الخليج واضحة.. فهيمنة نمط الاستبداد هذا من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى كارثة الخليج.. فهذا الغزو العراقي لدولة عربية أخرى ماكان يجرؤ أن يفكر في القيام به سوى نظام استبدادي ديكتاتوري. ولقد هيمن هذا النمط الاستبدادي على تفاعلات الطرف العراقي أثناء إدارته للأزمة وكان السبب الرئيسي في فشل كل المحاولات لإقناعه بالتراجع حتى مع حفظ ماء الوجه الذي كان مكفولاص له عند بداية الأزمة، الأمر الذي كان بلاشك ممكناً وكان من شأنه أن يحافظ على قوة العراق وقوة الكويت كرصيد كبير للقوة العربية. وماأكثر الأمثلة التي لاتزال تنهمر علينا من الواقع

التفاعلي العربي .

لقد كان لطغيان نمط الاستبداد والتسلط أثره البالغ بطبيعة الحال على تعميق أنماط حوارية أخرى مصاحبة له أولها نمط الإذعان للسلطة بأنواعها وهو النمط الذي تعرضنا له (النمط الخامس عشر) ونمط التصنيف المتسرع للنصوص وللمتحاور الآخر أياً كان. ويرتبط بنمط الاستبداد نمط إحتكار الحقيقة فمنا من يحتكر العلم والمعرفة ومنا من يحتكر القومية والصمود والتصدى ومنا من نحتكر الإسلام لقد تناول كاتب هذه السطور هذا النمط بالتحليل في سياقين رئيسيين، الأول هو سياق المفاوضات السياسية الدولية [من منظوري النُظم وشخصيات الفاعلية السياسيي] والتي كان العرب إطرافاً بها في أطروحته للدكتوراه (حسن –وجيه ١٩٨٩ انظر المراجع باللغة الإنجليزية) أما السياق الثاني فهو في إطار التحاور بخصوص العملية التعليمية (انظر مقال "ديمقراطية التعليم ولغة الحوار" لكاتب هذه (الأهرام الإقتصادي ٤/ ١١/ ١٩٩١). إن أمر دراسة وإشكال نمط الاستبداد/ التسلط. . هذا النمط "الأب" للأنماط التي تشكل أكثر سلبيات التفاوض الإجتماعي والسياسي في المجتمع العربي لايزال بحاجة إلى دراسة خاصة متعمقة سيكون لها سياق تفصيلي آخر .

* النمط السابع عشر : حوارات «الغفران العام»

المقصود بهذا النمط هو كل هذه التفاعلات التي نرى من خلالها

تقصير وأخطاء جسيمة بل وجرائم - لايمكن السكوت عنها في أي مجتمع تسوده القوانين- تمر دون حساب أو اكتراث ونرى هذه النوعية من التفاعلات تتجسد في كافة أوجه حياتنا الإجتماعية والسياسية الأمر الذي لايزال يسبب الاستياء والإحباط لدى الكثيرين. وأود أن استشهد في هذا السياق بمقالتين من بنك بيانات هذه الدراسة. وهاتان المقالتان تلقيان بالضوء على تأصل ورسوخ هذا النمط. المقالة الأولى تجسد بعض تفاعلاتنا أثناء أزمة الخليج للأستاذة سناء أبوالفتح بعنوان " أزمة وتعدي " بجريدة الأخبار ٢١/ ١/ ١٩٩١ (انظر النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢٤٦) والثانية للأستاذ رجب البنا بعنوان "عرب ١٩٩٢ " وتجسد طبيعة هذا النمط الذي زاد تأصله في تفاعلات ما بعد الأزمة. وفيما يلي نص مقالة الأستاذ رجب البنا (الأهرام ٢٢/ ١٢/ ٩١) والتي تتضمن نقداً لهيمنة ماسميناه بحوارات "الغفران العام" والتي تسود التفاعلات العربية حيث توحى الأنظمة الحاكمة بأن كافة الأمور- رغم المصائب والكوارث المواليه- على مايرام والحمد لله بفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي!!

عرب ١٩٩٢

آخر قرار إصداره الرئيس العراقي صدام حسين يقضي بإعتبار مسابقات كرة القدم بين أندية العراق هذا العام بطولة ذات طباع قومي، وإطلاق اسم

"أم المعارك" عليها، وأقامتها سنوياً تخليداً لذكرى حرب الخليج، وتخصيص ١٥٠ ألف دينار عراقي للفريق الفائز بالبطولة فيها.. وقد حرصت وكالات الأنباء على أبراز تصريح نشرته صحيفة "البعث" النطاطقة باسم حزب البعث الحاكم قال فيه عدي ابن الرئيس صدام ورئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة هناك بأنه قد تقرر بناء ستاد جديد في بغداد يتسع لمائة وخمسين ألف مشاهد..!

لم تبد الوكالات اهتمامها بهذا الخبر كنوع من التسلية أو التسرية على القراء، ولكنها اختارت بعناية نموذجاً يمثل التفكير القائم الآن بعد كل ماجرى من حرب ودمار وماتتناقله البعثات الرسمية والتقارير من جوع يقتل الرجال والأطفال ونقص في الأدوية الضروية بنيما الحاكم مازال يفكر بنفس الطريقة التي كان يفكر بها قبل وقوع الكارثة وكأن شيئاً لم يحدث، ليس لأنه يعيش في غيبوبة، ولكن لأنه يريد أن يفرض على شعبه استمرار الغيبوبة، ولعل في الخبر ما يكفي لبناء تصور عن حالة العرب عام ١٩٩٢ الذي يوشك على المجيء على أنه لم يكون فيه جديد، في ظل الفلسفة السائدة الآن في العالم العربي القائمة على تجاهل الواقع والتعامل مع الوهم، فكل شيء يسير في تصور أكثر النظم الحاكمة على مايرام بحمد الله، وبفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي.!

لقد تعجل المحللون – حتى قبل اندلاع عاصفة الصحراء- فتصوروا أن هذه الأزمة التي اهتزت لها الكرة الأرضية وتداعت أثارها على قارات العالم ومراكز القوة فيها وتحركت فيها جيوش من كل فج عميق، وأطلقت

متفجرات تفوق ضعف ماأطلق في الحرب العالمية الثانية) . سوف تغير حالة التدهور العربي القائمة وتدفع إلى تغييرات أساسية داخل كل دول ة تحقق فيها ديمقراطية حقيقية (بعد أن أي مدى يمكن أن تدفع نظم الحكم الفردية شعوبها إلى الخراب) . كما تصوروا أن نظاماص عربياً جديداً سوف يولد من المأساة، وأن جامعة عربية جديدة سوف تظهر إلى الوجود، وأن فكراً سياسياً وإستراتيجياً جديداً سوف يسود العالم العربي يعطى لهذا العالم الضائع كيانا فيه قدر من التماسك والقوة الفاعلة فيه، ومن يتخلف عن هذه اللحظة الفاصلة فلن يكون له نصيب بعد ذلك أبداً . .

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وإنما حدث العكس، فما كادت تنتمى عاصفة الصحراء حتى أغلقت كل دولة أبوابها على نفسها - أوكادت- وظنت أنها أصبحت في مأمن. وزال شعور الخطر دون زوال دواعي، وساد شعور بأن الإرتباط بالنظام الدولي الجديد يعني الاستسلام له كما يبدو الآن، والتعامل معه من منطلق العرفان والتفويض، دون تفكير دور يمكن أن يلعبه العالم العربي في هذا النظام الدولي الجديد الذي لم يتم تشكيله بعد، وإنما ظهرت بداياته، ومازال في مرحلة التكوين، بما فيها من انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي بصورته القديمة، وظهور أوربا الموحدة ١٩٩٢ ، وصعود اليابان من حالة الإكتفا ء بالقوة الاقتصادية لتخطو نحو القوة السياسية، بل والعسكرية، وعلى المستوى الأقليمي تتحرك إيران وتركيا لإكتساب مواقع قوة جديدة سوف تكون مؤثرة، وبشكل مباشر، على العالم العربي، وحالة غياب الوعي والتماسك في العالم العربي تعطيهما فرصة نادرة

لاتتكرر كثيراً.

قيل قبل اندلاع حرب الخليج أن دور الثروة العربية سوف يختلف، فتتجه الأموال العربية إلى تنمية المنطقة العربية وتطويرها، ومساعدتها على تجاوز الأزمات التي تطحنها ثم لكي تصبح بعد ذلك قوة إقتصادية معقولة، وتتغلب على مشكلتي التخلف الاقتصادي والإجتماعي، وإن الأموال العربية سوف تتجن إلى حيث تتوفر فرص الاستثمار (المواد الأولية- الخبرة الفنية- العمالة المدربة- السوق) ومن خلال هذا التكامل سيصبح للعالم العربي كلمة ووزن ودور في شؤنه.

كل شيء توقعناه- وتمنيناه- عكسه.. لأن العقلية العربية لم تتغير، ولم تتغير عادات ومناهج التفكير، ولاتغيرات القيادات أو حتى مساعديها ومستشاريها- ولاتغيرت وسائل مواجهة ومعالجة الموقف، كل شيء بقي على حاله، والأسوأ من ذلك- كما رصد الدكتور مصطفى الفقي في محاضراته الأخيرة بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية- أن حرب الخليج نتج عنها انقسام فوق ماكان قائماً من انقسامات.. انقسام بين التيار الإسلامي في العالم العربي بين مؤيد لصدام حسين ومعارض له ومن يؤمن بإمكان الحل الوسط.. وإنقسام في العلاقات الثنائية بين دول الخليج حول ترتيبات الأمن فيها وهل تشارك فيها إيران أم لا، وإلى أي مدى تترك للولايات المتحدة؟ ووصل الانقسام حتى بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البلد العربي الواحد.

فإذا أضفنا إلى ذلك أثار أزمة الخليج على الشعوب العربية- إقتصادياً وسياسياً وسيكولوجيا، وآثار اختفاء قوة عسكرية عربية وأثره في موازين

القوى الأقليمية، مهما يقال- فقد كانت قواة العراق العسكرية توضع ضمن حسابت المنطقة وتوازناتها .ولم يعد أمام عرب ١٩٩٢ إلاّ أن يتمسكوا بطوق النجاة الأخير قبل أن يجرفهم الطوفان، وطوق النجاة الآن- على حد تعبير الدكتور مصفى الفقي- هو "علاج متميز" لايعتمد على الشعارات، لأن الجماهير العربية لم تعد تؤمن بجدوي الشعارات، ولكن لابد من جراحة ناجحة، لانتزاع المرارة التي ترسبت في أعماق الشعوب العربية بعد أن كانت تقتصر على الحكام العرب فقط، ولتكن البداية بإقامة حوار بين الجماهير العربية للخروج من الأزمات الراهنة واستعادة الثقة العربية- العربية المفقودة.

وأضيف: لابد أيضاً من "عمل" سريع لاستعادة الثقة بالنفس المفقودة. أقول "عمل" لأن استعادة الثقة لن تتم بمزيد من الكلام. !

فإن لم يفعل العرب، ماتفرضه عليهم ضرورات هذه اللحظة التاريخية، فيتبوأوا مقعدهم المناسب، بين شراذم وبقايا البشر. وإن كان الأمل مازال قائماً في ألاّ يكون هذا هو المصير، وإلاّ يكون عرب ١٩٩٢ هم عرب ١٩٩١ وعرب ١٩٩٠.. إلخ!

(ونضيف هنا الآن تعبيرات عرب ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨!!"

رجب البنا

الأهرام ٢٢ / ١٢ / ١٩٩١

* النمط الثامن عشر : حوارات «صور كبش الفداء»

المقصود بهذا النمط هو لجوء المتحاورين في قضية ما إلى قصر إشكالية ما أو محنة كبيرة على تصرفات وأفعال شخص مابعينة دون النظر إلى جذور الإشكالية أو النظر بشمولية للأبعاد والأسباب الأخرى التي عادة لاتكون "شخصية كبش الفداء" هي السبب في وجودها أو استفحالها فقط. ويرتبط نمط هذه الحوارات بعدة أنماط سلبية أخرى كالتي سبقت الإشارة إليها وعلى الأخص النمط رقم (١٧) الغفران العام / عدم الإكتراث). فعدم الإكتراث هنا يكمن في استسهال أطراف الحوار في تحديد السبب في شخص مابعينه. ولقد اتسمت نسبة كبيرة من تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠ بقصر كل محنة الخليج على تصرفات "صدام حسين" فعزت كل مصائب الأمة إلى هذا الشخص بعينه "فهو سبب كل المشاكل" ولم تحاول كثير من هذه المقولات النظر لهذا الشخص على أنه مجرد حالة" تألق غير عادي" لنمط الاستبداد الذي ينبغي وأن تُعالج كل صور وجوده المتعددة في مجتمعنا العربي بدلاً من انتهاج أسلوب "كبش الفداء بصوره المختلفة. وأود أن أشير هنا إلى مقال هام للكاتب الأستاذ أنيس منصور يلقي بالضوء على نمط حوارات "كبش الفداء" وينتمي هذا المقال إلى تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة في مجتمعنا العربي. وفيما يلي إشارة لبعض ماورد في هذا المقال :

"لابد أن نشعر بالخجل ونحن نشير بأصابع اليدين والرجلين نتهم وزير الري المهندس عصام راضي بحجة أنه المسؤل الأوحد عن انهيار جسر بأظافره، والذي نفخ في منسوب الماء فأرتفع. ومن المؤكد أن هذه الكارثة سوف تتكرر غداً وبعد غد!.

ماذا حدث لأي مسؤل في مصر عندما انفجرت مواسير المياه في شوارع العاصمة وطفحت المجاري وتحولت الشوارع تحت أقدام السياح وفي أنوفهم إلى برك ومستنقعات.. ماذا أصاب أي مسؤل عندما دخلت الكوليرا مصر وخرجت وكذلك الأيدز والكبد الوبائي والحمى الشوكية.. وماذا أصاب أي مسؤل عندما خرجت القطارات عن قضبانها واحترقت العنابر والمحاكم.. وماذا حدث لأي مسؤل عندما اغتيل المحجوب ومن قبله السادات ومن قبله عشرات من الكبار والصغار.. وعندما انهارات العمارت.. وعندما انقطع التيار الكهربائي ألف مرة.. وارتفعت الأسعار واختفت السلع وظهرت السموم في السردين والزيت..

وماذا أصاب أي إنسان بعد هرب أصحاب شركات توظيف الأموال؟

وماذا حدث في العامرية بالشيء الذي يجب أن نستهين به لأنه سوف يتكرر.. ولكن وزير الري عصام راضي مهما كانت قدرته وحتى فصاحته (؟!)، لايمكن أن يكون مسؤلاً شخصياً عن مليون كيلو متر من جسور النيل والترع والمصارف والبحيرات.. ولاهو مسؤل وحده عن مليار من شجيرات ورد النيل جاءت من السودان تشرب المياه وتخنق الأسماك وتعوق الملاحة: ولاهو مسؤل إذا جنحت إحدى السفن السياحية وعليها مائة أمريكي

وخمسون من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل..

ماهي حدود مسؤلية الوزير؟ ماهو الخطأ وما هو الصواب؟ (... أن هذه الحملة الشاذة على الوزير أكبر دليل على تعطش الناس إلى (كبش فداء) لما لانهاية له من الأخطاء والضيق العام والملل واليأس من أي إصلاح لأي شيء! (مواقف الأهرام ١٨ / ١٢ / ١٩٩١).

وإذ كان كاتب السطور قد حاول من خلال هذا الفصل أن يسلط الضوء على أنماط الحوار السلبية الرئيسية في التفاعلات الحوارية على المستويين الإجتماعي والسياسي في العالم العربي، فإن هذه الأنماط ذاتها تمثل سلبيات رئيسية بطبيعة الحال في عملية إقامة وتفنيد الحجج والتي سوف نستعرضها بصورة أكثر تفصيلاً في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

*** *** ***

*** ***

***

*

الفصل الحادي عشر

تحليل لملامح إقامة وتفنيد الحجج وأنماط أخرى من " خطايا الحوار التفاوضي" .

نقدم من خلال هذا الفصل دراسة لعلمية إقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض، ويتبع ذلك أمثلة توضيحية من تفاعلات الأزمة وماأعقبها تجسد الأنماط التفاعلية السلبية السابق ذكرها في الفصل الرابع بالإضافة إلى عدد آخر من هذه الأنماط السلبية التي تمثل انتهاكاً أو خللاً للقواعد العلمية لإقامة وتفنيد الحجج . ونتناول في هذا الفصل النقاط التالية :

أولاً : علاقة دراسة الملامح العلمية لإقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض بدراسة بنية وتضاريس العقل العربي :

اختار الباحث دراسة ملامح وأساليب إقامة الحجج ARGUMENT FEATURE ANALYSIS كأحدى الأدوات التحليلية التي تندرج تحت إطار منظور لغويات التفاوض (١) والذي يعتبر من أحدث مناظير علم اللغويات الاجتماعية - والذي قدمه كاتب السطور- والملائمة لدراسة تفاعلات النخبة حول أزمة الخليج للأسباب التالية :

(أ) أن هناك قدراً ضخماً من التفاعلات حول الأزمة من قبل النخبة يتمثل في دحض وتفنيد الحجج المختلفة التي أثارتها تفاعلات

أطراف أزمة الخليج إلى الحد الذي دفع عدد كبير من أعضاء النخبة إلى أن يتعامل مع تقنيات إقامة الحجج في كتاباتهم ولكن بالحدس والمنطق البديهي وليس التقتني. ولقد انعكس ذلك في تكرار ضخم لتعبيرات بل وعناوين نسوق هنا بعضها على سبيل المثال انظر الحجج الأدرنية (لسلامة أحمد سلامة ١٧/ ٩/ ١٩٩٠) "الحجج العراقية" أو أكاذيب صدام (د. إسماعيل صبري ٢٠/ ٨/ ١٩٩٠) "خلط الأوراق" (سعيد سنبل) ٢٩/ ١/ ١٩٩١، "لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية" (لزكريا نيل ٨/ ٩/ ١٩٩٠)" هل صدام هو الذي ربط الغرب بأسرائيل" (د. عبدالوهاب المسيري ٢٩/ ١/ ١٩٩١). أن كل هذه المقالات توضح الطبيعة الجدلية التي صاحبت الأزمة الأمر الذي يدعو إلى دراسة ملاح الحجج لتوضيح معالم إقامة الحجج على نحو علمي.

(ب) إن دراسة ملامح الحجج لأعضاء النخبة العربية ليمثل أكثر الطرق العلمية ملائمة للإجابة عن بعض الأسئلة الرئيسية الخاصة بإستكشاف "الخلل في بنية العقل العربي ومقولات الفكر العربي التي أفرزها، شكلاً ومضموناً ومحاولة تبين ملامح الشخصية العربية والسلوك العربي النخبوي والشعبي على السواء. فدارسة ملامح الحجج. تقدم لنا صورة لأساليب التفكير المنتهجة من قبل النخبة (REASONING STYLES) وكذلك توضح بطبيعتها حجم أو قدر

" الخلل " في عملية إقامة الحجج "FALLACIES " واتساقها في سياق مقولة أو مقولات معينة لكاتب أو متحاور ما .

(ج) إن إقامة الحجج والهدف من إقامة حجة مافي سياق جدلي كسياق الأزمة يمثل محاولة الكاتب أو المتحدث أن يستقطب الآخرين لوجهة نظره وكذلك هي محاولة لصياغة الرأي العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأي العام أو الاثنين معاً نحو اتجاه ما . ومن ثم فإن عملية تحليل ملامح الحجج تساعد على التعرف على الأساليب المختلفة الخاصة بصياغة الرأي العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأي العام أو الإثنين معاً نحو اتجاه ما .

ثانياً مدخل عام للمفاهيم العلمية الخاصة بتحليل عناصر إقامة وتفنيد الحجج :

أولاً المفاهيم :

*** ما الحُجة؟ وما عناصرها؟**

يقسم علماء اللغويات الإجتماعية المطارحات "DISCOURSE " إلى أربعة أنواع رئيسية من حيث أساليب التناول وهي :

(أ) **السرد** NARRATION : وتتمثل في سرد احداث بترتيب متتالي من نقطة إلى أخرى وتكون نية الكاتب الأساسية هنا هي إخبار القاريء بماذا حدث .

(ب) **الوصف** DESCRIPTION : وهومحاولة الكاتب ترك انطباع مالدي القاريء تجاه شيئاً ما أو شخص ماأو مكان ما وبالتالي فاسلوب التناول هنا يتضمن إخبار القاريء أو المستمع بتفاصيل مايحدث به بطريقة إما ذاتية SUBJECTIVE أو موضوعية OBJECTIVE .

(ج) **العرض** EXPOSITION وهو محاولة شرح مفهوم ما أو تحديد تعريفه أو شرح عملية ذات طابع ذهني أو فيزيقي وكذلك محاولة التعريف بالفرق بين شيئين ، أو شخصيتين أو مؤسستين وأوجه التشابه أو الإختلاف بينهما . (دون تدخل ذاتي من العارض)

(د) **الحجج** ARGUMENTATION : ويختلف أسلوب التناول هنا عن الأنواع الثلاثة المذكورة فبينما تتداخل هذه التصنيفات بطبيعة الحال إلاّ أن الحجة تكون واضحة ومتميزة عندما يحاول الكاتب طرح مقولة يحاول أن يظهر تفوقها على مقولات أخرى ويحاول في نفس الوقت إقناع الآخرين بها في محاولة منه لتغيير نظرتهم لموضوع مايكون محل جدل . وبمعنى آخر إذا كان الهدف من الثلاثة أنواع الأولى هو عرض مجموعة من الاختيارات فإن الحجة تهدف إلى حث المتلقي لها على تبني اختياراً واحداً فقط . وتتكون الحجة من ثلاثة عناصر رئيسية وثلاثة عناصر فرعية وهذه العناصر هي :

(أ) "لب المقولة الرئيسية "أو الإدعاء" "CLAIM" ويعبر هذا العنصر عن الموقف الرئيسي الذي يتخذه كاتب أو متحدث مافي سياق

جدلي. وأحياناً أخرى تسمى المقولة الرئيسية "بالخلاصة" "CONCLUSION" ويرتبط "بالمقولة الرئيسية" عنصر الدحض أو التفنيد المسبق " REBUUAL" وهذا العنصر يتجسد في كافة التعبيرات أو المقولات التي توضح حرص الكاتب على أن تتضمن مقولته الرئيسية العناصر التي تدحض مقدماً هجوم أو اعتراضات متوقعة من قبل الآخرين على "مقولته" الرئيسية" وهذا العنصر يستخدم في المقالات ذات الدقة العالية والتي تتسم بالنهج العلمي والموضوعي.

(ب) "الأرضية التي تستند إليها المقولة الرئيسية" (GROUND) ويسميها البعض الآخر من علماء اللغويات "البيانات" DATA ومن شأن هذا المكون أن يدعم المقولة الرئيسية (أو الإدعاء). والإتيان الجيد بهذا العنصر في مقولة الكاتب يعُد بمثابة قوله (نعم هناك مايدعم المقولة الرئيسية أو الإدعاء" في حجتي بخصوص الأمر).

وهناك ثلاثة أنواع من "البيانات" أو "الأرضيات" التي تدعم "المقولة" الرئيسية" وهي:

* الدليل (EVIDENCE) مثل الإحصائيات.

* القيم (VALUES) دعم المقولة من منطلق أمثلة ذات قيمة إجتماعية أو دينية متفق عليها.

* المعقولية (CREDIBILITY) دعم المقولة بالاستشهاد بمقولات أشخاص أو مصادر لها معقوليتها.

(ج) "عنصر الاتساق والربط" بين "البيانات" DATA والمقولة الرئيسية CLAIM وهو مايسمى بالـ (WARRANT).

ولقد أطلق خبراء اللغويات الإجتماعي كلمة WARRANT على هذا العنصر من الحجة لأنه بمثابة إعطاء "رخصة" أو "تصريح" للقفزة العقلية (MENTAL LEAP) من الإدعاء للبيانات والعكس.

- وقد يتم حذف "عنصر الاتساق والربط" WARRANT من الحجة أو يترك لاستنتاج المتلقي (القاريء أو المستمع). وهذا يتوقف على نوع الجمهور المتلقي للحجة إذاً فهذا هو الذي يكشف إلى أبعد حد عن رؤية الكاتب أو المتحدث "للقاريء أو المستمع. . من حيث تقبلهم "للمقولة الرئيسية" التي يطرحها أو تحفزهم بالاعتراض على تلك المقولة. إذاً فحذف هذا العنصر من الحجة من قبل الكاتب يدل على شعوره بالأمان مع المتلقين لمقولته الرئيسية ومشاركتهم الرأي فيما يتعلق بها كمن يتحدث إلى أعضاء في حزب واحد. ويعتبر وجود هذا المكون ضروري جداً في حالة السياقات الجدالية وفي حالة التعامل مع جمهور لايتفق أساساً مع المقولة الرئيسية المطروحة في حجة جدالية ما. كذلك يرتبط بهذا المكون الرئيسي بعنصر فرعي آخر وهو عنصر "التدعيم" (BACKING) أي لتدعيم عنصر "الاتساق والربط" (WARRANT) ويستخدم إذا دعت الحاجة إلى ذلك حسب سياق الموضوع ومعطياته وطبيعة الجمهور الذي يتحدث له الكاتب في

المقام الأول.

أما العنصز الفرعي الأخير للحجة فهو "العنصر الذي يعكس مدى قوة موقف الكاتب من القضية المطروحة. . أي حجم ميله وتحيزه لموقف ما وهذا ما سمى بـــ "بعنصر حدة أو إعتدالية الطرح" أو (QUALIFIER) وهذا العنصر يهدف لمقياس مدى الإنفعالية التي تظهر من معنى المقال أو بمعنى آخر حجم التحيز لعاطفة ما وبالتالي فإن هذا العنصر ممكن تسميته **بمقياس درجة التحيز**". وهذا العنصر يتمثل في ورود عبارات مثل: "مما لاشك فيه أن موقف س هو الموقف الصحيح تماماً وهو الذي يجب أن نتبناه" وهو مايعبر عن الإنحياز غير المتحفظ لموقف ما. وفي بعض الحالات قد يسبب موقف الإنحياز التام أن يستخدم كاتب ما تعبيرات التهديد والوعيد والاهانة لمن يخالفه. وهذا الأمر يمثل خللاً واضحاً في إقامة الحجج أما المستوى الأصوب فهو الطرح الموضوعي الذي يكشف عن موضوعية الكاتب وعادة مايصاحب ذلك الطرح تعبيرات وأساليب تجعل هناك مسافة بين الحدث وتفسيره بحيث يستطيع القاريء أو الملتقي الحصول على تقييم موضوعي وعادة مايتمثل هذا الأسلوب في تعبيرات مثل "هناك عدة احتمالات نرى أهمية التعرف على معطيات كل منها" أو "من المحتمل" أو "من الجائز". أو "المُرجح" "إلخ والخلاصة هي عدم استخدام أي من هذه التعبيرات التي توحي بإحتكار الحقيقية وتقرير

الأمور بحدة وذاتية في سياق حدث أو موضوع هو جدالي بطبيعته.

*** الخلل في الحجج (FALLACIES)**

- هناك عدة أمثلة تعكس وجود خلل في بناء الحجة ولقد استعان خبراء علم اللغويات الإجتماعي بتعبيرات من علم المنطق (FORMAL LOGIC) واستخدموها للتدليل على وجود انتهاكات للقواعد السليمة لبناء الحجج أو ماأسموه بنقاط الخلل أو (FALLACIES) وهي كالآتي:

*** الخلل الناتج عن استخدام عنصر «الربط والاتساق»**

FALLACIES OF WARRANTS (WARRANT)

ويندرج تحت هذا النوع من الخلل الأنماط التالية:

"هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذلك" (NON SEQUITUR)

أو كما يقال بالإنجليزية (IT DOES NOT FOLLOW) ويرتبط هذا النوع من الخلل بنمط آخر يرمي إلى "التهييج العاطفي المتعمد" حين يستخدم الكاتب أو المتحدث سلاح أثارة مشاعر البسطاء إلى الحد الذي تغطي فيه المشاعر الملتهبة على أي منطق.

☐ التعميم المتسرع (HASTY GENERALIZATION)

☐ التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره (CAUSE & DFFECT)

☐ استخدام دليل مبنى على «شخصية أو مصادر ليس لها معقوليتها، لدى المتلقين».

* الخلل الناتج عن استخدام " عنصر الدحض والتفنيد المسبق؛ (REBUTTAL) وقياس موقف الكاتب (QUALIFIER)

☐ ويتجسد هذا الخلل في عدم حرص الكاتب على تجنب الوقوع في خطأ إتاحة الكثير من الاعتراضات والنقد المتوقع لمقولته وإخفاقه في حماية حدود حجته من خلال وعيه الكامل بالموقف وردود الأفعال المحتملة وقطع الطريق عليها. وكذلك يتجسد الخلل في اندفاعه نحو تبنى موقف بصورة إطلاقية لاتعطي الانطباع بالموضوعية.

☐ الخلل الذي قد ينتج عند تقديم الكاتب "لمقولته الرئيسية" ويتجسد في الأنماط التالية:

* "الإثبات من خلال التكرار" أو الدوران في حلقة دائرية"، فبدلاً من تقديم دليل واضح لدعم المقولة الرئيسية، تقدم المقولة الرئسية على كونها الإثبات ذاته من خلال كلمات مرادفة وتكرار فقط.

* " تجاهل السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما (IGNORING THE QUSETION) : والمقصود بذلك هو اخفاق طرف من الأطراف في استيعاب وتحديد ماهو السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما إما عمداً أو سهواً والتعامل مع أسئلة فرعية .

* "نقل عبء الإثبات علي الآخرين"

SHIFTING THE BURDEN

أي نقل عبء إثبات المقولة الرئيسية في الحجة على الآخرين، أي كما في القول " لقد تمكنت قواتنا من إسقاط خمسين طائرة للعدو ونتحدى كل هؤلاء الذين يزعمون أن طائراتهم قد عادت سالمة . أو كما في قول أحد المسؤلين: "أن الإجابة عن هذا التساؤل قد أجاب عليها السيد فلان في خضم تصريحات له عن هذا الموضوع!

خلل الإيحاءات الناتجة من ثنائية المعاني EQUIVOCATION

ويتجسد الخلل هنا إذا مابنيت حجة ما على معنى مفهوم واحد يحتمل وجود معنيين واضحين له وأُخذ على كونة معنى واحد فقط دون النظر إلى إحتمال قصد المعنى الأخر كما سنوضح في تحليل العينات في الجزء الثاني من هذا الفصل .

☐ الخلل الناتج عن التشهير بشخص مادون التعامل الموضوعي مع مايُطرحه من مواقف أو مقولات . (لمزيد من التفاصيل بخصوص

عناصر ومفاهيم الحجج النظرية انظر على سبيل المثال) DUBBOIS وآخرون ١٩٨١ - ورايك RIEKE وسيرلوز SILLARE ١٩٨٤ .

ثالثاً : أنماط أخري تجسد خطايا الحوار وتحليل لأوجه الخلل في إقامة وتفنيد الحجج :

* النمط التاسع عشر : حوارات الحجج الأفقية» " PARATAXIS "

هناك نوعان رئيسيان من أساليب إقامة الحجج- الأول هو مايسمى بالحجة الأفقية أي بتكرار العبارات بهدف التعبئة وهذا يأتي عادة في المواقف الحماسية واللحظات الدرامية وهي الأشهر استخداماً في أساليب الإقناع التي تستخدم في التفاعلات العربية إلاّ انها ذات صبغة عالمية أيضاً فلقد استخدمها تشر شل في خطاب الحرب ضد الألمان. أما الحجة الرأسية أو (SYLLOGISM) فهي تتسم بتسليط الضوء على المقولة الرئيسية للطرح المكتوب أو المسموع في بداية الطرح ومايأتي بعد ذلك يكون بمثابة تركيز ودعم للنقطة الرئيسية من خلال أدلة كالتي أشرنا إليها في الجزء الأول من هذا الفصل وتتسم هذه النوعية من إقامة الحجج بخلوها من التكرار كاسلوب للأقناع . . أي عكس الحجة الأفقية التي تتسم بالتكرار واستخدام الموسيقي اللغوية . وأمر الموسيقي اللغوية يختلف من ثقافة إلى ثقافة ومن فرد إلى آخر

ولكن للموسيقي اللغوية وقع خاص لدى المستمع العربي كما نلاحظ ذلك جميعاً وعلى مستوى النخبة والعامة. . انظر إلى عناوين المقالات والأبحاث "الحديثة جداً" عن الأزمة لتجد الآتي **"حرب الكلمات وكلمات الحرب"** لمراد الدسوقي الأهرام ١٦/ ١١/ ١٩٩٠ و **"أعلام الأزمة وأزمة الأعلام"** (سيف الدين عبد الفتاح "بحث في ندوة حتى لاتنشب حرب عربية جديدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ديسمبر ١٩٩١). . **"خطاب الأزمة وأزمة الخطاب"** (للسيد ياسين ١٩٨٦)" **وحرب اللاحرب للطفي الخولي** ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٠" **"وانكسار الثورة وانتصار الثروة "**لكاتب عربي آخر. أن أمر استخدام لغة المؤثرات الموسيقية في تفاعلات النخبة له جذور ضاربة في تاريخ الكتابة "الموسيقية" العربية. على سبيل المثال لا الحصر تتأصل "الموسيقي" في عناوين قديمة لابن خلدون مثل: **"الشفاء السائل في تهذيب المسائل"** وامر الموسيقي في اللغة أمر بديع بلاشك خاصة إذا انسجمت الموسيقي مع أسلوب التفكير والموضوعية ولكن خطورة هذا الأمر تكمن فقط في هؤلاء خاصة إذا كانوا من السياسيين مثل صدام حسين الذي يكون شاغلهم الأكبر هو الموسيقي اللغوية فيبد أون تناول فكرة ما لمجرد الموسيقى أساساً أي موسيقى الكلام وليس لمجرد تناول كافة أبعاد الفكرة بأسلوب علمي وبعقلية السياسي المحنك.

لقد تناول سرد التفاصيل المتعلقة بهذين النوعين الرئيسيين لإقامة الحجج (أي الحجج الأفقية والحجج الرأسية) بعض الباحثين من علم اللغويات الإجتماعية مثل باربراكوش BARBRA (١٩٨٣) وبرباجونستون (١٩٨٥) JOHNSTONE حيث قامت هذه الباحثة بتحليل عينات من كتابات بعض الأدباء العرب مثل طه حسين على وجه الخصوص وكذلك كتابات الإنشاء للطلاب العرب الذين يدرسون الإنجليزية وذهبت إلى القول بأن الحجة الأفقية هي خاصية من خصائص اللغة العربية وهي وسيلة الإقناع التي ينتهجها المتحاورون العرب وإن الحجة الرأسية هي في واقعها تمثل النمط الغربي في عملية إقامة الحجج وهو ماعرف بالنمط "الأرسطوطالي" (السولوجيزمي) SYLLOGISM ولقد فند كاتب هذه السطور هذه المقولات بشيء من التفصيل (انظر حسن وجيه ١٩٨٩). ولكن ماأود أن أسلط الضوء عليه هنا هو أن كل من نوعي الحجة الأفقية والحجة الرأسية لهما جذورهما في الفكر العربي قديمه وحديثه وأن ذهاب بعض الباحثين إلى قصر الحجة الأفقية على العرب على كونها طريقتهم في الإقناع (على أساس أن ذلك من خصائص اللغة العربية من منطلق تأييدهم لفكرة أن اللغة هي التي تحدد الأنماط الفكرية لمجموعة ثقافية) ماهو إلا نوع من التبسيط الزائد الذي ينقصه الدقة العلمية فلقد ثبت أن كل من الفكر واللغة يتداخلان وإن الفكر قد يؤثر على استخدام اللغة أو العكس والأمر منوط بعوامل متعددة أكثر

تعقيداً بالفرد ذاته وتكوينه وتعليمه ومدركاته . . .

ولكن الحقيقة التي لاشك أنني قد توصلت إليها من خلال تحليل كم هائل من البيانات المتعلقة بالأزمة وغير سياقات الأزمة تشير إلى شيوع الحجة الأفقية كنمط إقناع رئيسي ولكن ليس مرجع الأمر لطبيعة اللغة العربية كما وصفه بعض الباحثين الغربيين بل يرجع أساساً لفقدان اختيارات أدوات الحوار المناسبة وهو أمر يتعلق بفراغ في البنية التعليمية في الوطن العربي وكذلك غياب الديمقراطية حيث يسود استخدام الحجة الأفقية بغرض التعبئة أساساً وبغرض قمع التفكير المنطقي في أحيان كثيرة. إن شيوع أساءة استخدام الحجج الأفقية في سياقات الحوار التي لايتطلب السياق استخدامها ربما يكون هو السبب الذي دفع باحث مثل جون لافين JOHN LAFFIN (1975) إلى أن يقول " إن علينا عندما نتعامل أو نتحدث مع العربي بالصبر، علينا أن نستمع، وعقب أن ينتهي من كلامه علينا أن نعيد تركيب ماقاله لنستطيع أن نفهم ماذا قال " . ورغم أن هذه المقولة بها مابها من تعميم غير جائز علمياً إلاّ أنه مع الأسف هناك وجود لعدد كبير من المقولات التي تنطبق عليها مقولة لافين. لقد اتسم الخطاب العراقي الرسمي بشيوع "إساءة استخدام كل خصائص الحجة الأفقية" حيث لايصعب على المراقب أن يجدكماً هائلاً من الأطناب والتكرار اللاموضوعي والاعتماد على موسيقي اللغة أساساً دون التعمق الكافي في سياقات

ما يحدث مع التركيز العالي على النغمة الإنفعالية والقفز من موضوع إلي موضوع دون ترابط منطقي يعالج السبب وأثره، الأمر الذي جسد بدوره النمط التالي في تفاعلاتنا :

* النمط العشرون : حوارات «خلط الأوراق» :

لاشك أن هذا التعبير "خلط الأوراق" كان من أكثر تعبيرات تفاعلات الأزمة شيوعاً وكان قبل الأزمة ولايزال من بعدها من الأنماط السلبية في تفاعلاتنا. والإشكالية من ناحية تناول الأمر علمياً هنا أن يقوم أحد المتحاورين باختيار لُب مقولته الرئيسية أو "الإدعاء" "CLAIM" دون النظر إلى السياق الأشمل لهذه المقولة وبالتالي يفتقد اختيار "الادعاء القوى ويفتقد كذلك تقديم "التفنيد المنطقي والمُسبق لما قد يُتوقع من هجوم "REBUTTAL" وبالتالي تتسم حُجته بالخلل حيث يفتقد الكاتب الذي تخلو حجته من عنصر الدحض والتفنيد المسبق لمعالجة السبب وأثره وبالتالي تكون حجته نوع من التبسيط الزائد للأمور. ولقد تجسد نمط خلط الأوراق والذي صاحبه أنماط "التأطير والمؤامرة" في تصارع عدة مقولات رئيسية تتجاهل السياق الأشمل والترتيبي للأحداث وهي :

(١) خلط قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الأجنبية على الأرضي المقدسة.

(٢) خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين.

وفي بعض الأحيان الأخرى خلط قضية العدوان على الكويت بقضية تحرير فلسطين.

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى نستعرض من بيانات "تصارع الحجج" مقالتين الأولى لسعيد سنبل والثانية للأستاذ خالد محمد خالد وفيما يلي نص مقال سعيد سنبل بعنوان "خلط الأوراق" (الأخبار ٢٩/ ١/ ١٩٩١).

خلط الأوراق

تشهد الساحة العربية، في هذه الأيام، محاولات يائسة لخلط الأوراق، وتزييف الحقائق، وقلب الأوضاع، وتصوير الأمور على غير حقيقتها. والذين تعودوا، واحترفوا خلط الأوراق، يحاولون هذه الأيام تبرئة صدام حسين من جريمة الدمار والخراب التي لحقت بالعراق، وجيش العراق، وشعب العراق! إنهم يتباكون اليوم، على القوة العسكرية العراقية، التي يجري تحطيمها وتدميرها.. ويذرفون الدمع على العراق الذي كان سنداً للأمة العربية، فأصبح معرضاً للتفكيك والبعثرة!

وهم يصرخون الآن بأعلى الصوت: إنها مؤامرة أمريكية صهيونية، لإخراج العراق من الساحة العربية، وبذلك تخلو الساحة أما إسرائيل، فتنفذ مخططاتها، وتحقق أحلامها، وتتمكن من إقامة دولة إسرائيل الكبرى م النيل إلى الفرات اومع الافتراض، أو مع التسليم بصحة هذه الأقوال.. يبقى السؤال: متى جاءت القوات الأمريكية إلى المنطقة؟ وكيف جاءت؟

هل جاءت قبل غزو الكويت؟ هل جاءت بناء على دعوة من إسرائيل؟

أليس إحتلال العراق للكويت، وغزوة واغتصابه، وتشريد أهله وسكانه، هو الذي جاء بالأمريكيين، وجاء بقوات الحلفاء إلى المنطقة؟!

إذن .. إذا كانت هناك مؤامرة، كما يردد من يجيدون خلط الأوراق.. فإن احتلال الكويت هو أول خيط من خيوط المؤامرة! ونفترض أن أمريكا تواطأت مع إسرائيل لتحطيم القوة العسكرية للعراق.. ألم يتنبه صدام إلى هذه المؤامرة؟ ألم يحذره كل الزعماء المخلصين وفي مقدمتهم الرئيس حسني مبارك من تدمير بلاده، وتدمير جيشه؟

لقد حرص صدام بإصرار غريب على خوض الحرب.. ومعنى هذا أنه أصر على تحطيم جيشه، وتدمير بلاده! إن المسؤل الأول عن تدمير الجيش العراقي، هو صدام حسين.. ويشاركه المسؤلية، الذين سارعوا إلى بغداد، ووقفوا ويقولوا له بأعلى الصوت: انسحب من الكويت.. حتى لاتحطم جيشك، وتدمر بلادك.

ولكنهم للأسف، لم يفعلوا.. شجعوه على الخطأ.. وجاءوا اليوم يتباكون.. وغدا يحاسبهم التاريخ.

أما المقالة الثانية عن نفس القضية فهي للأستاذ خالد محمد خالد والذي اتسم بحدة الاصطدام المباشرة والشديد مع هؤلاء الذين يخلطون أوراق قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الأجنبية على الأرضي المقدسة ويتجاهلون السبب الرئيسي في وجود القوات الأجنبية وكان هذا المقال بعنوان "ليس المشكلة في وجود القوات الدولية بل الكارثة في غيابها" (الأخبار ١٢/٨/ ١٩٩٠) وفيما يلي هذا الجزء من المقال:

ليست المشكلة في وجود القوات الدولية

.. بل الكارثة في غيابها

كنت أستطيع أن اختار لهذا المقال عنواناً أكثر دبلوماسية، ولاينقصه التنكر وراء احد من الأقنعة التي تغطي اليوم وجوه الذين يخفون في أنفسهم ما الله مبديه.. كنت أستطيع ذلك، حتى أقطع – على الأقل– الطريق على المهرجين والمشعوذين الذين سينادون حمقاهم قائلين:

انظرو.. هذا يرحب بالأستعمار الأجنبي!! وها هو ذا لايرى بأساً في جيوش الكفر التي زحفت على بلادنا.. بل يرى الكارثة ماثلة فيما لو أنهم تقاعدوا عن المجيء..!! أجل كنت أستطيع.. ولكن ماذا سيكون الفارق بيني وبينهم أنذاك؟؟ كان الكذابون والمضللون سيزيدون بي واحداً. يضاف إليهم ويأخذ مكانه الهابط بينهم.. وكنت سأكون هارباً جديداً من مواجهة الحقيقة. ومناصرة الحق اومن أجل ذلك اخترت الرضوخ للصدق يارجال .. أثرت القول بأن الكارثة في غيابها عن الميدان! اودعوني باديء ذي بدء أرسل التحية مضاعفة لأولئك الجنود البواسل، الذين يواجهون خطر الموت في أقسى صوره، وأشدها نذالة ونكراً..!!

أما بخصوص خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين فنستشهد بمقال الأستاذ سلامة أحمد سلامة بعنوان "حجج أردنية" حيث يتناول الحجج الأردنية كما جاءت على لسان المسؤلين بالأردن في ندوة قدمتها إحدى شبكات الأذاعة الأمريكية. وفيما يلي نص المقال:

حجج أردنية

"في ندوة إحدى شبكات الأذاعة الأمريكية سئل رئيس تحرير إحدى الصحف الأردنية عن الجانب الذي تؤيده صحيفته في النزاع الناشب في منطقة الخليج.. مع الكويت أم مع العراق؟

وكانت إجابة الصحفي الأردني بالغة الغرابة.. فقد أكد أن الأغلبية الكبرى من الرأي العام في الأردن تؤيد العراق وتقف إلى جانبه.. لأن العالم العربي سئم استمرار الظلم الواقع عليه، للحماس والسرعة والاندفاع الذي ابدته أمريكا وهي تسعى إلى تنفيذ قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة ضد العراق.. فترسل الأساطيل والجيوش والطائرات، بينما تقف موقف عدم الاكتراث والتهاون من نفس القرارات التي أصدرها مجلس الأمن ضد إسرائيل منذ عشرات السنين.. مع أن الإحتلال هو الإحتلال والضم هو الضم.. أما وجه الغرابة في هذه الحجج التي نسمع شيئاً قريباً منها في بعض الدوائر الحزبية في مصر، فهي أنها لم توضح نوع العلاقة التي تربط بين العدوان على الكويت والعدوان على فلسطين، ولم تجب على السؤال الملح وهو: وماذنب الكويت في كل هذا؟ ولابد أن نعترف بأن هذه الحجج التي تساق بشكل أو بأخر على ألسنة المسؤلين وغير المسؤلين في الدول العربية التي اتخذت موقفاً متخاذلاً من أدانة الغزو العراقي للكويت، قد تلقي هوى في نفوس قطاعا واسعة من عامة الناس في بعض أنحاء العالم العربي، تعاني من مرارة الأهمال والقمع والفقر، وتختلط عليها المفاهيم.. فلاتفرق بين إستيلاء حاكم عربي على دولة

عربية مجاوه شقيقه، مدفوعاً بعوامل الجشع والطمع وأحلام العظمة، وبين إغتصاب إسرائيل لحقوق الشعب الفلسطين، مدعومة بقوى عالمية كبرى وفي ظلك صراعات تاريخية وحضارية بين قوميتين، لايتحكم فيها فرد واحد أو دولة واحد.

غير أن خطورة مثل هذه الحجج التي تبرر في الوعي الشعبي العام استيلاء دولة عربية على دولة عربية أخرى، هي أنها تبرر في نفس الوقت استيلاء إسرائيل على فلسطين وتجعل العجز عن مقاومة الغصب الإسرائيلي مبرراً للاستسلام لكل أشكال الغصب والعدوان.

وحين قال الشاعر العربي القديم وظلم ذوي القربى أشد مرارة.. فقد كان يعني بذلك، أن الذي لايجزع ولايضيق بظلم ذوي قرباه، لن يكون أكثر جزعاً وضيقاً بظلم الآخرين له.. لأنه سوف يفقد القدرة على مقاومة الظلم.. وقد بلغت شعوب عربية كثيرة مرحلة العجز عن مقاومة الظلم الداخلي، فكيف يتسنى لها أن تقاوم الظلم الخارجي؟ وخير مثال لذلك مايحدث لشعب العراق نفسه.

سلامة أحمد سلامة

(الأهرام ١٧ / ٩ / ١٩٩٠)

* النمط الحادي والعشرون: حوارات سوء استخدام «سلطة النص»

لاحظ بعض خبراء علم اللغويات والاجتماع والأدب والفلسفة على مستوى العالم العربي أن الثقافة العربية هي ثقافة " نصية " انظر سيزا قاسم ١٩٨٨ وحسن حنفي (١٩٨٨) وتنين TANNEN (١٩٨٦) وغيرهم أن الثقافتين الإيرانية والتركية هما أيضاً ثقافات "نصية" والمقصود بتعبير الثقافة النصية هو أن يكون هناك نص رئيس هو " النص الأم " المولد لعدد لاحصر له من الظواهر النصية (سيزا قاسم ١٩٨٨ : ٣٢). ومن واقع الثقافة العربية نجد أن القرآن الكريم هو ذلك النص المحوري الأساسي الذي يمثل "سلطة توجيه وتقنين وتشريع" (حنفي ١٩٨٨ : ١٢).

وبتحليل تفاعلاتنا الإجتماعية اليومية نجد عشرات الأمثلة التي تجسد نمط "سوء استخدام سلطة النص" حيث يتجسد ذلك في هذا الكم الكبير من شركات توظيف الأموال التي انتهزت فرصة تأثير سلطة النص القرآني على جموع المودعين وأساءت إلى استخدام هذه السلطة بماقامت به من عمليات نصب وسرقة وهروب وؤسائها من البلاد كما ثبت ذلك في العديد من التحقيقات. ولم تكن تفاعلات الأزمة التي جسدت نمط "سوء استخدام سلطة النص" جديدة على الواقع العربي فلقد استحضر الخطاب الرسمي العراقي كما ضخماً من

النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وإلى الحد الذي جعل صدام حسين يؤكد على الانتساب إلى الدوحة المحمدية القريشية وأن الله سبحانه وتعالي قد جعله منوطاً بأداء دور قيادي خاصاً لمحاربة الفساد وإقرار العدل ومن هنا فلقد أستحضر شعارات الجهاد والدفاع عن المقدسات ومنازلة الباطل وكان يختتم كل خطاباته بتعبير " وليخسأ " الخاسؤن " ذلك التعبير الذي لازم كذلك نهاية أي بيان من البيانات العسكرية وغير العسكرية التي وردت بالخطاب الرسمي العراقي. ولقد استمر الخطاب العراقي على هذا النحو حتى عندما بدأ النظام يفكر في الانسحاب فلم يجعل المفاوض العراقي القرار على أنه قد جاء من شخص الرئيس صدام بل أنه جاء من خلال قصة أوردها الرئيس العراقي عن "الحلم الذي يظهر فيه النبي ﷺ لصدام حسين ليخبره بأن صواريخه غير موجهة إلى المكان الصحيح" . وكان هذا متضمناً في منشورات وزعتها القيادة العراقية على أفراد القوات في العراق والكويت الأمر الذي تم تفسيره حينذاك على أنه نوع من التمهيد النفسي لإحتمال انسحاب العراق من الكويت (برغتبه).

ولكن الذي يلفت النظر بصورة أكبر هو كيف أن هذه الجماهير قد خُدعت "بإساءة استخدام سلطة النص" وبأكذوبة الجهاد الإسلامي ومنازلة الكفار التي رفعها صدام حسين وبعدم جواز الاستعانة بهم من قبل المسلمين. أن هذه الظاهرة لاتزال بحاجة إلى دراسة أخرى فالأمر

الذي شاع بين جماهير الشارع العربي والإسلامي حينذاك أن ماضي صدام العلماني وجرائمه ليست شرطاً في إثبات أنه لايجسد صورة البطل الذي يدافع عن الحق وينازل الباطل وأنه مسلم مؤمن حقاً. ودليلهم هو ماكان يتخذه من مواقف أثناء تفاعلات الأزمة إلى الحد الذي شبه به في إيران على وجه الخصوص بأنه " خالد بن الوليد" الذي كان من المشركين وأصبح سيف الله المسلول، ويقول الكثيرون.. " أنه تاب فلما لانصدقه وأنه من المنافي لتعاليم الإسلام أن نكذب مايقوله أحد خاصة بشأن التوبة فالله وحده هو الأعلم بالسرائر. الأمر الذي لايختلف عليه أي مسلم. ويذهب البعض الآخر إلى أنه حتى إذا كان صدام جائراً وظالماً وليس "بخالد بن الوليد" فشره أهون من الكفار الذين جاءوا إلى الأراضي العربية وبالتالي وجب الجهاد ضدهم. ولقد فند الأستاذ فهمي هويدي في مقاله له بعنوان " خطاب في الكفر والظلم بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٩١ " هذين المفهومين (الكفر والظلم) من الناحية الإسلامية. إن مانخلص إليه هو أن إساءة استخدام سلطة النص في الثقافة العربية الإسلامية لايزال من الأنماط ذات الواقع التأثيري الكبير على جماهير الشارع العربي والإسلامي. وهذا ماأكدته تفاعلات أزمة الخليج وكذلك العديد من تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة.. الأمر الذي يستلزم مزيد من التأميل والتدبر لواقع إشكالي جم خطير.

* النمط الثاني والعشرون: حوارات "التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره"

ويرتبط هذا النوع من الخلل في إقامة الحجج والذي أشرنا إليه بإيجاز سابقاً عند تقديم العناصر العلمية للحجج بالجزء الأول من هذا الفصل بمفهوم ذاتية المتحاور الذي لايستحضر القدر الكافي من التجرد الموضوعي للحكم على الأمور بالقدر المطلوب من الدقة بل يترك لحيز الذاتية الموجود بداخل كل منا المجال الأكبر لتفسير الحدث ولقد وقع عدد كبير من أعضاء النخبة العربية في هذا المطب وهناك أمثلة في بنك البيانات الخاص بهذه الدراسة التي تسلط الضوء على هذا النمط ومن الأمثلة الدالة مقال كتبه د. محمد عابد الجابري أثناء فترة الأزمة في جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٩١ بعنوان «كلام... **الآن فقط أصبح له معنى..**»! وفيما يلي تحليل لهذا المقال الذي سوف نتناوله من منظورين الأول هو تحليل لمسار الموضوعات به لتحديد المقولة الرئيسية والثاني هو توضيح لملامح الخلل في إقامة الحجة به.

***

أولاً : تحليل الموضوعات بالمقال وتحديد المقولة الرئيسية (CLAIM) :

يوضح الجدول التالي (رقم ٢) مسار موضوعات المقال :

الموضوع(١)	«مقدمة لتعريف التاريخ طبقاً لوجهة نظر الكاتب بهدف تقديم لحظة التفاعلات الحية في أزمة الخليج»
الموضوع (٢)	«اللحظة التاريخية الحية لتفاعلات الأزمة قد بدأ في ٢٥ يونيو ١٩٩٠ أي قبل دخول القوات العراقية الكويت بخمسة أشهر وهي ندوة أقيمت في بغداد لإحياء ذكرى مشيل عفلق مؤسس حزب البعث الاشتراكي الحاكم في العراق»
الموضوع (٣)	«موجز لخطبة مسؤول عراقي في الندوة وكلامه عن المشروع القومي العربي التحرري» .
الموضوع(٤)	«نص كلام المسؤول بخصوص : - العلاقة مع الغرب . وعلاقة العراق مع الدول العربية وعلاقة العرب الأخرين بالغرب . - تقييم لمرحلة ١٩٦٧ . - ممارسات الغرب داخل المنطقة .

الموضوع (٥)	مضمون الحوار بين الحاضرين والمسؤول العراقي : - «تذكرة الكاتب لمقولتين عراقيتين الأولى أن العراق سيحرق نصف إسرائيل في حالة أي اعتداء لها على المزدوج الكيمائي . والمقولة الثانية (أن فلسطين آتية إن شاء الله)» . - تعقيب من الكاتب على المقولتين : - تناول قضية الديمقراطية .
الموضوع (٦)	تفسير الكاتب لحدث غزو العراق للكويت بناء على معطيات الموضوعات السابقة الذكر خاصاً في إطار تصريح المسؤول العراقي وتصريح صدام في ٢٥ يونيو . (أن فلسطين آتية إن شاء الله) .
الموضوع (٧)	وهي آخر فقرة في المقال نصها كالآتي : المقولة الرئيسية الآن ، والآن فقط ، بعد اندلاع الحرب أخذت أعطي لكلام المسؤول العراقي كامل معناه . . لقد أصبحت أرى فيه الآن كلاماً جديداً بل مفتاحاً لاعادة كتابة تاريخ المسلسل الذي أدى إلى ماجرى ويجري الآن (فلنرجع القهقري) إذن ، بعد أن وضعنا ارجلنا على موقع يمكننا من قراءة الأمور الماضية والحوادث " الغابرة " قراءة أخرى . . قراءة تعطي معنى آخر لدخول القوات العراقية للكويت . إذ يبدو الآن أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثرواتها بل من أجل تدشي العمل في مشروع تحرري عربي . . جديد هو الذي شرحه المسؤول العراقي .

ثانياً : ملامح الخلل في إقامة الحجة :

١- نمط «هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذاك والتبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره :

ويتجسد هذا النمط في أن الكاتب قد ربط في إدعائه دخول القوات العراقية للكويت بالآتي :

(أ) تدشين العمل في مشروع تحرري عربي جديد .

(ب) مايفيد أن غزو الكويت خطوة لتحرير فلسطين .

وهنا نقول بأن هذا الإدعاء يفتقد إذن لوجود عنصر الدحض المسبق REBUTTAL الذي حدثنا عنه سابقاً والذي يتمثل في الآتي :

إن الكاتب لم يتعرض في مثل هذه القضية الجدلية إلى قضية عزو بلد عربي لبلد عربي آخر وهو جوهر الأمر في سياق الحديث عن المشاريع القومية العربية واقتضب الأمر كله بالكلمات التالية :

إذ يبدو أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثروتها بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربي جديد هو الذي شرحه المسؤل العراقي .

(ج) تأطير الحدث :

نجد أن " نمط تأطير الحدث " في شكل مادون الآخر (النمط الثاني

الذي تحدثنا عنه) في الفصل الخامس يتجسد في أسلوب الجابري الذي قدم تفسيره الأحداث من خلال سياق تاريخي طويل كما يتضح ذلك من نص مقالته إلاّ أنه في سرده للتاريخ قد تجاهل السؤال الخاص بمطامع العراق التاريخية لتكوين إمبراطورية عراقية من ناحية وهو ما أعلنه العراق صراحة من أن الكويت جزء منه وهو "المحافظة" رقم ١٩ " فلماذا يكون المشروع "تحرري عربي" كما يقول الجابري ولايكون "توسعي قطري!!" كذلك تجاهل الكاتب في تفسيره لموضوع "فلسطين الآتية إن شاء الله" تاريخ الصراع العربي الإسرائيل القريب. . حيث أن هذا التاريخ القريب يثبت عدم جدية العراق في التصدى لإسرائيل سوى بالعبارات والكلام الطنان فقط فالواقع يقول بأنه عندما ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراق بتحدى سافر واستفزازي لم يتحرك للعراق حينذاك ساكناً. . ألم يرى الكاتب لهذا الحدث هو الآخر "معنى" إن هذه النقاط توضح أن الكاتب قد أسقط من عناصر حجته عنصر الاتساق والربط WARRANT وهو ماعرفناه على كونه رخصة للقفزة العقلية (MENTAL LEAP) من الإدعاء للبيانات أو العكس.

٢- معقولية أو مصداقية من نستشهد بهم في سياق حجة ما.

من عناصر الخلل في إقامة حجة جدلية أن يستشهد متحاور بمقولة شخصية غير ذات مصداقية للطرفين المتجادلين. وهذا مافعله الكاتب

حين استشهد بمقولة " المسؤول العراقي " كما ورد في الإدعاء الرئيس بالمقال .

كذلك من أمثلة تفاعلات الخليج التي أوضحت بما لايدع مجال للشك هيمنة نمط " التبسيط الزائد للسبب وأثره " "وإن هذا الأمر ليس شرط لذلك " ماذكره الملك حسين عن أن موقف مصر من الأزمة كان من منطلق الانتقام من العراق لموقفها في إخراج مصر من الجامعة العربية عقب عقد اتفاقيات السلام . الأمر الذي أن دل عن شيء فهو يدل عن تجاهل ملك الأردن ميكانزمات في غاية التعقيد ليس لها علاقة بمفهوم "الانتقام الضيق" ويكفي حجم الرسائل العلنية وغير العلنية للرئيس مبارك التي إذا ماقرأت الآن بموضوعية أوضحت أن مصر قد أرسلت كافة الرسائل الواضحة للغاية التي كانت تعكس حرصها الكبير والبين على احتواءالأزمة والحفاظ على قوة العراق لصالح الأمة العربية وكذلك تحرير الكويت ، إن هناك رسالة بلغت ٥٦ صفحة بعث بها الرئيس مبارك للرئيس صدام ينبه فيه إلى العوامل المعقدة التي تحيط بالموقف والتي كان ينبغي وأن يتعامل معها الرئيس العراقي بمسؤلية وجدية ومنطق .

***

*** النمط الثالث والعشرون: «حوارات خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى» "EQUIVOCATION" :**

ويتمثل هذا الأمر في أن تستند حجة متحاور ما على معنى واحد لمفهوم أو مصطلح قد يحمل استخدامه معنى مختلف بين أعضاء المجموعة الثقافية الواحدة أو من مجموعة ثقافية لأخرى وماأكثر الأمثلة التي تحدث في تفاعلاتنا اليومية في العالم العربي والتي توضح اختلاف معنى كلمة مابين الجماعات أو البلدان العربية .

كذلك هناك مفهوم معروف في كل لغات العالم مفاده أن الكلمات القديمة تكتسب معاني مختلفة وجديدة في أحيان كثيرة ، فعلي صعيد التفاعلات في المجتمع المصري نجد كلمات "باشا" أو "أفندي" على سبيل المثال كانت تعني لقب إجتماعي له معناه المحدد قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٨٢ وأصبحت لاتعني نفس الشيء عقب الثورة ثم اكتسبت معنى جديداً في المجتمع يتسم أحياناً "بالأفراط في إطلاق هذه الألقاب في التفاعلات الإجتماعية بهدف الاحترام المفرط للبعض وأحياناً أخرى على سبيل التهكم ومن أشهر هذه المعاني التي استجدت على هذه الكلمات والتي تفيد التهكم ماذكره الرئيس السادات في أحد أحاديثه حين كان يهاجم بعض الكتاب الذين كانوا ينتقدونه حين وصفهم بتعبير " الأفنديات" دول "اللى لايفقهوا شيئاً" إلخ هناك عشرات من الأمثلة الأخرى والمراد قوله هنا أن هناك

بعض المفاهيم التي كان لها معنى في اللغة والقديمة قد أصبح لها معنى آخر في الاستخدام الحديث للغة ومن هنا نسلط الضوء على كلمة "**الصليبيين**" فالكلمة كان لها معنى واضح في أثناء فترة الحملات الصليبية على المنطقة العربية . . وإلى الآن لاتزال هذه الكلمة لها وقع الحملة الصليبية ولكن بقدر ضعيف، فالمعنى الآن في مجتمع اللغة الإنجليزية وعلى وجه الخصوص في المجتمع الأمريكي يعني أي مهمة يقوم بها شخص ماوليس الأمر الآن بمعنى "حملة صليبية" بدرجة المعنى القديم للكلمة. ففي المجتمع الأمريكي كنا نسمع مسيحي يقول لغير مسيحي "GOOD LUCK IN YOUR CRUSADE"

والترجمة هي أتمنى لك حظاً موفقاً فيما تريد عمله" أو في "حملتك" أو في "مساعالك" . . ومن هنا فإن بيان الإخوان المسلمين في الأردن عندما أخذ هذه الكلمة التي وردت في النيوزويك (بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٩٠) لوصف الحملة الأمريكية في الخليج على كونها الدليل الدامغ على أن مايحدث في الخليج هو حرب صليبية بحته من منطلق المعنى القديم لكلمة CRUSADE يعتبر أمراً غير دقيق من وجهة نظر تجنب عوامل الخلل في الحجج . . وهذا لايمنع أن يعتقد الأخوان بالأردن أو أي إنسان أُخر أن أمر الحملات لم تنتهي ضد العرب والمسلمين ويكفي ظهور جماعات المسيحيين الصهاينة التي تنادي إلى الآن بهدم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودي

والأدلة على هذا المقولة معلنه وواضحه عند هؤلاء الصهاينة المسيحيين (انظر لمقال كاتب هذه السطور بخصوص هذا الأمر في سياق الحديث عن ديناميكيات الصراع العربي الإسرائيلي (حسن وجيه ١٩٨٧).

ولكن مأأود أن أقوله أنه في سياق إقامة الحجج ينبغي وأن يتسم الدليل بالدقة حتى تكون الحجة سليمة دون خلل وهذا نوع من الأمانة فإذا كانت كلمة "CRUSADE" قد استخدمت لوصف الحملة الأمريكية بتاريخ ٢٠أغسطس ١٩٩٠ فإن ذات نفس الكلمة قد استخدمت في مجلة التايم بنفس التاريخ (٢٠ أغسطس ١٩٩٠) لوصف غزو العراق للكويت على كونه "حملة صدام " SADAM,S CRUSADE (*) وكذلك وصف صدام على أنه CRUSADER (**) فهل نقول هنا أن المعنى هو أن صدام "صليبي" !! المعنى هو "أنه رجل ذويقين ما" أو "قائد حملة يقينية ما".

(*) نص الجمل كما رد في مجلة التايم الأمريكية.

(١) " SADAM ' S CRUSADE WILL NOT SUCCEED "

(**) أي أن حملة صدام لن تنجح.

(٢) U.S HAS THE CAPCITY TO MASTER THE INTERNATIONAL EFFORT TO STOP A VAIN A MORAL CURSADER LIKE SADAM.

والمعنى هو أن للولايات المتحدة القدرة على أن تحشد الجهد الدولي المطلوب لوقف هذا / ذلك المحتال عديم الخلق " الصليبي!! " عند حده.

مثال تطبيقي

والمثال الثاني يوضح تحليل كامل لعناصر الحجة مع تسليط الضوء على مصادر الخلل بها وملامح لبعض خطايا الحوار التفاوضي التي تعرضنا لها.

أولاً : نص العينة :

إخوان الأردن

بدأت الحرب الصليبية الثامنة

أصدرت الأخوان المسلمون بالأردن بياناً ملتهباً، قالوا فيه : لقد جاء يوم الحساب يابوش ويابيكر وياميجور، وصنع الله لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب، ومهرت في النزال وجاء يوم أعز فيه الله الإسلام ورفع راية التوحيد وقد وشحها شعار "الله أكبر" . .

وأكد البيان أن الأمريكان قد أعلنوا عن بداية الحرب الصليبية الثامنة كما جاء في النيوزويك قبل أسبوعين، وحشد الصليبيون واليهود جنودهم وبوارجهم، وجاءت جميع أجناسهم من ثماني وعشرين دولة . .

وأشار بيان الأخوان المسلمين بالأردن، إلى أن الحرب لم تبدأ منذ الثاني من أغسطس الماضي، ولكنها بدأت منذ سنوات للحيلولة دون إقامة النظام الإسلامي العالمي.

وقال البيان : لقد تعرضت أمتنا لمظالم الأمم الغربية جميعها ، وبيننا وبينها ثأرات وثأرات ، وأنى لنا بالإحاطة بها وهي في بلادها؟! فكان قدر الله أن يجعلها على صعيد واحد ، على أرضنا المباركة الطهور " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " . .

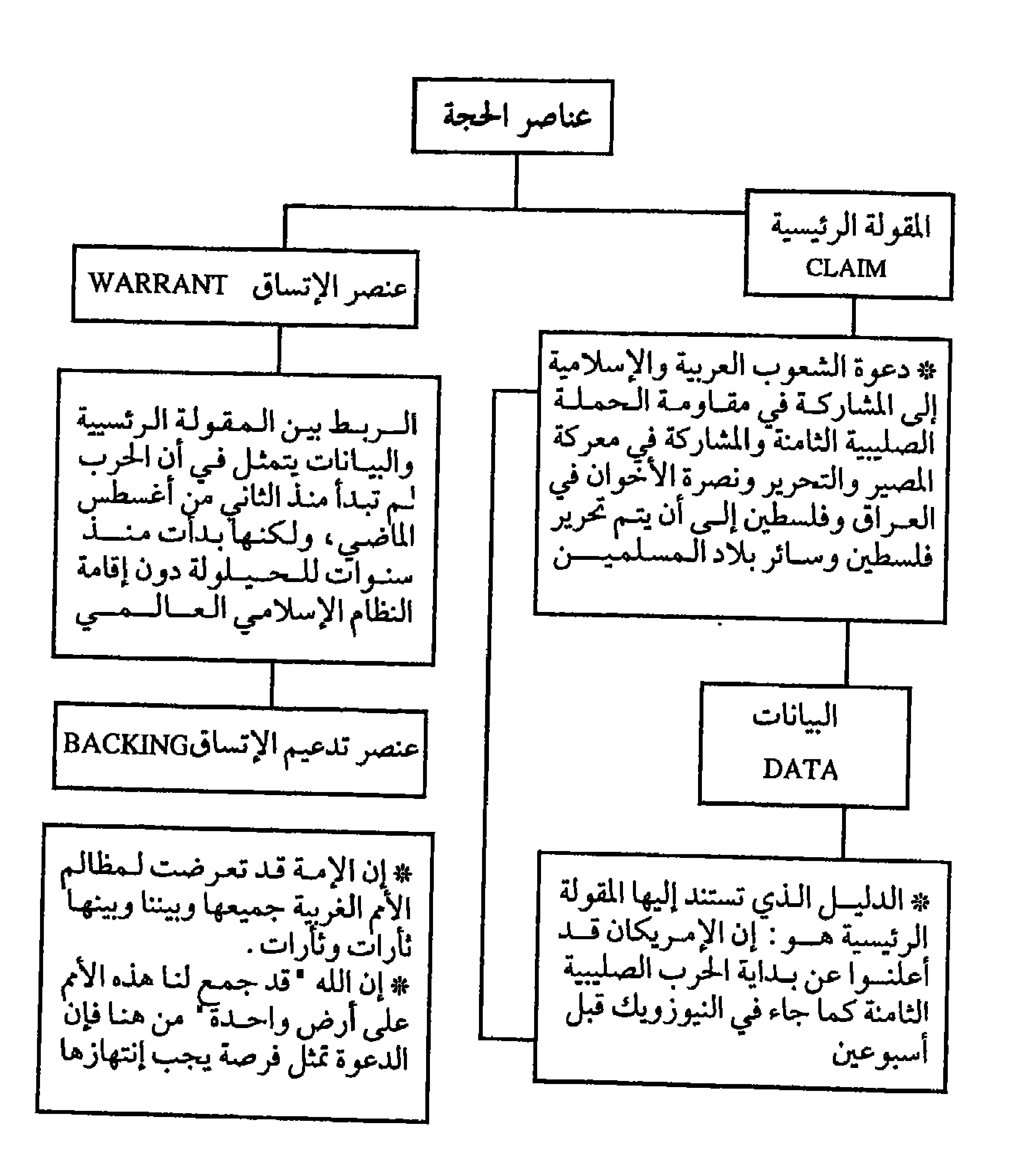
ودعا البيان الشعوب العربية والإسلامية إلي المشاركة في معركة المصير والتحرير ، ونصرة إخوانهم في العراق وفي فلسطين ، حتى يأذن الله بنصره وتحرير الأرض المقدسة المباركة في فلسطين وسائر بلاد المسلمين . .

جريدة الشعب ٢٢/ ١/ ١٩٩١ .

***

ثانياً : تحليل عناصر الحجة الرئيسية بالعينة : انظر الشكل التالي (رقم٣)

تحليل الحجة إلى عناصرها الأساسية والفرعية



جدول رقم (٤) مصادر الخلل في الحجة وملامح إشكاليات الحوار التفاوضي

مصادر الخلل في الحجة وملامح إشكاليات الحوار التفاوضي العربي
(١) إن عنصر الدحض والتفنيد المسبق (REBUTTAL) يفتقد إلى التعقل كصفة إسلامية أساسية دعى الله المسلمين إليها بحيث أن عليهم أن يتوخوا الحذر عند الحديث عن معركة مقبلة لم تبدأ بعد . . . "لقد جاء يوم الحساب يابوش ويابيكر وياميجور وصنع الله لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب ومهرت في النزال . . وجاء يوم أعز فيه الله الإسلام . . .) (سلبية نمط "تضخم الإحساس بالذات" [النمط رقم (٢)] .
(٢) اتسمت عناصر الحجة المختلفة بنمط التهييج والاسترسال العاطفي وإساءة إستخدام سلطة النص وذلك بالإستشهاد بنص من نصوص الجهاد دون الأخذ بأسبابه بحذر وتعقل ومقدرة" . كذلك اتسمت المقولة بالتركيز على الموسيقي اللغوية في بناء النص لإثارة مشاعر وعواطف الشارع العربي والإسلامي وتعبئتها دون إمعان النظر في خطورة الموقف وحيثياته الدقيقة . وهذه الخصائص تضعف من معقولية وموضوعية مقدم الحجة (QUALIFIER) .
(٣) خلل التبسيط الزائد بين السبب وأثره وتجاهل السؤال الرئيسي حيث أن سبب الحرب ليس دينياً وإنما هو إحتلال العراق للكويت . الذي انتهزه بطبيعة الحال أعداء العرب والمسلمين للحصول على أقصى حد من هدم قوة العرب والمسلمين نظراً للريبة والشك التي ينظر بها الغرب للإسلام وللعرب والتي دعمها تصرفات مثل ماأقدم عليه صدام العراق من مقولات تحدى جوفاء وعداء كلامي و إهانه لمواطنيه وغزوه للجار العربي المسالم .
(٤) خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى EQUIVOCATION وهو ما قصدنا الحديث عنه ويتمثل هنا في الإعتماد على المعنى القديم لكلمة "CRUSADE" (الحملة الصليبية) والذي ورد بالفعل استخدامه في مجلة النيوزويك كدليل يدعم المقولة الرئيسة دون الوعي- عمداً أو سهواً بمعنى الكلمة الإنجليزية التي تعني في الوقت الراهن معنى "حملة" "أو مهمة" لتحقيق هدف يقيني "والدليل على ذلك أن نفس الكلمة قد أستخدمت لوصف عدوان صدام على الكويت (SADAMS CRUSADE) وكذلك وصفه بأنه "CRUSADER" . . . ولايمكن أن يكون معناها صليبي هنا .

* النمط الرابع والعشرون : حوارات «غيبوبة الماضي»

إن الحنين للماضي وللذكريات وللتاريخ شيء إيجابي بطبيعته إذا ما أحسن توظيفه بل أن من مصادر هذه الأمة إنها في لحظات تاريخية تستلهم القوة والعزم من الماضي . ولكن سلبية هذا الأمر أن يتحول إلى غيوبة نعيش فيها وننسى الأخذ بأسباب التغيير أو إعادة ماكان مجيداً في تاريخنا العريق خاصة وأن شواهد العصر تؤكد على وجود تعقيدات لم يشهد التاريخ الإنساني مثيلاً لها في تفاعلات عالم اليوم والمستقبل . وعلى النقيض من التقوقع في إطار الماضي الذي يفترض فهم دروسه نجد نمط نسيان دروس الماضي وبسرعة غريبة في أحيان كثيرة حتى لو كان لها أسباب أهمهما عدم الأخذ بتلابيب الأمور في مواجهة عدو شرس كما حدث في معركة ١٩٦٧ والتي سيطرت فيها اللغة الجوفاء فقط ، في الوقت التي أثبتت فيه الأحداث أنه يمكن هزيمه العدو وتلقينه أقصى الدروس كما حدث في حرب رمضان ١٩٧٣ . ولكن كان الشرط إلاّ نلجأ إلى حرب الكلام الأجوف ومعارك النزال من خلال محطات الإرسال القوية التي رسخت نمط «تضخم الإحساس بالذات» إلى الحد الذي استخف بكل العقول وأدى إلي تغييب العقل العربي . . لم يستفد العراق من هذا الماضي وجسد أسوأ أنماط تفاعلاتنا وتسبب في نكسة أعمق وأخطر من نكسة ١٩٦٧ . كذلك نسى من أيدوا العراق فور الغزو أن القضية لم تعد قضية غزو

بلد عربي لبلد عربي آخر وأصبحت القضية قضية وجود أجنبي لدى هؤلاء. وربما كان من أحدث الأمثلة التي جسدت نمط "غيبوبة" الماضي وسرعة نسيان دروسه هو أداء نفس الأطراف العربية التي أيدت العراق في غزوه للكويت عند تفاعلها مع أحداث الإنقلاب الشهيرفي موسكو والذي وقعت احداثه في "النصف الثاني لهذا العام (١٩٩١) وهنا استشهد بمقال موجز قد كتبته عن هذا الموضوع ونشر في الأهرام بتاريخ ٣/ ٩/ ١٩٩١ يستعرض هذا المقال نمط "غيبوبة الحنين للماضي" وكذلك مجموعة أخرى من الأنماط السلبية التي استعراضنها في هذه الدراسة وتجسدت جميعها في رد فعل هذه الأطراف العربية وفيما يلي نص المقالة :

«احداث موسكو وأنماط من التفاوض في العالم العربي»

كأي حدث تتفاعل معه الأطراف العربية على الساحة الدولية يلاحظ المراقب وجود تباين وتناقض واضحين بين مواقف الأطراف العربية المختلفة تجاه هذا الحدث أو ذلك. وبالنظر إلى احداث موسكو نجد أن هذا التباين والتناقض يماثلان ذلك الذي حدث ابان أزمة الخليج وغيرها من الأحداث الأخرى. . يرجع ذلك في عموميته إلى مجموعتين من العوامل : المجموعة الأولى تتمثل في تباين في الإدراك لتحركات الفاعلين المشتركين في المباراة الدولية وقواعد اللعبة بالمعطيات الموضوعية المحددة لناتج أي مباراة على الساحة الدولية . .

والمجموعة الثانية تتمثل في سلبيات الحوار التفاوضي اليومي في العالم العربي على المستويين الإجتماعي والسياسي وبالطبع تتداخل العوامل في المجموعتين في تحديد ناتج الأداء . . الذي يظهر في النهاية بشكل متناقض لايخدم بطبيعة الحال صورة العرب في عالم اليوم .

لقد كان موقف مصر من احداث موسكو يعكس إهتمامها في المقام الأول بالشرعية وعدم التدخل في شؤون الآخرين من ناحية ولكنه أيضاً قد عكس ذلك النمط التفاوضي الذي اكتسبه المفاوض المصري بحكم الخبرة المصرية والدور المصري على الساحة الدولية وهو «حسن الاستماع والترقب" ثم اتخاذ القرار السليم . . فأننا إذا ماأردنا تحليل رد فعل بعض الأطراف العربية بتأييد الإنقلاب بموضوعية دون الهجوم على هذه الأطراف لوجدنا أن هذه الأطراف تتمنى وجود الاتحاد السوفيتي كقوة عالمية رئيسية كما كان العهد به حتى لو كانت قوة عسكرية ديكتاتورية فقط . . إن المفاوض العربي البراجماتي قد لايعارض ذلك الأمر فالاتحاد السوفيتي القوي يعيد التوازن في علاقات الشرق والغرب وهذا شيء بديهي ولكن هذه الأطراف قد نسيت أو تناست أن القوة الاقتصادية هي العماد الرئيسي للقوة المسلحة كذلك إن من الأنماط المرتبطة بأحداث موسكو على صعيد التفاعلات العربية هو أن الأطراف العربية التي أيدت الإنقلاب تعاني من نمط "غيبوبة الحنين للماضي أياً كان، وعبودية هذا الماضي

لما له من صور قديمة لم يعد لها وجود حقيقي في عالم اليوم . . " فهذه الأطراف العربية تتصور أن جور باتشوف قد هدم ذلك الصنم الذي ظل يعبده الكثيرون وهو بذلك قد كفر وأنه هو الذي أذل الإتحاد السوفيتي وليست القيم الشيوعية والأحلام الوهمية التي قامت عليها . . بل ذهب الكثيرون إلى توظيف أسوأ ما في الأنماط التفاوضية العربية وهو نمط المؤامرة الكبرى وأن المؤامرة العالمية التي استهدفت العالم العربي . . ولكن الطريف في احداث موسكو أنها قد أثبتت أن هيمنة نمط المؤامرة ليس على الصعيد العربي فقط . . ولكنه انعكس بوضوح شديد في مقولات العديد من القادة السوفيت. والواضح الآن وجود هيمنة لنمط المؤامرة في العديد من التفاعلات على الصعيدين العربي والسوفيتي والأمر يحتاج إلى دراسة متعمقة ولكن ربما تكمن الأرضية المشتركة لهذه النوعية من التفاعلات في أنها نابعة من العديد من العرب والعديد من السوفيت الذين يمثلون في واقع الأمر حضارات قديمة وعظيمة إلاّ أنها تعاني الآن حالات من التدهور الحاد والعجز الكبير الذي عادة مايصل بالإنسان إلى لوم الآخر دون محاولة التحرك الإيجابي لإحباط ماقد يحاك من مؤامرات في هدوء وفعالية .

(د. حسن وجيه الأهرام ٣ / ٩ / ١٩٩١)

* النمط الخامس والعشرون : «القوالب الذهنية المتفجرة» «والقوالب الذهنية الإستاتيكية» (المعدة مُسبقا) :

'EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDA'

STATIC / PRESET SCHEMATIC AGENDA

١-المقصود «بالقوالب الذهنية «الإستاتيكية»

هو أن يكون لدى متحاور ماقائمة موضوعات مُعدة سابقاً قبل الدخول في عملية التحاور والتفاعل الحقيقي وهنا يعيب المتحاور توظيفه لهذه الأجندة أو قائمة الموضوعات دون النظر والتعمق فيما يطرحه الطرف الآخر للحوار أثناء عملية التفاعل وهنا يبدو ذلك المتحاور كمن يحفظ طريقة للعبة الشطرنج (مثلاً خطة نابليون) دون أن يرى تحركات وأفعال الطرف الآخر الأمر الذي يؤدي في نهاية الأمر إلى فشل "الخطة" . فهنا يتضح للمستمع أو المراقب للحوار بأن هناك طرف "يكر الأجندة" ويتعامل مع الحوار بعيداً عن مستجداته ومتغيرات السياق. الأمر الذي يجعله يفقد معقوليته وقدرته على الفوز أو حتى التعادل ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن العديد من المفاوضين الذين قاموا بتمثيل قضايانا في الخارج يوظفون هذه الإستراتيجية التي تمثل نمطاً سيئاً للغاية في تفاعلاتنا وبعضنا وفي تفاعلاتنا مع المفاوضين من الثقافات الأخرى . .

وإذا ما نظرنا إلى بنك بيانات أزمة الخليج لوجدنا أن العراق قد قام بتوظيف استراتيجيات "القوالب الذهنية/ قائمة الموضوعات الاستاتيكية" أي الموضوعات المُعدة سابقاً من قبل القائمين على إدارة الأزمة (المفاوضون) وبالتالي لم يسمح هؤلاء المفاوضين لأنفسهم بأن يعيدوا ترتيب قائمة موضوعاتهم التفاوضية ويستجيبوا بذكاء لمقتضي تلك التفاعلات ويتطوير الإدراك المسبق للأزمة عند بدايتها وماحدث عقب ذلك بالقدر الذي كان يتيح للعراق والأمة العربية الخروج من تلك الأزمة بأقل خسائر ممكنة . . والمقال التالي بعنوان " المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة" لكاتب هذه السطور كان بمثابة محاولة جادة للفت نظر القيادة العراقية في الاتقع في براثن ماأصفه في سياق هذا الكتاب بتوظيف استراتيجيات "القوالب الذهنية الاستكاتيكية" وفيما يلي نص قد هذا المقال :

المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة

إذا كانت عملية التفاوض من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية، فإن لهذه الأزمة الراهنة بالخليج تعقيدات فريدة من نوعها، فإذا كانت صفة "المفاوض العربي" في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة تتضمن مواجهة مع مفاوضين من غير العرب فإن "المفاوض العربي" أثناء هذه الأزمة يمثل المفاوض العربي في مواجهة" مفاوض عربي آخر" من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب من الناحية الأخرى.

إذن فإنه يلزم لادارة هذه الأزمة نوعان من ديناميكيات التواصل..
أحدهما يتعلق بخصائص وتعقيدات عمليات التفاوض بين العرب وغير العرب والآخر له خصائص وتعقيدات عمليات التفاوض العربية العربية.
فإذا أردنا تسليط الضوء على كيفية الإمساك بأهم خيوط الخروج من هذه الأزمة بأقل خسائر ممكنة لقلنا أنه يتعين على الجانب العراقي في إدارته للأزمة أن يعى أن النجاح أو الفشل في عملية إدارة الأزمات علي مستوى العالم أجمع كما يحدد ذلك خبراء وعلماء علم العلاقات الدولية يتوقف على أن الإدراك السياسي الناضج يتمضخ عنه ذلك القرار الذي يسمح بإستقبال المعلومات الجديدة والطارئة واستيعابها والإستجابة المرنة لها وتطوير الإدراك المسبق للوضع قبل الأزمة وعند بدايتها ومايحدث عقب ذلك من تحركات للأطراف المتفاوضة المختلفة في اللعبة الدولية.

أن الأمر في أزمة الخليج الراهنة يوضح أن هناك إجماعاً دولياً لم يسبق له مثيل من قبل لتنفيذ إجراءات إقتصادية وعسكرية ضد العراق قد تصل بالمنطقة كلها إلى حالة من الدمار والإنهيار.

إن الطريق مازال مفتوحاً أمام العراق ليخرج من هذا المأزق مع الحفاظ علي ماء الوجه. ولقد أوضح ذلك الأمر خطاب الرئيس مبارك الأخير في ذروة الأزمة من خلال عرضه لصيغة السلوك الدولي المطلوب من قبل العراق انتهاجه وفي ظل المظلة العربية كذلك أوضح خطاب الرئيس أن مصرفي إدارتها لعمليات المفاوض الراهنة قد

أدركت أهم مشاكل الاتصال في الأزمات الدولية. كذلك كانت هناك الإشارة بقوة إلي وضع مصر وثقلها عربياً وعالمياً واحترامها لكيان وتوجيهات الرأي العام المصري.

إن درجة ضبط النفس العالية التي تبناها القائمون على إدارة الأزمة في مصر يتيح الطريق مرة إخرى للعراق للخروج من هذه الأزمة المتفجرة وبطريقة تحفظ ماء وجهه وتجنب المنطقة نتائج لايعلم مداها إلاّ الله سبحانه وتعالى.

د. حسن وجيه

الأهرام ١٣/٨/٩٠

وإذا كانت المقالة السابقة تعني بإبراز مثال من أمثلة تفاعلات أزمة الخليج التي تلقي الضوء على خطورة ظاهرة القوالب الاستاتيكية في الحوار فإن كاتب هذه السطور قد ألقي بالضوء على هذه الظاهرة أيضاً في معرض رده على مزاعم سلمان رشدي في إطار الجدال الذي دار لفترة طويلة عقب نشر روايته المعروفة بعنوان "الآيات الشيطانية" فلقد كان الدافع لكتابه هذا الرد في صحيفة "الهويا" جريدة جامعة جورجتاون- لمنطقة واشنطن العاصمة [1]. ليس فقط الرد على مزاعم سلمان رشدي في حينها ولكن كان أيضاً من منطلق محاولة تصحيح

(١) كان المقال الذي كتبه كاتب السطور بعنوان "على الغرب أن يحذر الفخ الذي ينصبه رشدي من: أطراف الجدال حو "الآيات الشيطانية تتجاهل أصول الحوار الفكري الإسلامي (جريدة الهويا (٢٨/ ٢/ ١٩٨٩).

رد الفعل الإسلامي حيث إن المتحدث الذي كان يمثل وجهة النظر الإسلامية في حواره مع سلمان رشدي في البرنامج الأخباري الشهير بالولايات المتحدة NIGHTLINE . ABC بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ قد وظف استرتيجيات "القوالب الذهنية الإستاتيكية" حيث أضاع الوقت فيما أعده مسبقاً من أن الرواية ضد الإسلامي وضد المسلمين وإن المسلمين غاضبون إلخ ولم يلتفت إلى أسلوب سلمان رشدي الذي حاول أن يتحدث عن قضية حرية التعبير في الثقافة الإسلامية وبالتالي لم يفند ذلك المتحاور حُجج رشدي الواهنة والضعيفة . . الأمر الذي أكسب رشدي مناصرة لاتستند للحق بأي حال .

٢- المقصود «بالقوالب الذهنية المتفجرة»

" EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDA "

والمقصود أن يكون لدي متحاور ماقائمة موضوعات مُسبقة ويتحين أي فرصة لإطلاقها وأعلام الآخرين بها والفرق بين هذه الإستراتيجية الحوارية والسابقة "الإستاتيكية" هو أن إداء المتحاور هنا يكون، أكثر انفعالية إلى الحد الذي يصل به إلى تطويع أو بمعنى أدق "تلفيق" السياق بالطريقة التي تتناسب شكلياً مع عملية إطلاق أو تدشين قائمة الموضوعات أو القوالب الذهنية في عملية التفاعل . ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن توظيف هذه الإستراتيجية غالباً مايكون من الملامح الرئيسية لخطاب الرفض والتطرف والإطلاقية وما أسماه

كـاتب السـطور بخطاب التناحـر DOG FIGHT DISCOURSE وتلك النوعية التي تعاني حالة حادة من الاحباط والإضطهاد أو المؤامرة في بعض الأحيان وترتبط هذه الصورة إرتباطاً وثيقاً بنمط حوارت التأطير " النمط رقم ٢ والذي تناولناه بالتحليل في هذا الكتاب.

وإذا كان المفاوض العراقي في أزمة الخليج قد قام بتوظيف هذه الإستراتيجية بكثافة عالية في تفاعلات ماقبل وأثناء وبعد الأزمة إلاّ أن هذه الظاهرة مع الأسف تتجسد في كثير من تفاعلاتنا الإجتماعية والأسوء أنها قد وصلت إلى التفاعلات الإكاديمية حيث تتنوع صور هذه الإستراتيجية من خلال التصنيف المتسرع أو المتعسف للمتحاور الآخر وللنص وبتحميل النصوص ماليس بها وبتوظيف إستراتيجيات " إحتكار الحقيقة " بصورها المتنوعة مع حدة ملحوظة في الألفاظ المستخدمة.

وللتدليل على الاستراتيجيات المتعددة التي تعكس صوراً من نمط الأجندة أو القوالب الذهنية المتفجرة من خلال تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة سوف أقدم في هذا الجزء من الدراسة تفاعلات حوارية حقيقة في واقعنا الثقافي الاكاديمي ولقد بدأ هذا الحوار على صفحة الفكر الثقافي بجريدة الأهرام والمقالات الخمس التالية تمثل عناصر التحاور وهي كالآتي:

حالة تطبيقية من واقع التفاعلات

المقال الأول

العقل العربي .... والحوار مع "الآخر" . .

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع الآخر، فإن الأمر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسين للتحليل . البعد الأول ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية بيننا وبين ذلك الآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا. ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط "القبول المطلق أو الرفض المطلق" بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، ولاسبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التي تؤكد على هذه المقولة في سياقنا هذا. ولكن ماأود أن ألقي بالضوء عليه هو أن رد الفعل التلقائي لمعالجة نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق كان تبني البعض لما قد نطلق عليه "نمط الوسطيين أو التوفيقيين" وهؤلاء قد انقسموا إلى فئتين: الأولى تمثل هؤلاء الذي أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم والذي لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيلة في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصلية. أما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن أمور تتعلق بنظام القيم الثقافية الأصيلية. وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الإطلاقية أيضاً. وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير "الحل الوسط" مدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعني التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية، وهذا المعنى هو الذي يهيمن

على إدراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربي والإسلامي. ومايلق بالضوء على هذا الأمر ماذكره باحث اللغويات الإجتماعي بروس فريزر في بحثه الذي تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم "الحل الوسط" "COMPROMISE" . ولقد أورد الباحث عدة أمثلة منها مثل من الشارع الإسلامي في إيران حين ذهب مبعوث الأمم المتحدة إلى إيران بشأن التفاوض في أزمة الرهائن الأمريكيين الشهيرة، ويذكر الباحث أنه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير " حل وسط" وأعلن أنه جاء للوصول إلى "حل وسط" فما كان من الجماهير إلاّ أن رشقت سيارته بالحجارة.

إننا إذا ماحاولنا اقتفاء مفهوم "الإطلاقية" من منظور نخبوي لتأملنا أيضاً مقولات د. محمد الجابري والذي يعد واحد من أهم المفكرين العرب المعاصرين، وهنا نجد أن الجابري عندما يتحدث عن مفهوم "الاستقلال التاريخي للذات العربية"، فإنه وبكلماته يحدث عن "الاستقلال التاريخي التام" كما ورد في مقولته الرئيسية في كل من كتابيه "الخطاب العربي المعاصر" و "تكوين العقل العربي" (انظر المصدر الأخير ص ٥٦٧)... وإن مايؤكده د. الجابري بصورة جلية هو التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين "السلفي" و "الأوروبي" حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخي التام للذات العربية، وفي طيات هذه المقولة نجد ظلالاً قوية لمفهوم "الإطلاقية" والتي تؤكد في نفس الوقت على هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعاش بكل تعقيداته البالغة والحقيقية. إنه من المتعين علينا ونحن بصدد تقييم تفاعلاتنا مع الآخر وبصدد "نقد العقل العربي" أن نأخذ بعين الإعتبار النقاط التالية:

١- أن تبنى أمر "الاستقلال التاريخي التام" أو ماشابه ذلك من مقولات إطلاقية في عالمنا العربي هو بمثابة إستمرار "الحلم العربي" المجرد والذي يخرج

عن نطاق نواميس" "احلام البشرية المتعددة" مثل "الحلم الأمريكي" ، "الحلم الياباني" و "الحلم الألماني" . . . فهذه "الأحلام" لم تتصف بإستغراق المجرد والإطلاقية وإنما واكبها لحظة بلحظة الأخذ بعين الإعتبار ميكانزمات الواقع والتجربة المعاشة بكل تعقيداتها ومكوناتها قبل أي شيء آخر .

٢- إن علينا أن ندرك أن ساحة التفاعلات قد إتسعت في عالم اليوم وأصبح من شبه المستحيل الحد من هذه التفاعلات الأمر الذي حداً بخبراء العلاقات الدولية إلى تقييم وشرح مفاهيم جديدة مثل "القرية العالمية" " GLOBAL VILLAGE" ومفهوم الاختراق المتبادل (INTERPENTRATION) . . والذي يعني إمكانية عرض المفاهيم الثقافية المتباينة للثقافات المتنافسة على صعيد العالم من خلال قنوات دولية متعددة .

٣- إن علينا أن ندرك أصول وقواعد المباريات الدولية على كافة الأصعدة مع التمسك بالقيم الأصلية والإيجابية التي تميز ثقافتنا العربية الإسلامية فهذا هو الطريق الذي يحتاجه مسار هذه الأمة حتى تتمكن من التخلى عن موقع المتلقي وتعود إلى ساحة الإسهام في حضارة عالم الغد. . . فالتهاون في هذه المعطيات قد يمكن الثقافات المصارعة أو المتنافسة من إحداث "إحلال ثقافي" في منطقتنا . . الأمر الذي سوف يعمق من حدة أزمتنا الثافية . . وهوالأمر الذي ينبغي أن ندق له الإجراس.

د . حسن وجيه جامعة الأزهر

(الأهرام ٢٥ / ١٠ / ١٩٩١)

المقال الثاني

تعليق على مقال «العقل العربي .. والحوار مع الآخر»

تعليق للاهرام :

"ننشر هذا التعليق الجاد (رغم حدته) ليس فقط من باب تأكيد إيماننا بحرية الفكر وحق الجميع في طرح أفكارهم ورؤاهم على الآخرين، ولكننا ننشره أيضاً لتأكيد ضرورة الحوار نفسه وإحتياجنا إليه من أجل بلورة منطلقات فكرية تؤسس لعصر التنوير الثاني الذي يكافح كل "العقلانيين" في سبيله.. وغنى عن القول إننا ننشر هذا التعليق رغم إختلافنا مع منطلقاته وتحليله لكثير من النقاط..".

مقال كاتب التعليق :

يبدو أن النخبة المنتجة للفكر في مصر، وربما في غيرها، لاتملك في مواجهة أزمتها الراهنة إلاّ تقوم – لعهدها على الدوام- بإعادة إنتاج فكرها، وإجترار نفس خطابها الذي لم تفلح مائتي عام من النهضة المحيطة في زحزحته والخلاص من هيمنته، حتى لقد بدأ الخطاب- إن يعيد إنتاج نفسه بلا كلل – أشبه بعنقاء أسطورية تنبعث ثانية من رمد إحتراقها في إنكسارات لاتنتهي وهكذا فإنه بالرغم من أن الأهرام يطالعنا كل أسبوع بمفكر مصري جديد، فإن الجدة عند معظم هؤلاء الجدد، لا كلهم، لاتعنى إلاّ إعادة إنتاج خطاب نختبتهم وذلك بعد زركشته بالطبع بالمقولات الأكثر حداثة المتداولة في النتاج الأكثر معاصرة للعلوم الإنسانية الغربية.

- ضمن هذا السياق يندرج المقال الوارد على هذه الصفحة يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٩١ عن " العقل العربي والحوار مع الآخر " للأستاذ حسن وجيه الذي لايفعل شيئاً إلاّ إعادة إنتاج خطاب النهضة الكلاسيكي" وبلغة الكاتب نفسه خطاب "هؤلاء الذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم الذي لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم وإتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز أهدافهم وإتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا، ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الأصيلة" . إنه إذن خطاب النهضة العربية . الذي دشنه الطهطاوي وخير الدين التونسي في القرن التاسع عشر فيعاد إنتاجه - رغم كل عجزه وإخفاقه- بمفردات نهايات قرننا . . إن الخطاب المؤبد الذي تستعصي صيغته النظرية التلفيقية على الانكسار، وذلك رغم كل الانكسارات التي طالته في الممارسة إبتداء من إنكسار محمد علي وإنتهاء بإنكسار عبدالناصر .

والحق أن المقال يأتي تعبيراً نموذجياً عن ثوابت خطاب النهضة الذي تصور التقدم تفاعلاً كيميائياً أو حواريا بين الأنا والآخر، وهو تفاعل لم يتحقق قط لغياب شرطه اللازم . ولكن خطورة المقال تأتي من إصراره على وصم الطموح إلى التحرر الكاملة للذات العربية من أي سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وأيضاً من الحاجة، في هذا الظرف التاريخي الدقيق الذي يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم، الحل الوسط" وهو في حالنا الراهن لن يكون "حلاً وسطاً" - باسم العقلانية والواقعية

وغيرهما من مفردات قاموس أيامنا. ومن هنا ضرورة تفنيد دعاوي هذا المقال الخطاب.

فأولاً: يتحدث المقال عن "نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذي نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا". ولاأظن هذا القول صحيحاً أبداً.. إذ الحق أن معظم الليبراليين – وهو الإسم المتداول على الوسطيين- قد إنتهوا في الأغلب إلى الغرق حتى الأذقان في لجة التراث معبرين من جهة عن أخفاق أطروحاتهم التنويرية، ومفكرين عن بداياتهم المفرطة في إعجابها بالغرب من جهة أخرى. إن من يطالع مجرد عناوين النصوص المتأخرة لفيالق الليبراليين إبتداء من الطهطاوي وحتى زكي نجيب محمود ومروا بطه حسين والعقاد ليدرك أن النهاية التراثية- بل والصوفية أحياناً- لهؤلاء تمثل ظاهرة تستحق الدرس. ومن جهة أخرى فإن النفوذ المتعاظم لما يسمى بالتيارات المتطرفة دينيا التي تظهر عداء لاهوادة فيه لكل ما هو عقلاني أو تنويري ليكشف عن زيف الإدعاء بأن هؤلاء الليبراليين- ذوي الأهداف التنويرية- قد نجحوا في إحراز أي من أهدافهم.

وثانياً: يرى الكاتب في القول بضرورة "التحرر الكامل للذات العربية في السلطة المرجعية للنموذجين السلفي والأوروبي" ظلالاً قوية لمفهوم "الإطلاقية؛ الذي يؤكد- حسب قوله- هيمنة نمط الإنعزال عن الواقع المعاش. وإستمرار لما يسمى بالحلم العربي المجرد. على الذات العربية أن تنخرط – حسب الكاتب- في الحوار مع الآخر بدلاً من مداعبه هذه الأحلام

الطوباوية، والحق أن التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفي والأوروبى، بل ومن سلطة كل نموذج، هو الشرط المسبق لكل حوار فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حواراً بل ضياعاً. وإذن فإن الحديث عن الحوار مع الآخر كفرض قابل للتحقق هكذا مع تغيب كامل للشروط التي يستحيل دونها هو الذي يعكس. في المقابل، ظلالاً قوية لمفهوم الإطلاقية الذي يتكشف هنا عن ضرب من التفكير اللاتاريخي يستبدل التاريخ بالنموذج الأمريكي أو الياباني أو الألماني، كما يمثل إستمراراً للوقع العربي البائس، وإلاّ فهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية مايمكنها من أن يكون تفاعلها مع الآخر حواراً لاضياعاً؟

وهكذا فإن الطريق إلى التخلى عن موقع المتلقى والعودة إلى ساحة الأسهام في عالم الغد- وهو أملنا جميعاً- لن يكون بمجرد الدعوة الرومانسية إلى الحوار الإيجابي مع الآخر، بل يتأسس جوهريا على ضرورة التحرر من السلطة المرجعية لأي نموذج، وأعنى ضرورة التحرر من هيمنة "ابستيمولوجية" النموذج التي تغلق أمام العقل العربي أي طاقة للإبداع، والتي تمارس، للأسف، فعلها في وعينا على نحو غير مشعور به حتى لو إدعينا أكثر الحالتين حداثة.

علي مبروك مدرس مساعد

كلية الأداب - جامعة القاهرة

(الأهرام ٨/ ١١/ ١٩٩١)

المقال الثالث

رد على التعليق: العقل العربي والحوار مع الآخر

في بداية الرد على التعليق الذي ورد بهذه الصفحة بتاريخ ٨ / ١١ / ١٩٩١ أود أن أشكر للكاتب حماسه ومشاركته في الحوار ولكني أجد في تعليقه مايمثل صورة متكررة من صور ذلك "الخطاب" الذي يجسد العديد من سلبيات الحوار التفاوضي على المستوى التقني وهذه السلبيات تشكل مشكلة أساسية تواجهنا في تفاعلاتنا اليومية وهذه بعض منها:

١- التصنيف المتسرع للنص وللمتحاور الآخر :-

يأتي تعليق الكاتب غنياً بواحدة من سلبيات تفاعلاتنا الحوارية وهي الخاصة بتصنيف أحد المتحاورين للآخر ووضعه في إطار معين بسرعة ملفته لاتدل على التروي المطلوب في الحوار ليكون موضوعياً.. يقول التعليق:-

"يتحدث المقال عن "نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الإخلال بنظام القيم الأصيل في ثقافتنا..." ثم يُصنف الكاتب "هؤلاء الوسيطين" على أنهم "الليبرالين"... ويهاجم بعد ذلك جهودهم وإجتهادهم.. ويلاحظ هنا أيضاً أن كاتب التعليق يضع رموز "الليبرالين" "والوسطيين" في قالب واحد دون أدراك للفروق بينهم سياسياً هذا في الوقت الذي لاتمثل كلماتي في المقال ؛الليبرالين" أو غيرهم على وجه التحديد... ولكن الكلمات تعني بوضوح "أي متحاور يتفاعل مع الآخر دون أن يتخلى عن ثوابت القيم الأصيلة في

ثقافتنا.. فربما يكون هذا المتحاور مبعوثاً ليس له أي إنتماءات مصنفة سوى حبة لتراب وطنه... وربما يكون مفاوضاً لشركة من شركات الزلط أو الشيكولاته، وربما يكون ممثلاً سياسياً في وفد من الوفود.!!.

٢- تبرير «الحل الوسط»!!

يقول التعليق.... "ولكن خطورة المقال تأتي من إصراره على وصم الطموح إلى التحرير الكامل للذات العربية من أي سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وأيضاً من الحاجة، في هذا الظرف التاريخي الدقيق الذي يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم "الحل الوسط" ... إلخ".

وهنا أود أن ألفت نظر الكاتب والقاريء الكريم إلى أن ماكتبته في مقالي بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٩١ لم يكن تبريراً لمفهوم "الحل الوسط" وبالطريقة التي عُرضت بالتعليق، بقدر ماكان توصيف موضوعيا لما لحق بإدراكنا لهذا التعبير... ثم أنه ولو فُهم على كونه تبريراً "للحل الوسط" الذي لايمثل تهاوناً في القيم الأصيلة والإيجابية في ثقافتنا العربية الإسلامية كما ذكرت ذلك بالنص ...فلماذا يحدث كل هذا الإنفعال لدي الكثيرين عند مجرد سماع تعبير "الحل الوسط" والذي يعتبر مفهوم أساسي لحل أي صراع إجتماعي أو سياسي في عالمنا... فهناك دائماً هامش كبير "للحلول الوسط" ويرتبط استخدام هذا الهامش إيجابياً بالفهم الحقيقي والعلمي لطبيعة وقواعد مباريات الصراع الإجتماعي والسياسي. إن هذا المفهوم ليس أصيلاً

فقط في الثقافة الغربية ولكنه مفهوماً أصيلاً- إذا ماأحسن توظيفه بذكاء- في ثقافتنا العربية الإسلامية. ففي صلح الحديبية تخلى الرسول ﷺ عن وصف "الرسول" المنسوب إليه حقاً ونزل إلى طلب الكفار بمنادته بالاسم المجرد، حيث وجد ﷺأن هناك هامش من المرونه في التفاوض لن ينتج عن استخدامه أي مساس بالرسالة. وفي أدبيات الحروب الصليبية التي لايزال الغرب يتناولها بالتحليل الدقيق إلى يومنا هذا، نجد العديد من الأمثلة التي تتعلق بالفهم الإيجابي لمفهوم الحل الوسط في عدد من المواقف التي كان الناصر صلاح الدين طرفاً فيها والذي وصف في أدبيات الغرب بكونه المحارب والمفاوض المحنك الذي أتقن ببراعة قواعد إدارة الصراع وهناك كتاب تفصيلي حديث للكاتب (STANELY LANE- POOL) بعنوان "صلاح الدين وسقوط مملكة القدس: (١٩٧٨) لمن يريد الإطلاع على تلك التفاصيل ... الأخ كاتب التعليق: لقد كان كلامي دقاً للأجراس بخصوص هذا المفهوم وليس مجرد تبريراً له في هذا الظرف الدقيق!!.

٣- «الإطلاقية» ووقائع التفاعل العلمية:

ينتقد كاتب التعليق ماذكرته من وجوب التخلي عن "نمط الإنعزال عن الواقع المعاش" ويصر على التمسك بمقولة "التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفي والأوروبي، بل ومن سلطة كل نموذج، فهذا هو الشرط المسبق لكل حوار... فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حواراً" بل ضياعاً"...

ومرة أخرى إن مثل هذه المقولة براقة ورمانسية حقاً واختلافنا هنا ينبع من اختلاف في اسلوب التفكير أساساً لأن مثل هذه المقولة لاترقى للتعامل الفعلى والإيجابي مع حقائق التفاعل العلمية البحتة التي يقرها علم النفس اللغوي والإدراكي PSYCHO & COGNITIVE LINGUISTICS . وحتى لايغضب كاتب التعليق من إستخدام مفردات العلوم الإجتماعية الحديثة) أقول أن مثل هذه المقولة لاتقرها كافة وقائع تاريخ البشر على امتداده.. فالحوار دائماً وأبداً له منطلقات مهيمنة عليه... وتتصارع مثل هذه المنطلقات ويمثل تصارعها وحضورها الواضح بداية لأي حوار... فالإسلام جاء لإتمام رسائل الله السابقة ولكن أيضاً عبر عن أقوى صور الحوار المتصارع .. لقد جاء الإسلام ليتعامل مع هيمنة أنماط من العقائد الأخرى السائدة.. والماركسية عندما ظهرت إلى حيز الوجود جاءت كفكرة لتتعامل مع هيمنة الرأسمالية، وبعيداً عن العقائد والأيديولوجيات فإن حوار علماء الفضاء بخصوص المكوك الفضائي (SPACE SHUTTLE) قد هيمنت عليه سلطة نموذج أو فكرة الطائرة أو لنقل نموذج الطائرة التي يمكنها أختراق المجال الجوي.. إذاً فمقولة الاستقلال التاريخي التام لأي ذات في العالم أو التخلص من هيمنة فكرة أو نموذج سائد كشرط مُسبق لعملية التحاور ماهو إلاّ من قبل المقولات الجوفاء والرومانسية التي لايمكن ممارستها عملياً وغير قابلة للحدوث الحقيقي من منظور التفكير العلمي للتفاعل.

٤- بعض من ملامح الخلل الشائعة في إقامة وتفنيد الحجج :

هناك أسس علمية مفتقدة للغاية في كثير من تفاعلاتنا بخصوص أسلوب إقامة الحجج وتفنيدها، وفي سياق ماأورده كاتب التعليق أود أن أسلط الضوء على قوله: "إن النفوذ المتعاظم لمايسمى بالتيارات المتطرفة دينياً والتي تظهر عداء لاهوادة فيه لكل ماهو عقلاني أو تنويري ليكشف عن زيف الإدعاء بأن هؤلاء الليبراليين- ذوي التوجهات التنويرية - قد نجحوا في أحراز أي من أهدافهم"..

والنقطة التي أتعرض لها هنا تتعلق بخلل تقني واضح في تفنيد الحجج وهو مايسميه علماء اللغويات الإجتماعية (NON SEQUITUR) أو ببساطة مايفيد أن "هذا الأمر ليس بالشرط دليل على ذاك؟! فتعاظم التطرف له بالتأكيد أسباب أخرى متعددة ولايعود فقط لإحتمال وجود قصوراً كبيراً أو صغيراً في إجتهادات أعلام التنوير المذكورين ابتداء من الطهطاوي وحتى زكي نجيب محمود ومروراً بطه حسين والعقاد، طبقاً لكاتب التعليق.

٥- الإصرار على " التسحلف " و " الانسحاب " :

من أكثر سلبيات تفاعلاتنا سواءاً الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا، بدلاً من التفاعل الإيجابي والأخذ بتلابيب الأمور - هذا في الوقت الذي نملك فيه الكثير من مقومات التحرك الواعي رغم كل القصور المنظور فمثل هذا التحرك هو ا لمخرج الوحيد من مهالك الوقوف "محلك سر"

فكاتب التعليق ينتقد مقولة:

"على الذات العربية أن تنخرط في الحوار مع الأخر بدلاً مداعبة الأحلام الطوباوية" ويتسأل "وهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية مايمكنها من أن يكون تفاعلها مع الآخر حواراً لاضياعاً؟"[١]

إن هذه المقولة تمثل دعوة لتأجيل الأمور في الوقت الذي لانملك ذلك.. فهي بمثابة أن نقول للمتصارع أو المتنافس معنا حضارياً: من فضلك انتظر إلى أن نتحرر من سلطة نموذجك ونموذج س أو ص حتى يكون لنا الاستقلال التام والندية معك؟! ألا نعلم بعد أن من بديهيات الحاضر والتاريخ أن الصراع ماض إلى يوم الدين وإنه لايرحم "المتوسلين والمتسحلفين" وإن المتنافسين والمتصارعين الذين نواجههم يركبون قطاراً سريعاً يمكنه سحق السلحفاة التي يصر البعض على ركوب ظهرها ويريدون أن نعبر بها معهم من أمام هذا القطار!! أليس من الأفضل النزول من على ظهرها والتحرك بدونها... أليس في هذا فقدان لابسط مباديء عقلية التحرك بصيغة أكثر فاعلية والتعرف على "فن الممكن"... فحتى إذا لم تكتمل الندية لأسباب هي دائمة غاية في التعقيد... أليس من الاشرف لنا دائماً أن نقبل التحدى وننزل إلى ساحة التفاعل بإيجابية.. فحتى إذا خسرنا فستكون خسارتنا أقل فداحة بكل تأكيد من فداحة الهجاء الأجوف والرمانسية والطوباوية التي غاص فيها العقل العربي وأغرق بها وفيها أجيال متلاحقة!!.

(١) المقال رقم (٣) هو النسخة الأصلية التي أرسلت لصفحة الفكر بجريدة الأهرام قبل أن يتم اختصاها (بمعرفة كاتب السطور لاعتبارات حيز المساحة ونشرت بتاريخ ٦/ ١٢/ ٩١.

المقال الرابع

عودة إلى قضية:

العقل العربي والحوار مع الآخر

الحق أن جزء من خطاب النخبة في عالمنا العربي يجتهد في رفع ورقة الحوار مع الآخر- المغاير لستر عودة عجزها وإفلاسها في مواجهته، ولكنها حين تمارس - على طريقة أسلافها التفكير وإن بمفردات عصرية ناعمة. ولعله يدهش المرء حقاً ذلك التنازل إلى حد التفريط الذي تمارسه النخبة العربية- باسم الحوار- مع الآخر الخارجي، والتسلط إلى حد القمع مع مواطنيها في الداخل.

وهي وإن تجملت وأشارت إلى أنها تقصد "المتحاور داخل محيطنا الثقافي وليس المتحاور من خارجه" فإن -سياق الخطاب- وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب - يتكفل بالكشف عن قصدها الأصيل.

وإذا الأمر يتجاوز ماهو شخصي إلى بنية خطاب النخبة بثوابته ومقولاته وحتى بفجواته وتشققاته ووعيه المعرفي وبالمسكوت عنه فيه، فإننا نتجاوز ماهو شخصي في الرد الوارد بهذه الصفحة يوم ٦ / ١٢ / ١٩٩١ علي تعليقنا على مقال "العقل العربي والحوار مع الآخر"... نتجاوز ماهو شخصي ونصر على الحوار، وقبله لابد من شكر الكاتب لأنه أتاح لنا برده على تعليقنا فرصة التفصيل بعد إيجاز إدعى معه البعض عسراً في الفهم لم نكن على

قناعة به إلى أن قرأنا رد الكاتب، فأيقنا صدق الإدعاء.. ومن هنا ضرورة التفصيل حسب ما يقتضيه الحيز.

وأولاً: لابد من التنبيه إلى أحد لايدعو الذات العربية إلى التمترس خلف أسوار عزلتها رافعة لواء الاضرب عن الحوار مع الآخر، ولكننا فقط ندعو- وبعد قرنين من إدعاء الحوار مع الغرب لم ينتجا إلاّ الانسكارات المستمرة، ولم يكرسها إلاّ المزيد من الأحباط والضياع- إلى النظر في جدوي توافر الشروط اللازمة ليكون حوارها مع الغرب منتجا على نحو إيجابي لامضيعا كما هو الآن . ان إهمال النظر في هذه الشروط اللازمة لإنتاج الحوار قد جعل الذات العربية تحيا خارج التاريخ، حيث اكتفت بأن تري في تاريخ الآخر تاريخاً لها، فبدت وكأنها معلقة في الزمان، لا هي تحيا تاريخها من جهة ولا هي أهل من جهة أخرى لأن تحيا تاريخ الأخر. إذ التاريخ ليس مجرد التزامن مع الآخر في لحظة ما، بل هو تراكم للخبرة والتطور لاتستطيع الذات العربية إدعاء امتلاكه، إنها عبثاً توحد نفسها مع تاريخ الآخر انطلاقاً من مجرد التزامن معه في لحظة واحدة. فتسلك مع الحداثة بعقلية (البدوي) الذي يرى فيها متاعاً يمكن نقله بالضبط كما تنقل الخيمة في الصحراي من شعب إلي آخر وتمارس السياسية بسلوك القبيلة، إنها إذن تحيا الحداثة بثقافة التخلف وتاريخه. ومن هنا عجزها وإخفاقها الدائمان، ليس في الأمر إذن دعوة إلى الأضراب عن الحوار -كما توهم الكاتب- وإنما هو الإصرار على ضرورة توافر شروطه اللازمة وأهمها رد الذات إلى تاريخها ونقد ثقافة

التخلف وأدوات إنتاج المعرفة السائدة في حقلها، وتحريرها من هيمنة النماذج الجاهزة التي تعوق قدرتها عن إنتاج معرفة مطابقة- لازائفة- بواقعها وتاريخها. وليس في ذلك أبداً أي نوع من "الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا"، بل هي المصارحة مع الذات التي هي أول الدرب إلى الوعي. وليس فيه أيضاً ذلك "الإصرار على ركوب ظهر السلحفاة أمام قطار المتنافسين" بل فيه الخوف من ركوب القطار بمنطق السلحفاة أمام قطار المتنافسين" بل فيه الخوف من ركوب القطار بمنطق السلحفاة كما نفعل الآن للأسف.

وثانياً: يبقي، رغم الكاتب، إن تحرر الذات العربية من السلطة المرجعية للنموذجين السلفي والأوروبي - بل ومن السلطة المرجعية لكل نموذج- هو الشرط المسبق لأي حوار". ومن المفارقات أن هذا هو ماتقره على عكس إدعاء الكاتب حقائق التفاعل العلمية ووقائع التاريخ البشري، ولكن على شرط فهم التحرر في إطار قوانين الجدلي لا الصوري. ذلك أنه إذا كان نمط التحرر من الآخر في إطار قوانين الجدلي لاالصوري. ذلك أنه إذا كان نمط التحرر من الآخر في إطار قوانين المنطق الصوري يعني نفي الآخر واستبعاده، وهو ما فهمه الكاتب وحاكمناه في ضوئه، فإن نمطه في إطار قوانين المنطق الجدلي يعني استيعاب الآخر وإحتواءه توطئه لتجاوزه من السلطة المرجعية للنموذجين الأوروبي والسلفي دعوة إلى استيعاب النموذجين واحتوائهما توطئه لتجاوزهما وتخطيهما، وذلك بدلاً من تركهما يمارسان السيطرة علينا على نحو غير مشعور به، واستيعابنا على نحو لايبدو لنا فيه أي أمل

في الخلاص من هيمنتهما. إن التحرر هنا يتحقق عبر الفهم لاعبر النفي.. عبر الاستيعاب لا عبر الاستبعاد.. عبر إنتاج المعرفة العلمية لا عبر الدعاوي الرومانسية.

وأخيراً تبقى الإشارة إلى أن الليبرالية في السياق العربي هي عنوان إصطلح عليه في الفكر العربي الحديث على طريقة ما في التفكير وليس على مجرد الانتماء السياسي، وهي طريقة في التفكير تنطبق ملامحها تماماً التطابق على فكر أولئك الوسطيين أو التوفيقيين- وبالأحرى التلفيقيين- الذين يتحدث عنهم الكاتب.

ومن هنا فإن ليس ثمة تصنيف متسرع للنص أو للمتحاور مع الآخر- كما إدعى الكاتب- بل ثمة قراءة تنشغل جوهريا بالأبنية العميقة التي تنظم التفكير وتوجه مساره ولاتقف عند حدود المعلن أو المصرح به في النص.

علي مبروك كلية الآداب قسم فلسفة

جامعة القاهرة

الأهرام ١٧/١/٩٢

المقال الخامس

العقل العربي والحوار مع الآخر

في إطار قضية العقل العربي والحوار مع الآخر، أود أن ألقي الضوء على قضية عامة وهامة للغاية وهي الخاصة بضرورة الالتزام بقواعد وشروط "التحاور الجدالي" والدافع لإثارة هذا الموضوع هو تلك الانتهاكات الصارخة الواضحة التي يمارسها الكثيرون في حوارتهم مع الآخرين في واقعنا الثقافي.. ولأن هذا الأمر له سياق تفصيلي آخر لايسمح به حيز المساحة هنا، أود فقط، أن ألقي بالضوء على بعض السلبيات التي تشكل انتهاكاً رئيسياً لهذه "الشروط" . ويمثل التعليقان الذي أرسل بهما الأخ علي مبروك بتاريخي (١٨ / ١١ / ٩١)، (١٧ / ١ / ٩٢) إلى هذه الصفحة – التي تتبنى مشكورة هذا التحاور، الذي نرجو أن يكون بناءاً ومثمراً في النهاية إن شاء الله تعالى–.. تمثل التعليقات مادة خصبة لإلقاء الضوء على هذه السلبيات الشائعة (الصارخة) وبأمثلة محددة. فبالإضافة إلي أوردناه في تعليقنا بتاريخ ٦/ ١٢ / ٩١) نلقي بالضوء على الآتي:

١– حوارات تحميل النص ماليس به والاجتراء على إخراج الكلام عن سياقه (في وضح النهار) !!

في إطار تحليلينا لهذه الظاهرة تناولنا وبقدر من التفصيل نمط "التأطير" FRAMING بنوعية اللاشعوري والمتعمد طبقاً لما نبهت إليه العديد من الدراسات في علم اللغويات الاجتماعي على نفس هذه الصفحة بتاريخ

٤ / ١ / ٩١ ، وكان ذلك في معرض تحليلنا لتفاعلات أزمة الخليج والأزمة الثقافية المزمنة التي لانزال نعيش لحظاتها ولكن لدينا الآن مانضيفه من صور أخرى لهذه الظاهرة وهي جديرة بالدراسة والتأمل... ولتوضيح ذلك نقول إن لدى الأخ المعلق مايقوله عن:

"محاولة البعض رفع ورقة الحوار مع الآخر المغاير لستر عورة العجز والأفلاس في مواجهة الحوار ذاته، وعن هؤلاء الذين حين "ينجرون" إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة.. فإنهم لايفعلون شيئاً إلاّ أي يمارسوا "التفكير" بمفردات ناعمة... وعن تنازل البعض إلى حد التفريط باسم الحوار مع الآخر الخارجي والتسلط لحد القمع مع المواطنين في الداخل..." إلى غير ذلك من هذه الممارسات التي أقل ماتوصف به أنها غير اخلاقية ومتدنية ويدينها أي عقل سوي يسعى للتنمية الثقافية الحقيقية في وطننا العربي.. وعند هذا الحد نقول أنه لمن المرجح إذاً أن الأخ المعلق يريد أن ينتقد كل هذه الصور المتدنية وغير الأخلاقية، الأمر الذي يشكر عليه- كذلك إذا أوضح المعلق في تعليقه الأخير بعض النقاط التي لم تكن واضحة في تعليقه الأسبق- فهذا هو الهدف من التحاور الإيجابي وهذا يُشكر عليه أيضاً.. ولكن أن يربط هذا المعلق بين كل هذه الصور السلبية للغاية وبين ماورد في مقالي كما هو واضح ومباشر في تعليقه، فهذا هو مايجسد بجلاء ظاهرة من أسواء ظواهر التفاعل الشخصاني وهي ظاهرة تحميل النص ماليس به من قريب أو بعيد والمصحوبة بإخراج الكلام عن سياقه بطريقة مُتعسفة-.. فهنا يقوم المتحاور- كما فعل المعلق - بالادعاء (بكل الذاتية) مايُفيد بأنه قد

أحاط نفسه علماً بعناصر السياق التي "تثبت" ماذهب إليه من مقولات "تهجمية" وهنا يمعن هذا المعلق في التمويه على ذلك "الفاول الحواري" الذي ارتكبه ويذكر شيء علمي نتفق معه فيه جداً وهو "إن سياق الخطاب- وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب- يتكفل بالكشف عن القصد الأصيل للكاتب"... إلاّ إن السياق الذي يتوهمه هذا المعلق ليس بأي حال سياق المقال الذي يُعقب عليه- إن السياق الذي يتحدث عنه هذا المعلق، من المرجح أن يكون سياق الأجندة المسبقة لديه والتي كان يريد أن يتحين أي فرصة لإظهارها أو إطلاقها بأي أسلوب أو طريقة في وجه الآخرين وهذا مايسميه علماء اللغة النفسيون EXPLOSIVE) (SCHEMATIC AGENDA) بالقوالب المتفجرة) حيث يبدو أن هناك بالفعل أجندة (قائمة بموضوعات محددة ومسبقة) لنقد أوضاع معينة لدي هذا المعلق، ولكن مع الأسف كانت طريقة هذا المعلق ومنذ بدء تفاعله في هذا الحوار هي التصنيف المتسرع بل والمتعسف (مرة أخرى) وتحميل النص وإخراج الكلام عن سياقه وبتكشيف للألفاظ الحادة... كم كنت أتمنى أن يعرض الأخ المعلق أي وجهة نظر لديه بطريقة إيجابية وإكاديمية بعيداً عن هذه الانتهاكات الصارخة لقواعد التحاور الموضوعي وبعيداً عن سياق "التلفيقيين" .. تلك الكلمة التي دأب على استخدامها الأستاذ المعلق في كل من تعليقيه.

٢- استراتيجيات إحتكار الحقيقة في الحوار:

تعتبر استراتيجيات احتكار الحقيقة في الحوار والتي يوظفها بعض

المتحاورين في الأسباب الرئيسية لهيمنة "الخطاب التناحرى" على مستوى كافة التيارات في الوطن العربي ويسهل، في سياقنا هذا، على القاريء المحايد لنص التعليقين لهذا الأخ المعلق أن يجد العديد من صور هذه الاستراتيجيات الحوارية ويكفي من الأمثلة هنا الإشارة إلى باداءات الحوار مثل "الحق أن" المتكررة في بدء إداعاءات هذا المعلق الرئيسية عند تفنيده لموضوع هو جدالي بطبيعة.. هذا بالإضافة إلى تلك المقولات التقريرية للغاية والتي أكدها ودعمها المعلق بتكثيف واضح للألفاظ الحادة التي لاحظها الجميع وسجلوا اعتراضهم عليها، ولاداعي لإعطاء أمثلة هنا- ولكن يكفي من خلال خصوصية هذا السياق أن نشير إلى قضية عامة أخرى وهي أن توظيف أسلوب الألفاظ الحادة في عملية التحاور والتي تحدث كثيراً في واقعنا الثقافي، يؤدي إلى هبوط مستوى الحوار وعدم التركيز الإيجابي على المشاكل الحقيقية.. والإشكالية هي أنه عندما يبدأ متحاور ما في توظيف هذا الأسلوب يصعب على المتلقى السكوت عليه، إذ أن المنطق الثقافي السائد- مع الأسف- هو إن السكوت على الأسلوب الحاد أو تجاهله قد يُفهم في غالبية الأحوال من قبل العقليات التصنيفية المتعسفة والتي عادة ماتوظف هذا الأسلوب في حوارها على أنه انتصار لحُجهها التي عادة ماتكون مترهلة وإنفعالية. إن هذه الظاهرة قد ترجع إلى ماأفرزه نظام التعليم التلقيني والذي فرض على البعض أن يبدأ التحاور مع الآخرين في قضايا هي جدلية بطبيعتها من منطلق من يقول "انا أعرف الحقيقية وأقرها وعلى المتلقي أن يسمع ويعي" !!

د. حسن وجيه

الأهرام ١٤/ ٢/ ١٩٩٢

خاتمـــة لدراسة أزمة خليج ١٩٩٠

كـان الهـدف من هـذه الـدراسـة الأولـيـة هـو الإسـهـام في صـيـاغـة جديدة للغة الحوار السياسي والاجتماعي فما أحوجنا إلى ترسيخ أنماط جديدة في لغة التخاطب على مستوى الوطن العربي . لقد كان الهدف الرئيسي من التعرض بالتحليل لما أسميته " **بخطايا الحوار التفاوضي " في وطننا العربي هو محاولة الإسهام في وضع حد لهيمنة هذا " الخطاب " الذي كان ولايزال من "أعرق؛ معوقات العمل الجماعي فضلاً عن أنه كان من أهم أسباب كوارثنا القومية والتي كانت كارثة خليج ١٩٩٠ آخرها وأكثرها فداحة وامتداداً .**

إن المعالجة الجذرية لأنماط التفاعل السلبية التي نجدها في حوارنا على المستويين الاجتماعي والسياسي تستلزم التقويم التقني من خلال العملية التعليمية والجهد الإعلامي معاً. أنه وبالرغم من شيوع صور هذه الأنماط السلبية القائمة إلاّ أن ساحة التفاعلات العربية قد أظهرت ملامح واضحة أيضاً من العقلانية والرشد وهو الأمر الذي يجب الإشارة إليه والدعوة إلى تدعيمه ونحن بصدد إرساء أسس موضوعية للحوار يكون من شأنها ضبط المعايير اللازمة لحوار البناء من الداخل وإدارة الصراع بكفاءة في الخارج والله ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان .

الفصل الثاني عشر

خطايا الحوار التفاوضي من أزمة خليج ١٩٩٠ إلى ملفات حوارات ١٩٩٨

كان ماسبق هو خاتمة تلك الدراسة التي قدمتها في عام ١٩٩١ ويهمنا أن نستكملها في إطار تفاعلات أزمة ١٩٩٨ بالجزء الثالث إلاّ أن من الهام أن نخلص إلى أهم ملامح الخطاب الاجتماعي والإداري والسياسي والإعلامي الذي قمنا بتحليله وهو يعني أساساً بأهمية الالمام بأنواع الكلام وخاصة مايتعلق بإقامة الحجج من منظور علم اللغويات الإجتماعية والسياسية. وهو خطاب لايزال يتواجد بأشكال متعددة في حواراتنا إلى اليوم. وهذا الخطاب بمجمل أنماطه لايزال يتفاعل مع ملامح خطاب التسلط الذي يعتبر من معوقات عملية إقامة الحجج من أجل الوصول إلى الرأي الأكثر صواباً بشكل جماعي. ولابد هنا من القول بأن التسلط هو المولد الطبيعي للتطرف، والتطرف يؤدي إلى الإرهاب، وهذا الأخير أصبح من أهم الأمور التي ينبغي وأن نتصدى لها بكل الحسم من أجل استقرار الوطن والمواطن، ومن أجل التنمية في كافة مناحى حياتنا في عصر، يتسم إيقاعه وحركته بالسرعة والتنافس الشديدين.

ولكن ليس من الكافي أبداً أن نقول أن هذا متسلط أو متطرف، بل من المهم أن نحدد ملامح وفكر ولغة التسلط والتطرف بشكل

علمي ومتعمق. . فمثل هذا الجهد يكشف الشكل والحجم الحقيقي لجذور المشكلة الحقيقية، التي ينبغي وأن نتعامل معها. . وهذا هو الطريق السليم لمحاولة علاجها. . ونحو توصيف دقيق لحجم المشكلة نقول إننا لانتعامل هنا مع فئة محددة وقليلة ممن يوظفون أدوات التسلط والتطرف؛ لأن هناك مستويات عديدة للمفهومين، وعلينا أن نوضح في هذه الدراسة كيف تتجسد هذه المستويات التي نمارسها عن وعى أحياناً، وتمارس بطريقة غير مشعورة وكامنة في أغلب الأحيان، وعلى مستوى ممارسات التيارات الفاعلة المتعددة في واقعنا الثقافي، الأمر الذي يمثل عائقاً للحوار الإيجابي والعمل الجماعي المتكامل والمتنامي. . ولقد تركت جذور التسلط والتطرف لتنمو في حوارتنا اليومية، سواء كان التفاعل سياسياً أم إدراياً أم إجتماعياً أم سمه ماتشاء. . الأمر الذي أنتج اليوم حالة من تأزم العمل الجماعي، الذي دخل في نطاق تقسيم المجتمع في حالة تفاعلية كثيرة إلى معسكرات وفرق وأحزاب وجماعات؛ حيث شاعت سمات إساليب عديدة التي تجسد الحوار المتسلط والمتطرف، وأكثرها شيوعاً ظاهرة وهي الانقضاض المتعسف (HASTY(FRAMING في الحوار.

***

خطاب التسلط وتصنيفات أنواع الكلام: الاقتراب الخاطئ لتحقيق الوحدة العربية

إن هناك دراسات عديدة حاولت تناول مفاهيم التسلط والاستبداد والتطرف من مناظير مختلفة، ولكن لم توجد بعد دراسة تتعامل مع حقائق وممارسات الحوار من منظور ومفاهيم العلوم التمازجية الحديثة مثل اللغويات الاجتماعية SOCIOLINGUISTICS وعلم اللغويات النفسي PSYCHOLINGUSTICS وعلم اللغويات العرقي ETHNOLINGUISTICS واللغويات السياسية POLITICAL LINGUSTICS ومن ثم فهذه الدراسة تسعى إلى تجسيد هذا التوجه.

هنا لابد أولاً من رصد التصنيفات الرئيسية لأنواع الكلام التي يجمع على وجودها خبراء علم اللغويات الاجتماعية والعرقية، بغض النظر عن اللغة التي تستخدم وهي "الوصف DESCRIPTION والعرض EXPOSITION والسرد NARRATION والحجج" ARGUMENTATION و "التناحر" DOG FIGHT DISCOURSE . . ولكن هناك تصنيفين رئيسيين آخرين، هما: "المبدأ التعاوني" COOPERETIVE و "المبدأ التنازعي" ADVERSATIVE PRIMCIPLE و يمكننا أن نضيف هنا إلى أن المبدأ التنازعي يمكن أن نقسمه إلى "تنازع تناحرى" و "وتنازع تعاوني" ولعل من المهم هنا أن نرصد هذه المفاهيم وتعريفاتها الأولية في الجدول التالي والذي سوف نقوم بالتعليق التوضيحي عليه.

إن الجدول التالي يسمح بتعليقات وتوضيحات عديدة، قمت بتناول بعض منها في سياقات عديدة أخرى . ولكن التعليق على أهم مايثيره بخصوص دراستنا هذه هو أن "التسلط" و "التطرف" ومجرة المصطلحات الأخرى التي تندرج في إطارها قد تدخل في إطار مفهومي "التناحر" و "التنازع"، وهما سبب تأزم الموقف العربي وإخفاق المعالجات التي تتم لكثير من قضايانا على الصعيدين الداخلي والخارجي. . فلقد كان هناك خلط كبير في التوجهات. . **فكان التوجه إلى الوحدة العربية مثلاً في إطار تصور ماينبغي وأن يكون فقط في إطار المبدأ التعاوني/ المثالي. . وهو أمر قد يكون واقعياً في التفاوض الاجتماعي بين صديقين حميمين، أو زوج وزوجة في حالة حب مثلاً، ولكنه ليس كذلك في إدارة "عقول "و "توجهات" التيارات والدول و الكثيرين في واقعنا العربي. ولذلك اختلفت أساليب تحقيق الوحدة والتعاون العربي لأن الكثرة كانت تضع في اعتبارها وتمارس توجهاتها في إطار" المبدأ التعاوني المتصور" فقط. . وكانت الأجندات والتصورات في الحقيقة "متنازعة، وكانت تستلزم الوعي بآليات المبدأ التنازعي في الحوار. . ولكن ليس المبدأ التنازعي التناحري الذي آلت إليه الأمور بمجرد إخفاق توظيف "المبدأ التعاوني . . المشكلة تكمن في أننا لم نتعود ونتدرب على شيء واقعي في عالم اليوم، وهو التعامل مع "المبدأ التنازعي/**

التعاوني " ؛ فمن يتعامل طبقاً لمعطيات هذا المبدأ فإن عليه أن يقر ويتوقع- ودون اندهاش واستغراب- وجود أجندت مختلفة ومتنازعة ، وأن الجهد الإيجابي يكمن في إدارة التنازع بشكل يبعدنا عن التناحر والعمل على إدارة الاختلافات وإدارة الأجندات المختلفة المتنافرة والعمل على تلمس وصنع الأرضيات المشتركة في إدارة الصراع الاجتماعي و السياسي والإداري.

والجدول التالي يوضح أنواع الكلام الرئيسية ومنها مايتعلق بالمبدأ التنازعي والتعاوني:

إن التسلط والتطرف ومجرة المصطلحات المتعلقة بهما هما مداد خطاب « التناحر» والتنازع التناحر ويهمنا هنا أن نرصد أهم ملامح وأنماط الخلل في عمليات إقامة الحجج من واقع التفاعلا التي ذكرناها تفصيلاً على سبيل تقديم صورة كلية لمسمياتها التي أقدمها هنا بالعربية والإنجليزية وهي كما في الجدول التالي:

جدول (٥) : أنواع الكلام والخطابات الرئيسية .

أنواع الكلام الرئيسية (DISCOURSE TYPES)	تعريفها
الوصف (DESCRIPTION)	والمقصود وصف الأماكن - الأشخاص - الأوضاع - إلخ
السرد NARRATION	هو سرد قصة (حكاية) عن المكان - الشخص إلخ
العرض EXPOSITION	هو تقديم الرؤي التحليلية المختلفة بخصوص موضوع أو قضية مادون التدخل بالرأى الخاص . .
الحجج ARGUMENTATION	هو تفنيد الرؤى التحليلية المختلفة بخصوص موضوع ما أو قضية ما، مع تبنى وجهة نظر محددة، والدفاع عنها، وإثبات قوتها وتفوق منطقها على وجهات النظر الأخرى المطروحة .
التناحر DOG FIGHT DISCOURSE	هو ممارسة التسلط والاستبداد والدفاع عن وجهة النظر، دون حجج حقيقية تستند إلى العلم والمنطق السليم، ودون الدخول إلى الحوار بمبدأ تبادل الحجج وهو إقامة الحجج مع الأطراف الأخرى وصولاً للحل أو الطريق الأصوب والأصلح للجميع، والذي يتفق ومنطق العدل وإدارة الخلاف بشكل عقلاني .
المبدأ التعاوني في الحوار COOPERATIVE PRINCEPLE	هو ذلك المبدأ الذي يسلكه المتحاورون، الذي يريدون إظهار التعاون الحقيقي في الحوار، سعياً للوصول إلى حلول سريعة، مع مراعاة كل منها للآخر ولأجندته ولظروفه . . وهذا المبدأ يطبق عادة بشكل أتوماتيكي في حالة عدم وجود تنازع كبير بين أجندات المتحاورين/ المتفاوضين .
المبدأ التنازعي في الحوار ADVERQ TIV DISCOURSE	وهذا المبدأ يمكن رؤيته من خلال تصنيفين رئيسيين وهما «المبدأ التنازعي «التناحرى» أي التنازع المستمر الذي يدعم التسلط والاستبداد، حتى يتم فرض وجهة نظر ما من خلال التنازع والمناورة والحرب والتناحر . . والمبدأ التنازعي/ التعاوني، وهو الإقرار بوجود خلاف كبير في وجهات النظر، ولكن دون الانزلاق لحالة التناحر/ في الحوار، والعمل الجاد على إدارة الصراع بقدر من التعاون مع الآخرين .

جدول رقم (٦) خطايا الحوار التفاوضي الثلاثين

١- هذا الأمر ليس بالشرط نتيجة لذلك	NON SEQUITUR
٢- التعميم المتسرع	HASTY GENERALIZATION
٣- التبسيط الزائد لعلاقة السبب وأثره	CAUSE & EFFECT
٤- الخلل الناتج عن استخدام «عنصر الدحض والتفنيد المسبق	REBUTTAL
٥- الإثبات من خلال التكرار (الحجج الأفقية	PARATAXIS
٦- تجاهل السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضيةما	IGNORIN, THE QUESTION
٧- تجاهل السؤال الرئيسي الذي تطرحه قضية ما	IGNORIN, THE QUESTION
٨- خلل الإيحات الناتجة من ثنائية المعاني	EQUIVOCATION
٩- حوارات المباراة الصفرية (التناحرية)	ZERO SUM GAME DISCOURSE
١٠- حوارات التأطير	FRAMING
١١- التأطير المتعسف	HASTY FRAMING
١٢- حوارات تضخم الإحساس بالذات	SELF INFLATED EGO
١٣- حوارات رد الفعل المتأخر	DELAYED REACTION
١٤- حوارات المؤامرة الكبرى	CLAIM CLOUDING OR DITCHING
١٥- حوارات الصمت والغموض	SILENCE & AMBIGUITY
١٦- حوارات الإحباط واليأس والحيرة	DISCOURSE OF DESPAIR
١٧-حوارات «جدلية الوسائل» (التسحلف)	TURTLE - LIKE DIXCOURSE

جدول رقم (٦)

١٨- حوارات « الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة FAKE IDEALISM & LOSS OF AENTIVER FORMULA
١٩- حوارات الإطلاقية في القبول والرفض وحتى «الحل الوسط» ABOSLUTIS
٢٠- حوارات تبديل المواقف بسرعة وانفعالية حادة AHTTUDE IRRATIONAL SHIFTING
٢١- حوارات «التحفيز الإنفعالي» EMOTIONAL ACTIVATION
٢٢- حوارات «الإذعان واستراتيجيات الدونية DISCOURSE OF COMPLIANCE & INFERIORITY
٢٣- حوارات المبالغة في استخدام ألقاب التخاطب EXAGGERATED TERMS OF ADDRESS
٢٤- حوارات الاسبداد والتسلط AUTHORITYARIAN/ DESPOTIC DISXOURSE
٢٥- حوارات «الغفران العام» OVERGENRALIZED FORGIVING
٢٦-حوارات «صور كبش الفداء» SCAPE - GOAT DISCOURSE
٢٧- حوارات خلط الأوراق / القضايا MIXING OF ISSUES / CARDS
٢٨- حوارات «سوء استخدام سلطة النص» MISUSE OF THE POWEY OF THE HOLY TEXT
٢٩- حوارات « غيبوبة الماضي PAST COMA DISCOURSE
٣٠- حوارات « القوالب الذهنية المتفجرة «القوالب الذهنية الاستاتيكية» "EXPLOSIVE SCHEMATIC AGENDA" SATIC/ PRESET SCHEMTIC

نختم هذا الجزء بالقول بأن الحجج تتسم بما يلي:

١- أن لها **أصول علمية** ينبغي الأخذ بها . . .

٢- إنها نسبية . . أي إننا نصل إلى أفضل حجة ممكنة مع قياسها بالواقع المُعاش . . .

٣- إنها **جماعية** حيث أن الوصول لأفضل الحجج يستدعي تبادل الآراء المختلفة بخصوص قضية جدالية بطبيعتها . . . أي أنها ترسخ من فكرة العمل الجماعي إذا ماسرنا طبقاً لقواعدها الأصيلة فهي تستدعى الدخول إلى المناقشة بروح الوصول إلى الأصوب والأفضل وليس الدخول في النقاش بمنطلق أحادي التوجه من أجل إثبات وجهة هذه النظر أو تلك فقط من باب أنها مجرد وجهة نظرنا . . .

٤- إنها **قاصرة** . . . أي أنها تسعى للوصول إلى ماهو أصوب وأفضل وليست للوصول إلى الكمال لأن الكمال لله سبحانه وتعالى فقط . .

ونحن بشر نتعلم من لدن الله سبحانه وتعالى علماً يقول الحق عزوجل : **﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾** .

صدق الله العظيم، والله ولي التوفيق

نختتم هذا الجزء بالقول بأنه يتعين علينا العمل على اتقان عملية إقامة الحجج والتزود التقني من أجل ذلك الغرض - وهو ماتسعى إليه هذه الدراسة - فهذا لمن الأمور الحيوية للوصول إلى أصوب القرارات وللعمل بروح الفريق الواحد، وعلينا أن ندرك أن فكرة الحجة هي فكرة اقناع نسبي حيث أننا نصل من خلال تبادل الحجج - طبقاً للأصول العلمية - إلى أفضل الحجج .. إذن هي تحتاج بطبيعتها إلى عمل جماعي وليس أحادياً .

** ** **

المراجع العربية للجزء الثاني للدراسة

أولاً : الكتب والدوريات والندوات:

- ابن الجوزي : "أخبار الأذكياء" تحقيق محمد مرسى الخولي مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٩ .
- ابن خلدون، الشفاء السائل لتهذيب المسائل تحقيق اغناطيوس عبد خليفة اليسوعي، بيروت المطبعة الكاثوليكية١٩٥٦ .
- أبوسنة : فلسفة المثل الشعبي وزارة الثقافة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر أول مارس ١٩٦٨ .
- أبوالعدوس، يوسف : ندوة «طه حسين ومستقبل الثقافة العربية» بحث بعنوان «إشكالية الثقافة العربية المعاصرة ومشروع طه حسين - رؤية عامة -جامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٨٩ .
- الأميري، عمر بهاء الدين الحوار نافذة من نور المسلم المعاصر ربيع الثاني ١٣٩٥ ، أبريل ١٩٧٥ .
- الجابري، محمد عابد : الخطاب العربي المعاصر . . . دراسة تحليلية نقدية دار الطليعة - بيروت- الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٨٥ .
- الجابري، محمد عابد : بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية. مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٦).
- الجابري، محمد عابد : العقل السياسي العربي . مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ١٩٩٠ .
- السيد ياسين ومجموعة الباحين : تحليل مضمون الفكر القومي العربي مركز

دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢ .
- السيد ياسين : التحليل الثقافي في أزمة الخليج "مجلة المستقبل العربي- مركز دراسات الوحدة العربية ٦/ ١٩٩١ .
- السيد ياسين : "خطاب الأزمة وأزمة الخطاب المأزق العربي" منتدي الفكر العربي مركز الدراسات السياسية والآستراتيجية مؤسسة الأهرام القاهرة ١٩٨٦ .
- أيوب ، حسن : السلوك الاجتماعي في الإسلام . دار التراث العربي ، القاهرة ١٩٨٧ .
- برهان ، غليون : اغتيال العقل العربي ، محنة الثقافة العربية السلفية والتبعية ، بيروت : دار التنوير ١٩٨٥ .
- بدران ، ودوده البحث الأمبريقي في الدراسات السياسية ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة ١٩٩١ .
- حنفي ، حسن : "قراء النص" الهرمينوطيقا والتأويل ، مجلة الف العدد الثامن ١٩٨٨ .
- حسن - وجيه ، حسن : "الإدراك اللغوي وقضية التنمية" مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحددة وكندا العدد ١٤ ، العام الرابع ، أكتوبر ١٩٨٤ .
- حسن - وجيه «رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر» مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا ، ديسمبر ١٩٨٦ .

- حسن - وجيه، حسن: "مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي" **المجلة العربية للدراسات الدولية العدد الأول خريف ١٩٨٧**، الجمعية العربية للدراسات الدولية بواشنطن د. س.
- حسن - وجيه، حسن «**البحث الأمبريقي في الدراسات السياسية** تحرير د. ودوده بدران- مركز البحوث- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩١.
- جابر العلواني، طه: **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالي للفكر الإسلامي هيرندون- فيرجينيا ١٩٨٧.
- قاسم، سيزا: "توالد النصوص وأشباع الدلالة: تطبيق على تفسير القرار الهرمينوطيق والتأويل مجلة ألف العدد الثامن ربيع ١٩٨٨.
- شرابي، هشام "البنية البطركية": بحث في المجتمع العربي المعاصر دار الطليعة بيروت ١٩٨٧ (ولقد صدر نفس الكتاب بالإنجليزية - الناشر مطبعة جامعة اكسفورد - نيويورك ١٩٨٨.
- شرابي، هشام: **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**، بيروت الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١.
- محمد، عبدالعليم **الخطاب الساداتي**، كتاب الأهالي رقم ٢٧ القاهرة ١٩٩٠
-نصر، مارلين **التصور القومي العربي في فكر جمال عبدالناصر** (١٩٥٢-١٩٧٠) دراسة في علم المفردات والدلالة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨١.

ثانياً : المقالات الصحفية

- إبراهيم نافع ، «محاولة فهم الغموض الأردني» الأهرام ٣٠/ ٨/ ٩٠ .
- أحمد نافع «قبل ضياع الفرصة» الأهرام ٢٦/ ٨/ ١٩٩٠ .
-إحسان بكر «قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة» الأهرام ١٤/ ٨/ ٩٠ .
- إحسان بكر «ثمن الصمت . . » الأهرام ١٨/ ٤/ ٩٠ .
- السيد ياسين ، المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج» الأهرام ٨/ ٣/ ٩١ .
- إسماعيل صبري ، «أكاذيب صدام» الأهرام ٢٠/ ٨/ ١٩٩٠ .
- أنيس منصور ، «مواقف» الأهرام ١٨/ ١٢/ ٩١ .
- ثروت أباظة «أقتل وبهتان» ٢٧/ ١/ ١٩٩٢ .
- جمال بدوي ، «لغز الملك حسين» الوفد ٢٨/ ٨/ ٩٠ .
- حسن حنفي ، «خطاب للأجيال القادمة» الأهرام - الحوار القومي - ٧/ ١١/ ٩٠ .
- حسن- وجيه «المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة» الأهرام ١٣/ ٨/ ٩٠ .
- حسن - وجيه ، «المحنة القومية وملف قضية لغة التخاطب» الأهرام الدولي ١/ ١٠/ ٩٠ .
- حسن - وجيه ، «الفكر العربي الحديث ومشكلة «لغة التخاطب العلمي» الأهرام ١٦/ ١١/ ٩٠ .
- حسن- وجيه ، « التفاوض اليومي في المجتمع العربي » الأهرام

١٤/ ١٢/ ٩٠ .

- حسن - وجيه ، «التغيير والحوار التفاوضي في العالم العربي» «الأهرام ٣/ ١/ ١٩٩١ .

- حسن - وجيه ، «العقل العربي والحوار مع الآخر» الأهرام ١٥/ ١٠/ ١٩٩١ .

- حسن- وجيه ، «العقل العربي والحوار مع الآخر» الأهرام ٦/ ١٢/ ١٩٩١ .

- حسن- وجيه ، «العقل العربي والحوار مع الآخر» الأهرام ١٤/ ٢/ ١٩٩٢ .

- حسن- وجيه ، «إحداث موسكو وأنماط من التفاوض العربي» الأهرام ٣/ ٩/ ٩١ .

- حسن - وجيه ، «ديمقراطية التعليم ولغة الحوار» الأهرام الاقتصادي ٤/ ١١/ ١٩٩١ .

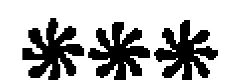
- حسن- وجيه ، حسن «على الغرب أن يحذر الفخ الذي ينصبه رشدي : الجدال الدائر حول «الآيات الشيطانية» تجاهل أسس الحوار الفكري الإسلامي ترجمة من الإنجليزية لمقال نشرته جريدة الهويا الصادرة عن جامعة جورة تاون واشنطن د. س بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٨٧ .

- خالد محمد خالد ، «ليست المشكلة في وجود القوات الدولية . بل الكارثة في غيابها» الأخبار ١٢/ ٨/ ٩٠ .

- رجب البنا «عرب ١٩٩٢» الأهرام ٢٢/ ١٢/ ٩١ .

- زكريا نيل، «لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية» الأهرام ٨/ ٩/ ٩٠.
- زكريا نيل، «الرموز الغامضة في لعبة الإنكسار العربي» الأهرام ١/ ٨/ ١٩٩٠.
- سعيد الدين إبراهيم، «مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية» الأهرام ١٦/ ٨/ ٩٠.
- سعيد سنبل، «خلط الأوراق» الأخبار ٢٩/ ١/ ٩١.
- سعيد سنبل، «الأزمة والصمت» الأخبار ٤/ ٩/ ٩٠.
- سلامة أحمد سلامة، «الحجج الأردنية» الأهرام ١٧/ ٩/ ٩٠.
- سناء أبوالفتح، «أزمة وتعدي» الأخبار ٢١/ ١/ ٩١.
- عبدالمنعم سعيد، «لماذا لانفوز بكأس العالم!» الأهرام ١٩/ ١/ ٩٠.
- عبدالوهاب المسيري، «هل صدام هو الذي ربط بين الغرب وإسرائيل» الشعب ٢٩/ ١/ ٩١.
- فهمي هو يدي، «خطاب الخروج من المأزق» الأهرام ٨/ ١/ ٩١.
- فهمي هويدي، «خطاب في الكفر والظلم» الأهرام ٢٣/ ١١/ ٩١.
- فيليب جلاب، «عن الغزو والحرب والتواطؤ» الأهرام ١٤/ ٣/ ٩١.
- لطفي الخولي، «حرب اللاحرب» الأهرام ٢٧/ ١٢/ ٩٠.
- محمد عابد الجابري، «كلام . . الآن فقط أصبح له معنى». جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية ٢٧/ ١/ ٩١.
- محمد عابد الجابري، «كلام . . الآن فقط أصبح له معنى» . جريدة الاتحاد الاشتراكى المغربية ٢٧/ ١/ ٩١.

- محمد أبوعلم، "جهنم بعده لن تطلب المزيد «الأخبار ٢٠/ ٢/ ٩١ .
- مراد الدسوقي، «حرب الكلمات وكلمات الحرب» الأهرام ١٦/ ١١/ ٩٠.
- مرسي عطا الله «سياسة الهروب من المواجهة ليست في مصلحة العرب «الأهرام ٦/ ٢/ ١٩٩٢ .
- وجيه أبوذكري، «إلى زعيم العالم الجديد: رفقاً برعايك» الأخبار ١٣/ ١٢/ ٩١.



مراجع القسم الأول من الجزء الثاني
(المراجع الأجنبية)

المراجع الأجنبية

1 BOOKS

Aly, Abdul Moneim Said, "The United States And The Octobe 1973 Meddle East Cristis:" **A Dissertation,** University Of Illinois, Chicago, December 1982.

Aron, Raymond, **Peace & War; A Theory Of International Relations,** Doubleday: Garden City- N. Y. 1966.

Ausubel, D., **Educational Psychology**. Acognitive View, N.Y 1968.

Barber- James. **Presidential Character, Predicting Performance In The White House,** Prentice- Hall Inc. N. J. 1985.

Bateson, Gregroy, **Steps To An Ecogogy Of Mind,** Ballentine: N. Y. , 1972.

Becker, A. L. Text -Building, Epistemology & Aehetics In Javanes Shadow Theatre. In: **The Immagaination Of Reality** Edited By A.L. Becdr & Aram. Yengoyan Norwood, N . J. Ablex, 211-243, 1979.

Bolinger, Dwight, **Pronouns In Discourse & Syntax,** Edited By Talmy Givon New York; Academic Press 289-309, 1979.

Berlson, B. **Content, B. Content Analysis In Conmmunication Research,** Free Rpess N . Y. 1952.

Brown Carl **International Polities & The Middle East,** Princeton University Press 1984.

Brown, Gillian & Yule, George, **Discourse Analysis** Cambridge University Press: Cambridge, 1983.

Caldwell, Dan , Duke Press Plolicy Studies Durham, N . C. 1983.

Coulthard, Malcolm 257 - 276 **An Introduction To Discourse Analysis.** London" Longmans, 1977.

Chomsky, Noam, **Aspects Of The Theory Of Syntax.** The Mi. T Press, 1965.

.................., **Language & Mind,** Harcourt, Brace & World Inc., 1968.

Dittmar, Norber. **A Critical Surver Of Sociolinguistcs: Theory And Application.** Translated From German By Seter, S. And Peter, Et Al., Nortin,S Press: No Y.. 1976.

Dubois, F. Edellive Et Al **A General Rhetoric Translated** By Pone B. Rurell & Edger M. Slotken, John Hopkings 1981.

Duetsch, Karl W. **Nationalism And Social Communication: An Inquiry Into Foundations Of Nationality,** 2nd Ed. Ait: Cambridge, Ma. ; 1966.

.................**The Analysis Of International** Relations, Prentice- Hall, Inc. N.J. 1978.

Edelman, **M. Political Language; Words That Succeed And Ploitics That Fail,** Academic Press: N. Y. 1874

Edelamn, **M. Ploitical Language & Political Reality P . S., 1985.**

Edelman , M. **Politics As Symbolic Action.** Acaemic Press, N . Y. , 1971.

Fowler, Roger Et Al **Language & Control,** Routledge & Kegan Paul Ltd,. London, Boston. 1979.

Frazer Noill M. & Hipel, H. **Conflict Analysis: Models & Resolutions.**

North & Holland. New York, 1984.

Goffamn, Erving. Strategic Interaction, University Pennsylvania Press, 1969.

Grice, H.P. "**Presupplsition & Conversational Implicature:**, In Cole, S Ed. 1981.

Gumperz John "Sociocultural Knowedge In Conversational Inference". From Muriel **Saville- Troike, Ed. Gurt** G . U . Press, Washington D . C., 1977.

Gumperz Hohn, **Social Setting** Of Linguistic Behavior, In Slobin. 1967

Gumperz Hohn, "Thematic Structure & Progression In Discourse In **Language And Social Identity**, Cambridge University Press, Inc. London, 1982.

Habeeb, M. William. **Power & Tactics In International Negotiation,** The Johns Hopking University Press: Bultimore, Mary Land, 1988.

Hassan, Wageigh, H. " Linguistic Analysis Of Mechanisms Underlying Power In International Political Negotiations '**A Dessertation**, Georgetown University, Washington D. C. 1989.

Heider John, **The Tao Of Leadership: Leadership Strategies For A New Age**, Bantam Books, N. Y., 1985.

Holste, K.J., **International Ploitics; A Framework For Analysis,** (1st Edition, 1966) Prentice Hall: New Jersey, 1988 Edetion.

Hymes, Dell. "Verse Analysis Of A Wasco Text: "**Heram Smith' S At ' Unaqa**; Ijal 46. 650-77. 1980.

Ikle, F. **How Nations Negotiate,** Institute For Diplomacy Washington D. C. 1988.

Institute For The Study Of Diplomacy Of Georgetown University **U. N. Security Council Resolution 242: A Case Study In Diplomatic Ambiguity,** Washington D. C., 1985.

Labov, William, **Sociolinguistic Patterns**; University Of Pennnsylvania Press, And Oxford: Blackwell, 1972.

Labov, W And Fanshel, **D. Therapeutic Discourse,** N . Y. Aeademic Pvess 1977.

Lado, R. **Linguistics Across Cultures,** Ann. Arbor, Mich. 1957.

"How To Test Cross - Cultural Undrstanding In R . Lasdo, **Language Testing**. London: Longmans, Green, 1961.

N . Y . Mc Gran - Llill 1964, Pp. 275 - 89.

Laffin, John, **The Arab Mind Considered: A Plea For Understanding,** N . Y. Japlinger 1975.

Lanne- Poole, Stanley, **Saladin And The Fall Of The Kingdom Of Jerusalem** G . P. Putnam,S Sons. N . Y., 1978.

Lasswell, Harold, **"The Language Of Power" In Language Of Politics**; Studies In Quantitative Semantics (H . D . Lasswell & N. Listes), George Stewart Publisher, Inc., :New York 1949.

Lyons, John **Language And Linguistics,** Cambridpe Univeisity Press 1981.

Mallery, .C. **"Computing Strategic Language: Natural Language Models Of Belief & Intention"**, Meeting Of The International Political Association. Washington D. C. 1978.

Nicolson Harold, **Diplomacy,** Institute For The Study Of Diplomacy,

Georgetown Uniersity, Washington D . C. 1988 (Ed.).

Jespersen , Oho L , **Language Its Nature, Development And Origin** London: Allen & Nmwin, 1922.

Patai, Raphael, **The Arab Mind**, Charles Scribner 'S Sons, N . Y. , 1983.

Quandt, William, **Decade Of Decisions, American Policy Toward The Arab Israli Conflict, 1957 - 1976**, University Of California Press: Los Angeles, 1977.

Radford, K. J. **Complex Decision Problems**, Reston Publishing Company, Reston, Va, 1977.

Rorty, Richard; **The Linguistic Turn: Recent Essays** In Chicago, 1967.

Rieke, R And Malcolm Sillars **Argumentaton And The Decision Making Process Scott**, Foresman And Company Glenviem, Jllinois 1984.

Samarin, William J . **Language In Religious Practic**. Rowley Mass: New Bury House. 1976.

Saville- Troike, Muriel 1985: "The Place Of Silence In An Integrated Theory Of Communication In Deborah Tannen & Murial Saville - Troie (Eds.) , **Perspective On Silence**, Ablex: Norwood, N . J. 1985.

Shapiro, M . J. : **Language & Political Understanding**. Yale University Press, 1981.

Shuy, Roger 1981 "Topic As The Unit Of Analysis In A Criminal Law Case' In **DT. (Ed)** Gurt Washington D . C.

Shuy, Roger. "Conventional Power In Fbi Covert Tape Recordings,

In **Leah Keadar,** Eds., 1987.

Snyder, Glenn. And Diesing, Paul. **Conflicts Among Nations: Bargaining, Decision Making And System Structure In International Crises,** Princetion University Press: N J. 1977.

Stubbs, Meichael. **Discourse Analysis : The Sociolinguistics Analysis Of Natural Language,** The University Of Chicago Press: Chicago, Il, 1983.

Tannen. Deborah & Mureil Suvlle- Troike, Eds. **Perspective, On Silence, Ablex** Norwood, N . J., 1985.

Tannen, Deborah, **That Is Not What I Meant.** William Morrow & Co. Inc., N.Y. 1986.

Tannen, Deborah **The Pragmatics On Cross- Cultural Communication,** Applied Linguistics, Vol., 5, No.3, 1984.

Weinstein: Brian: **The Civic Tongue: Political Consequence Of Langauge Choices,** Longman, London, 1983.

Yassin, El Sayed "In Search Of A New Identity Of The Social Sciences Int He Arab World: Discourse, Paradigm, And Strategy In **The Next Arab Decade: Alternative Futures,** Ed. By H. Sharabi (English Version), West View Press: Colorado,1988 (Arabic Version Issued In 1986).

Young, O. R. **The Intermediaries: Third Parties In International Crisis,** Princeton University Press: Princeton, 1967. Periodi Cals.

Periodicals

Azar, Edward, "The Conflict & Peace Data Bank (**COPAB**) Project,

Journal Of Conflict Resolution, Vol. 24, No. I, March, Pp. 143-52, 1980.

Bate Walter, J. "The Crisis Of English Studies, In **Harvard Magazine**, Sep, -Oct. 1982, Pp. 46-53.

Becker, A . L "The Linguistics Of Particularly" , **BLS** 10, 1984.

Bell , David. "International Negotiations And Political Linguistics, " **Unpublished Paper**, York University, Politicial Science Rept. Ontario, Canada, 1988.

Caika, E., 1974, " A Linguist Looks At Schizophrenic Language:, **Brain & Language**, Vol. 1 Pp.

Cicourel, Aron V. : "Discourse & Text: Cognitive & Linguistic Process In Studies Of Socio Structure" **Versus** 12.33-84, 1975.

Dubby, G And J . C . Mallery "Relatus And Artificial Intelligence Tool For Natural Languege Modeling, "Praper Presented At Ghe 1986 **Meeting Of The International Studies** Association, Anaheim, March, 1986.

Eco, Umberto. Dr . Eligia, Dolbuox Deassman (An Interview) In Fraser Bruce "Disputing: The Challenge Of Adversative Discourse To The Cooperative Principle" In **Tomic & Shuy Eds,** 1987.

Hassan - Wageigh , H " Going Beyond Notional Functional Syllabuses "**SECOL Review** Vol. X1 # 1987.

Hassan -Wageih, H The West Must Beware Rushdie's Trap: Contvoversy Over "Satanic Verses Ignores Islamic Intellectual.

Tradition **The Hoya** , Georgetown University Feb .28 ,

1989.

Hassan - Wageigh, H "Towards A Field Of Political Linguistics: Implication For Creativity In **EFL** Classes **CDELT**., Ain Shams University 1991.

Johnstone, Barbara, "Parataxis In Arabic ; Modificationas A Model For Persuation", An **Unpublished Paper**, Georgetown University, 1985.

Koch, Barbara Johnstone, "Presentation As Proof: The Language Of Arabic Rhetoric", In **Anthropological Linguistics**, 251 : 47 - 60, Spring, 1983.

Mallery, . C. " Computing Strategic Language; Natural Language Models Of Belief & Intention", **Meeting Of The International Political Association**. Washington D. C. 1987.

Mallery, J . & G. Duffy " A Computational Model Of Semantic Perception **Al mino**, No. 977, Artificial Intelligence Laboratory, **MI** Cambridge, 1988.

Mandler . J . M And Jonson , N . S . "Remembrance Of Thingsb Porson : Story Strueture & recal **cognitive Pcychology** 111 - 51 1977.

Mastubara, Nozzomu, Conflict And Limits Of Power, **XIVth World Congress Of International Poliical Science Association,** 1988.

Mehan , Hugh " Sucial Constructivism In Psychology And Sociology. Sociologic Et Societies Inc. 277-96 1982.

Newsweek , Aug. 12 1990.

.... Aug . 20 1991.

Onuf , Nichholas " After International Relntions: The Constitution Of Disciphines And Their Worlds", Apaper Presented At **American Political Science Association**, Chicago, Illinois, Sep. 1987.

Shuy, Roger 1981 "Topic As The Unit Of Analysis In A Criminal Law Case" In **DT**. **(ed)** Gurt Washington D. C.

.................., " Conversationol Power In Fbi Coert Tapev Recordings, In **Leah Kedar, Eds.**, 1987.

.................., "Indirectness In **Discourse, Ethnicity** As Conversational Style, Discourse Processes, 1981.

Ting - Toomy, S. "Toward A Theory Of Conflict And Culture Intercurltural **Communication Annal** 9, Pp. 71 - 86, 1985.

Widdowson, H. "Notional - Functional Syllabuses" Part 1v" In **Exploration In Applied Linguistics**, London 1979.

الجزء الثالث

تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨ :

بين إدارة التوابع وإدارة غموض ذلك السيناريو النووي المستجد!

[اطلالة أخرى على أنماط الحوار التفاوضي من خلال هذه الملفات الحديثة!]

تمهيد :

في هذا الجزء نستكمل رصد الخطاب الذي تناولناه مسبقاً ولكن في ظل أزمات مستجدة مثل أزمة خليج ١٩٩٨ وتقديم تصور لإدارة تبعاتها وهذا مانحاوله من خلال الفصل الثالث عشر بعنوان " تحليل لأهم تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨ وإدارة توابعها . . " . . . ثم نقدم بعد ذلك تحليلاً لسيناريوهات مستقبلية مطروحة على الساحة لمن يرصدها ويقيمها، خاصة وإن واحداً من هذه السيناريوهات التي يقدمها كل من كاسبر وينبرج وبيتر شويتزر في كتابهما بعنوان " **الحرب القادمة** " وهو سيناريو نووي" . . . أي يدخل فيه بعد استخدام السلام النووي . . وهنا وفي إطار هذا الفصل (الرابع عشر) بعنوان "سيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي/ الشرق الأوسط : إطلالة على البعد النووي المستجد" ، نتعرض إلى ذلك البعد النووي المستجد الذي فجرته التفجيرات النووية الهندية والباكستانية في محاولة لإدارة الغموض بخصوص هذا البعد في رصدنا للسيناريوهات المستقبلية ومحاولة التدخل الإيجابي فيها من أجل تفعيل أفضل السيناريوهات المتفقة واجندتنا الاستراتيجية .

أما الفصل الخامس عشر وهو الفصل الأخير بهذا الجزء الثالث

وبالدراسة فنقدم من خلاله تقييماً لواحد من أهم السيناريوهات الكونية المعروف بسيناريو "صراع الحضارات" ليس فقط على صعيد ما أثير في الغرب بخصوصه ولكن نحلله كذلك على مستوى التلقي العربي وطبيعة ملفات الحوار التي فتحت له في واقعنا العربي . .

ونربط بين التحليل المقدم وبين ماينبغي وأن نقوم به على صعيد دبلوماسية المسار الثاني في إطار مثل هذه السيناريوهات .

***

الفصل الثالث عشر

تحليل لأهم تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨ وإدارة توابعها

أولاً : بُعد التفاعلات العربية العربية

إذا كان هناك عدة مستويات لدراسة تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨ فإن من أهم هذه المستويات هو بعد التفاعلات العربية العربية أساساً لأنه إذا نجحنا في إدارتها تمكنا من ادراة علاقتنا بالآخر على المستوى الدولي على نحو أفضل بكثير . . . ولذا كان من المهم أن نحلل هذه التفاعلات أولاً على سبيل استكمال رصد الأنماط التي ذكرتها في دراستي لتحليل تفاعلات أزمة خليج ١٩٩١ والتي قمت بإعادة نشرها في القسم الأول من هذا الجزء الثاني . وفي إطار هذا التحليل نرصد عشرات الملفات في الواقع العربي بشأن الكثير من القضايا التي لاتزال تجسد الأنماط والظواهر السلبية في الحوار "اللاتفاوضي" ولقد رصدت منها الكثير وفي إطار هذا الكتاب رصدنا ملامح من التفاعلات حول ماسُمي بمبادرة كوبنهاجن في القسم الأول من الكتاب ، أما فيما يتعلق بأنماط التفاعل حول أزمة خليج ١٩٩٨ فأرصد هنا البابين التاليين تحت عنواني " الحكمة و الإذعان في العقل العربي " و "نظرية العقرب والضفدع في الخليج العربي .

* «الحكمة» و«الإذعان» في العقل العربي وفي «الوجدان الإنساني»

آثارت تفاعلات ماسمي بالأزمة «العراقية الأمريكية» تارة أو «أزمة العراق مع الأمم المتحدة» تارة أخرى ضمن ماأثارت من الكثير من الأمور مناقشة لمفهوى «الحكمة» و «الإذعان». وربما أكثر تلك التفاعلات التي ركزت بشكل غير مباشر على المفهومين مقال الأمير خالد بن سلطان في الحياة بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٩٨ حيث يشير من خلاله إلى مشكلة الرعونة - المألوفة مع الأسف -وجلب الأزمات من قبل البعض في الوقت الذي تخدم مثل هذه الأزمات كل الأعداء والخصوم والمشكل أن الإذعان يكون نتيجة مثل هذه الأزمات كما حدث ورأينا. ولقد كان من الأمور الصبعة في هذه الأزمة هو أن نفوت على من اصطنع الأزمة وعلى من يتربص بالمنطقة الفرصة وكان علينا نزع فتيلها ولعل من التفاعلات التي تلقي الضوء على المفهومين في وقت إدارة تلك الأزمة مادار من حوار بين الزميل . د محمد السيد سعيد بمركز الدراسات بالأهرام ونائب رئيس الوزراء العراقي أ. طارق عزيز في إحدى الفضائيات العربية. وبالرغم من وجود اختلاف كبير بين وجهتي نظر المتحدثين إلاّ أن نوعية هذا الحوار لتعتبر من ملامح التفاعل الإيجابية التي أفرزتها الأزمة. فبالرغم من فشل الحوار في ذات البرنامج بين أ. طارق عزيز وأحد الصحفيين لأن

الصحفي لم يكن موفقاً في استخدام الألفاظ الحريصة والإيجابية للاستفادة من فرصة مثل ذلك الحوار أثناء لحظات صعبة في الأزمة، مما دعى طارق عزيز لإنهاء الحوار معه بسبب مارآه من عدم لباقة في لغة الحوار، إلاّ أن حوار د. محمد السيد سعيد وطارق عزيز قد نجح بالرغم من الاختلاف الكبير بين وجهتي نظر المتحدثين على مدى فترة الحوار خاصة بخصوص ماورد في فهمهما لمفهومي «الحكمة» و «الإذعان». وقبل أن يكون هذا الحوار نقطة انطلاق للاسترسال في قراءة أقدمها لتفاعلات العقل العربي أثناء هذه الأزمة أود أن أقول أن حوار د. محمد وأ. طارق عزيز ينتمي إلى سجل الحكمة في تفاعلات العقل العربي في هذه الأزمة وذلك لعدة أسباب موضوعية منها.

إن كل من الطرفين كان وواضحاً للغاية في نقل وجهة نظره المخالفة للآخر دون اللجوء لما هو معتاد في حقل التفاعلات العربية من حيث توظيف الأساليب الحادة تارة أو على النقيض توظيف مفهوم «التشحيم الاجتماعي» SOCIAL LUBRICATION ، الذي يتخطى مفهوم اللباقة إلى مفهوم الخوف من مواجهة الطرف الآخر بوجهة النظر المخالفة تماماً فيتم تخفيفها - عادة - بما يسميه خبراء علم اللغة الاجتماعي بآليات «تنعيم الحوار» DISCOURSE SOFTNERS ، وهو الأمر الذي تكاد تنعدم بسببه المصارحة والمواجهة الإيجابية عادة في

واقع تفاعلاتنا. فتختفي أو تهرب المعالجة الواضحة والمحددة لجوهر المشكلة التي يتعين معالجتها على الفور ولقد كان من إيجابيات هذا الحوار أيضاً هو أن الطرفين قد أظهرا قدراً من احترام كل منهما لشخص الآخر، وبذلك استطاعاً أن يجسدا مبدأ مهماً من مباديء التفاوض الفعال يقول: «احترام شخص المفاوض الآخر وهاجم عناصر المشكلة أساساًمن أجل حلها ووقف تفاقمها».
(ATTACK PROBLEMS NOT PERSONS)

ولا أريد الخوض هنا فيما أسفر عنه ذلك النقاش بخصوص مفهومي «الحكمة» و «الإذعان» بل أريد أن أقول باختصار إنه لمن الحكمة أن يتجنب المفاوض في السياق الإجتماعي والإداري والسياسي كل مل يؤسس لسياق يُخرج الأمور من يده، فعندما نرتكب خطأ واضحاً، فلابد من الإعتراف به وتحمل تبعاته، خاصة وإذا كان الهروب من تلك التبعات يزيد الأمور سوءً وخراباً على الجميع.. المشكلة تكمن أحياناً في الاستغراق في المسميات فنريد أن نستخدم مثلاً كلمة تنفيذ القرارات بدلاً من الإذعان للقرارات وفي نفس ذات الوقت ينبغي أن «تفوت» مانسمعه عن «الانتصارات» في «أم المعارك الثانية»!! المشكلة هنا هي الاستغراق في تنعيم المفردات تارة أو إطلاق الأكاذيب تارة أخرى.

والمشكلة أيضاً تكمن في تلك الاحتقانات المتعددة المستويات في واقعنا العربي فكما نفهم مما جاء بمقال للأمير خالد بن سلطان في الحياة (٢٥/ ٣/ ٩٨) إن قطاع من الجماهير الطيبة قد خلط كثيراً مماتعاني منه من احتقانات ورغبة في المواجهة الصحية مع كل من يستهدف الأمة، فرفعت صور صدام «كرمز للمواجهة» في الوقت الذي يعتبر من أكثر من أساءوا إلى هذه الأمة وإنه ليفتعل كل أزمة وأخرى كي يذعن في النهاية تماماً بعد الضربات أو بعد أن يتأكد من حدوثها كما في المرة الأخيرة والضحية شعبه المسكين الذي لايساوي شيئاً عنده. . إن ماحدث من خلط أثناء تلك الأزمة ليمثل جانب من هذه المشكلة القديمة الحديثة التي نعاني منها - فهذه الشخصية يصعب معها فصل المشكلة عن الشخص فعلاً- في الوقت الذي تنطلق البوارج وحاملات الطائرات لتتقوقع في مياهنا ومن حولنا وينطلق كوبوي النظام العالمي الجديد - الذي لايمكن أن نلومة كثيراً- فنحن الذي أعطينا له الفرصة الكبرى. . والأمور الآن تساعدة كثيراً بعد أن ترك الجياد والحبال واستبدلها بدبلوماسية البارجة الفجة GUNBOAT DIPLOMATY، والتي ظن العالم أن زمامها قد ولى وإن إدارة الأمور الدولية تحتاج إلى مزيد من الحكمة وليس من القوة والأسلحة الذكية وبث الرعب لدي الجميع بل الكثير من العدل وتجنب المعايير المزدوجة. . فلقد أتضح للجميع أن المطلوب من العراق ماهو أكثر من الإذعان. . المطلوب هو إذلال شعب مسكين أنكوى بنار وأخطاء

الديكتاتورية الاستبدادية من الداخل ويدفع ثمن تربص المتربصين من الخارج . .

في هذا الخضم كانت مصر والمملكة العربية السعودية من أول من يسجل اعتراضه على توجيه أي ضربة عسكرية ضد العراق وكلف الرئيس حسني مبارك الأمين العام لجامعة الدول العربية بالتحرك فوراً من أجل تفويت الفرصة على كل متربص ومن أجل منع مزيد من الخسائر والدمار للشعب العراقي وانطلقت المظاهرات في القاهرة وفي العواصم العربية . . ولاجديد في ذلك وبادر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ولي العهد بالمملكة العربية السعودية بالذهاب إلى القاهرة والتشاور مع أخيه الرئيس مبارك ونشط محور القاهرة- الرياض لتكثيف الجهود لاحتواء الأزمة وأظهرت القيادات العربية كلها قدراً كبيراً من الحكمة لايقاف دبلوماسية البارجة الرعنة . . أما الأمين العام كوفي أنان وبالرغم مما يثار حول شخصه من جدل إلاّ أنه وفي إدارته لازمة خليج ١٩٩٨ قد أثبت أنه يستحق التواجد في منصبه . . فلقد أدار دفة الأمور بكفاءة وحكمة فلقد رأى أنه من الحكمة أن يحاول المحافظة على ماء وجه الطرف العراقي بالرغم من صعوبة الموقف ورأى من الحكمة أن يعد نفسه جيداً وقبل جولة المفاوضات الحاسمة التي انتزعت فتيل الأزمة . ورأى من الحكمة أن يرفض الذهاب للبيت الأبيض ويعلق موعد زيارته لواشنطن إلى أجل

غير مسمى في إشارة واضحة ورد حاسم على الانتقادات التي وجهت للدور الإيجابي الذي قام به كأمين عام مسئول للأمم المتحدة غير مبال بغطرسة وحماقة القوة الأمريكية التي لن تكون بالعائد الإيجابي للولايات المتحدة في المستقبل البعيد.

«الحكمة» و «المصالح» في الوجدان الإنساني:

إذا حاولنا أن نقدم تقيماً لدور القوى الدولية الأخرى في إدارة هذه الأزمة وممانعة روسياً وفرنسا والصين للخيار العسكري لها لكان من الصعب أن نقول هل الدافع هو الحكمة المجردة فعلاً؟ أم أنه المصالح فقط هي التي حركت مواقف هذه الأطراف؟! ولكن يوجد لدينا أمثلة واضحة على الحكمة في الوجدان الإنساني، وإذا كان لنا أن نشمئز كثيراً من المعايير المزدوجة الأمريكية على صعيد الممارسة السياسية الرسمية إلاّ أننا يجب وأن نرصد جوانب الحكمة في وجدان الشعب الأمريكي.. ولعل أوضح أمثلة تفاعلات الأزمة التي اتجهت نحو «الحكمة» ليس فقط ماحدث في جامعة أوهايو الأمريكية حين انتقد الحاضرون بل سبواسياسية غطرسة القوة الأمريكية كما حدث في مظاهرات تندد وتحاول منع توجيه ضربة عسكرية للعراق في بعض المدن عبر العالم.. ولكن مارآه مجسداً لمفهوم الحكمة في الوجدان الإنساني هو ذلك المقال الهام الذي كتب بصفحة التكنولوجيا في صحيفة "U.S. TODAY" والذي لفت نظرنا إليه أ. محمد عارف

بصحيفة الحياة ٢٥/ ٢/ ٩٨، حيث نقل عن المحرر قوله. نحن نفكر في قصف العراقيين بالقنابل وتحويلهم إلى جيلاتين.. ثم ماذا؟ معظم الناس في الولايات المتحدة لايعير الموضوع كما يبدوا أي اهتمام. فباستثناء بيع النفط لنا وبعض السجاد لم يفعل لنا هذا البلد أي شيء في كل حال ولكن لعلمكم - لعل ذلك بغير نمط تفكيركم- فإن صناعة الكومبيوتر اليوم لم يكن لها وجود لولا العراقيون.. حيث أن الفضل يعود إلى فتى اسمه أبوعبدالله بني موسى الخوارزمي الذي عاش للفترة مابين ٧٧٠ و ٨٤٩ ميلادية، ولفت انتباه القاريء إلى العلاقة بين اسم الخوارزمي ومصطلح اللوغاريتم المستخدم في الرياضيات وعلم الكومبيوتر.. ونقل المحرر أراء بعض العلماء الذين يؤكدون على هذه الحقيقة.. كان هذا عن تفاعلات الحكمة في الوجدان الإنساني بذكر فضل الخوارزمي مستشار «بيت الحكمة» في بغداد على نجوم صناعة الكومبيوتر والأسلحة الذكية التي تتوجه رؤوسها إلى بغداد في انتظار الأمر أو أي خطأ غير محسوب لتنطلق «وترد الجميل»!!

إذا كان لنا أن نعود لمفهومي «الحكمة» و «الإذعان» في تفاعلات العقل العربي لقلنا أن هناك خلطاً كبيراً لدى الكثيرين بخصوص هذين المفهومين وذلك واضح من تفاعلات أزمة ١٩٩٠ وماقبلها وإلى اليوم فالنظم الديكتاتورية الاستبدادية مثلاً ترى أن من «الحكمة»

للشعوب أن تزعن دائماً وأن تقبل الحلول والقرارات الفوقية التي لاتشارك في صناعتها بأي قدر حتى لو كانت قاتلة ويعتبر البعض الآخر أن قبول الأمر الواقع السلبي دون أي محاولة للإصلاح، أي كان وفي أي سياق في الواقع العربي هو «عين الحكمة» ففقدنا القدرة على التغيير الإيجابي فاختنقت قنوات تفاعلية كثيرة في واقعنا. . لقد كان هذا الخلط من أوضح مايكون في أزمة خليج ١٩٩٠ وإن كانت هناك تفاعلات تدلل على وجوده في تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٨، إلاّ أن هناك بوادر إيجابية في تفاعلات الأزمة الأخيرة ولعل من أهم المفردات المتمخضة عن الأزمة هي كلمة «فرصة» فالأزمات تعتبر فرص لكي نمسك بها وننتهزها ولاندعها تمر، فالحكمة تقول بذلك، والحكمة تقول بمزيد من الانفتاح والترابط مع صانعي القرارات لاستباق ومنع الأزمات ولتفويت الفرص على أعداء وخصوم لايخفى كيدهم على أحد. .

والحكمة هي مزيد من الحريات ومزيد من التضامن العربي الإسلامي مع إدارة الإختلافات بأسلوب علمي وموضوعي، ولعلي أختتم هذا المقال بمقولة أوردها د. مقداد يلجن، في كتابه بعنوان «جوانب التربية الإسلامية الأساسية» عن الحكمة وأهمية إدراج عناصرها في العملية التعليمية وهي: . . إن من معاني الحكمة إنها فائدة تترتب على الفعل. . وهي علم بما يكون وجدوه بقدتنا

واختيارنا . . وهي علم بما لايكون وجوده بقدرتنا واختيارنا . . ويضيف قائلاً إن المعاني التي يخصها بالذكر هي أن الحكمة هي العمل بناء على العلم الذي يتناول معرفة قيم الأشياء وقيم المباديء الإسلامية ومعرفة أسرار الموجودات والمقاصد من إيجادها وخلقها على ذلك النحو دون نحو آخر . . «٩٧» وأخيراً أختتم كلامي بقول الحق سبحانه وتعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً . .﴾ هذا والله ولي التوفيق .

«نظرية» " العقرب والضفدع " من مياه النيل إلى مياه الخليج العربي ! !

قصة «العقرب والضفدع» تعتبر من القصص الشهيرة والطريفة بين المعنيين بدراسة وممارسة العملية التفاوضية ، وأول من طرحها هو هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وواحد من أمهر وأخبث المفاوضين في هذا القرن ، والأهم لنا في هذا الصدد أن كيسنجر قد طرح هذه القصة في معرض محاولاته لتشكيل ذهنية المفاوض العربي في مصر عقب حرب رمضان أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ ، فعندما علم كيسنجر أن الجنرالات المصريين لايرغبون في وقف الحرب حتى يدمروا القوا ت الإسرائيلية في غرب القناة قال له السادات حسب ماورد على لسان كيسنجر في كتابه «سنوات الغليان» . . «كنت قبل الحرب أحاول أن اقنعهم بشن الحرب ، أما الآن

ياهنري فإنني أجد صعوبة بالغة في إقناعهم بالتوقف عن الحرب . . »
وهنا أراد كيسنجر أن يحبط آثار هذه المقولة التي حاول السادات أن يمارس نوعاً من الضغط عليه من خلالها . وهنا يقدم كيسنجر تفسيراً مستفزاً لمقولة السادات من أجل إبعاده عن استخدام مثل هذه اللغة معه فقال له إنها تعني أن هناك صراعاً داخل القيادة المصرية وهو يعني أن السادات ليس الرجل الأقوى بشكل مطلق وإن هذا سيزعجه كثيراً إذا ماأراد التفاوض مع «الرجل الأقوى» الذي يستطيع معه حسم الأمور . .

وفي إطار تدعيم محاولاته تشكيل ذهنية السادات والمفاوض العربي في هذا الاتجاه أطلق كيسنجر حكاية «العقرب والضفدع» عندما قص رواية خيالية مفترضة مفادها «أن عقرباً» كان يريد عبور نهر النيل فانتظر ضفدع يسبح بالقرب من ا لشاطيء فناداه وطلب منه أن يقفز على ظهره كي يعبر به إلى الضفة الأخرى للنيل وهنا قال الضفدع ، تريد أن تقفز على ظهري فتلدغني فأموت؟ ! ! فقال العقرب يالك من غبي ! . . إذا لدغتك وأنا فوق ظهرك في الماء فيسغرق كل منا . . فكانت هذه الحجة مقنعة للضفدع فترك العقرب يقفز فوق ظهره ليعبر به إلى الضفة الأخرى للنيل ، ويقول كيسنجر . . ولكن انظروا ماذا حدث؟ ! «في منتصف نهر النيل قام العقرب بلدغ الضفدع في ظهره . . فصرخ الضفدع وقال يالك من أحمق مخادع . . يالك

من غبي! . . لماذا فعلت هذا؟! ، فأجاب العقرب قائلاً: «عزيزي إنك في الشرق الأوسط!!» **مدلول ومغزي القصة واضح وهو أنه ليس هناك قواعد للعبة** . . والطرح الذي أراد كيسنجر أن يذهب إليه في معرض عملية مفاوضاته مع السادات كانت بمثابة التأكد من أنه الرجل الأقوى «الذي يستطيع حسم الأمور في سياق فوضوي بطبيعته» . . ونجح كيسنجر في تشكيل ذهنية السادات في هذا الاتجاه عندما استدعى السادات الجنرال الجمسي وعلى حد قول كيسنجر في كتابه «سنوات الغليان» أن السادات قال «د. هنري وأنا قد توصلنا إلى إتفاق لفصل القوات وأنت ياجمسي الذي ستوقع عليه» وعلق كيسنجر على هذه المقولة بقوله . . لقد أراد السادات أن يثبت لي أنه فعلاً الأقوى الذي يستطيع حسم كل الأمور إلى نهاية المطاف . وإذا كان من المكن إخبار الجنرال الجمسي بالقرار الذي توصلا إليه بأكثر من طريقة ، إلاّ أن السادات أراد هذه المواجهة في حضور كيسنجر ليثبت له في حقيقة الأمر شيئاً أراده كيسنجر بدهاء وخُبث .

والآن أود أن أقدم تأملات من خلال قصة العقرب والضفدع هذه ولكن فيما يتعلق بمياه الخليج العربي بدلاً من نهر النيل . . وأود أن أضع مثل هذه التأملات في شكل الأسئلة التالية . .

– هل تعتبر قصة «الضفدع والعقرب» التي جاءت من نسج خيال كيسنجر معبرة عن الوضع الفوضي الذي يتحلى به أبناء منطقة الشرق

الأوسط أم إنها قصة بعيدة عن الواقع؟ ! أم إنها قصة رمزية لاترمز إلى واقع الشرق الأوسط فقط بل ترمز إلى القدرة التي يتحلى بها مفاوض ما، فيما يتعلق بمحالات تشكيل ذهنية الآخرين بشأن أحوالهم وتشكيل بيئة التفاوض التي يريد زرعها في ذهنية المفاوض الآخر وبشأن تحقيق الدافعية للحث على التحرك المطلوب؟ وإلى أي مدى يمكننا تفويت هذا الأمر بإدراكه؟! . (عموماً القصة تحكى في إطار عملية السلام ذلك الواقع المتردى والفوضي الذي مارسه المفاوض الصهيوني بجدارة إلى الآن!!)

- هل لنا أن نفسر قصة «الضفدع والعقرب» بشكل جديد اليوم وطبقاً لما يحدث في خليجنا العربي؟! فنقول أنها قصة الخلل الكبير في ميزان القوة ولكن هناك دائماً طريقة ما للتعامل معه دون الاستسلام لهذا الخلل، وهنا يمكننا القول بأن العقرب في هذه القصة معروف جداً. فهو المتمثل في تلك الحشود الهائلة في مياهنا والتي حاولت أن تصور لنا منذ خليج ١٩٩٠ إلى خليج ١٩٩٨ أنها تأتي وتحتشد من أجل حمايتنا وليس من أجل لدغنا؟! كل مرة اللدغة أقوى وأعنف. . إن لم تكن بالخراب المادي الملموس من إطلاق القنابل والصواريخ. . فهي لدغة من رصيد الأمة المالي من خلال فواتير باهظة بشكل أو بآخر!.

ولكن نعود فنقول أن المشكلة الكبرى أو «المشاكل» كلها هي لدغة

الأخ لأخيه عندما قام العراق بغزو الكويت . . وفتح أبواب جهنم على المنطقة إلى يومنا هذا . وهو الأمر الذي أسهم كثيراً مع الأسف في تجسيد الوضع الفوضوي إلى أبعد الحدود والذي حاول أن يصفه كيسنجر في قصته عن «العقرب والضفدع» . . وهو الأمر الذي استغله الإعلام الصهيوني إلى أبعد حد بحيث تم تصوير العراق على أنه «العقرب المرعب» واقتنع الكثيرون حتى في عالمنا العربي «بأن على المؤمن ألا يلدغ من الحجر مرتين»؟! ولا لوم على من اقتنع بذلك بالطبع ولكن القول الآن نقول بأن صورة العراق «كعقرب ضخم» هي صورة إعلامية مبالغ فيها وإن العقرب الحقيقي أضحى معروفاً لنا جميعاً .

من هنا فإن إجماع الحكومات والشعوب العربية شبه المتجانس على إقرار الحل الدبلوماسي وتجنيب شعب العراق الشقيق ضربة عسكرية ليمثل خطوة إيجابية ولكن لابد من أن نتحرك من منطلقات الفعل الجماعي الذكي ترك موقع رد الفعل المتآخر حتى نتمكن من أن ندير أمورنا بأيدينا وعلينا ونحن بصدد تأملات قصة «الضفدع والعقرب» أن نتذكر أنه وإذا كان «العقرب» يتسم بالسرعة الكبيرة واللدغ المميت ، فإن «للضفدع» فقزان هائلة تمكنه من تفويت الفرصة على العقرب ، حتى وإن كان أضعف منه . .

وإذا كان العقرب يعيش في البر ، فإن «الضفدع» أكثر علماً منه

بتضاريس البر والبحر ويستطيع أن يسبح في مياهه بذكاء وأهم من ذلك كله . أن الضفدع يستطيع ألا يقبل أن يقفز العقرب على ظهره بحجة أن يعبر به المياه العميقة وهذا أضعف الإيمان! وهذا ما استطعنا أن نفعله في آخر لحظات أزمة خليج ١٩٩٨ على مستوى الحكومات والشعوب . . ولننتقل للاستباق ونترك موقع رد الفعل . . والله ولي التوفيق .

*****

ثانياً : الدروس المستفادة من أزمة خليج ١٩٩٨ :

نحو إدارة تبعات الأزمة

هناك عدة محاور لابد وأن ننظر إليها بعين الاعتبار إذا ماأردنا تقييم دروس أزمة خليج ١٩٩٨ التي تم انتزاع فتيلها في آخر اللحظات ولكن لايزال ما في توابعها مايهدد بحدوثها مرة آخرى ولعلنا نرصد هنا أهم منطلقات التحرك والأهداف والحجة على الصعيدين الأمريكي أساساً والعربي أساساً فيما يلي :

(أ) أهم أهداف ومنطلقات وتحركات الطرف الأمريكي :

أكدت الأزمة الأخيرة على وجود ثبه ثوابت أمريكية تتمثل في الآتي :

- ☐ الاستعداد لتفعيل ماسمى "**بمبدأ كارتر**" وهو المبدأ الذي يقول بأهمية السيطرة الأمريكية و الاستعداد السافر للسيطرة على منابع نفط الخليج وإن كان ذلك مرة تحت شعار حماية الخليج من الهجمة الإيرانية في الثمانينات وتحت شعار حمايته من الهجمة الصدامية العراقية في التسعينات وربما في المستقبل تحت أي شعار ثالث . . . المهم الحفاظ على تدفق النفط بما لايضر المصالح الأمريكية أو الغربية بأي شكل من الاشكال مع العمل على تخفيض اسعاره .
- ☐ وقف انتشار السلاح النووي مع الحفاظ على "مبدأ چورچ

بوش" وهو مبدأ " اللاربط "أوعدم الربط بين مايتخذ ضداي دولة وإسرائيل في قضية أسلحة الدمار الشامل. . . ففي خضم أزمة خليج ١٩٩٠ قالها بوش عندما سُئل عن موقفه من أسلحة الدمار في إسرائيل. . . ليس هناك ربط "NO LINKAGE"

إذاك كانت الهيمنة هي هدف لكل من أمريكا وإسرائيل فإن من صالح الطرفين الابقاء على قضية العراق وغيرها كقضية متفجرة تسمح بتعميق الانقسام العربي كلما حانت الفرصة وإلى مزيد من إحداث التفكيك طالما كان أمر هذا التفكيك ممكن.

(ب) أهم أهداف ومنطلقات التحرك العربي

اثبتت تفاعلات الأزمة - ورغم من يقول بأن الأطراف العربية لم تفعل شيئاً سوى تقديم التصورات الفردية الأحادية من جانب ومطالبة العراق بالإذعان فإنه يمكن القول أن القول أن الحجة والمنطق السليم كان لابد أن يسعى إلى تجنيب شعب العراق الضربة العسكرية التي كانت أمريكا على وجه وشك القيام بها لولا حجم الضغوط الدولية المتعددة من ناحية ولكن لايجعل من فردية تحرك النظام العراقي الذي أساء للأمة العربية كما لم يسيء لها أحد من قبل هي المحرك لكارثة عربية وكان من الحكمة مطالبة العراق بالإذعان التام فهذا شأن المهزوم في أي حرب وليس العراق فقط إلاّ أن ماينبغي رؤيته هنا هو أن العقوبات لاينبغي وأن تكون بلانهاية فهذا من الأمور التي لم تحدث

على مدى التاريخ !!

من هنا فلقد جاءت عناصر معادلة الطرف العربي كالآتي .

(١) - لالضرب العراق عسكريا . . . وقد نجحت الجهود العربية في هذا الاتجاه ويدعم من معارضة دولية كبيرة .

(٢) على العراق أن ينفذ أو يذعن للقرارات الدولية تماماً من أجل تفويت الفرصة على الضربة العسكرية وتجنبها ولكن ماذا عن الإدارة العربية لتفاعلات مابعد الأزمة؟

لابد وأن تتحلى الإدارة العربية لتفاعلات مابعد الأزمة بالتحرك على عدة أصعدة وهي :

١- العمل مع العراق على تفويت فرصة جعل العراق قضية متفجرة ثانية والعمل على رفع العقوبات عنها والحث على أن دمقرطة العراق تساعد على وقف تداعي السلبيات في المنطقة وهذا ممكن وليس مستعيلاً .

٢- تعميق غموض ما الذي يمكن وأن يحدث بعد أي ضربة عسكرية أمريكية وأي تقسيم محتمل للعراق من خلال العديد من الآليات .

٣- العمل على دعم السوق العربية المشتركة وتوثيق الروابط بين المحاور الرئيسية في الوطن العربي الإسلامي وأهمها محور القاهرة-

الرياض- دمشق لمنع هذا الأمر.

٤- العمل على إحداث تقارب عربي إيراني مدروس وعلى أسس قوية ومتأنية ولعل ماشرعت في القيام به كل من الرياض والقاهرة في هذا الصدد ليعتبر من التحركات الإيجابية التي من شأنها احداث تغيير استراتيجي يضع الأمور في نصابها الصحيح.

٥- عدم اليأس من محاولات التعاون الإيجابي مع تركيا مع وضع مميزات وإغراءات توضح لتركيا أن من مصلحتها الأكثر أن تكون في موقعها المتعاون مع الأمة العربية الإسلامية من خلال آليات عديدة.

٦- استغلال ثغرات عديدة في الخطاب الأمريكي وطبيعة التحرك الأمريكي في منطقتنا بذكاء وقدرة على ضبط معادلات تفاعلية عديدة تحتاج إلى تفاصيل أخرى.

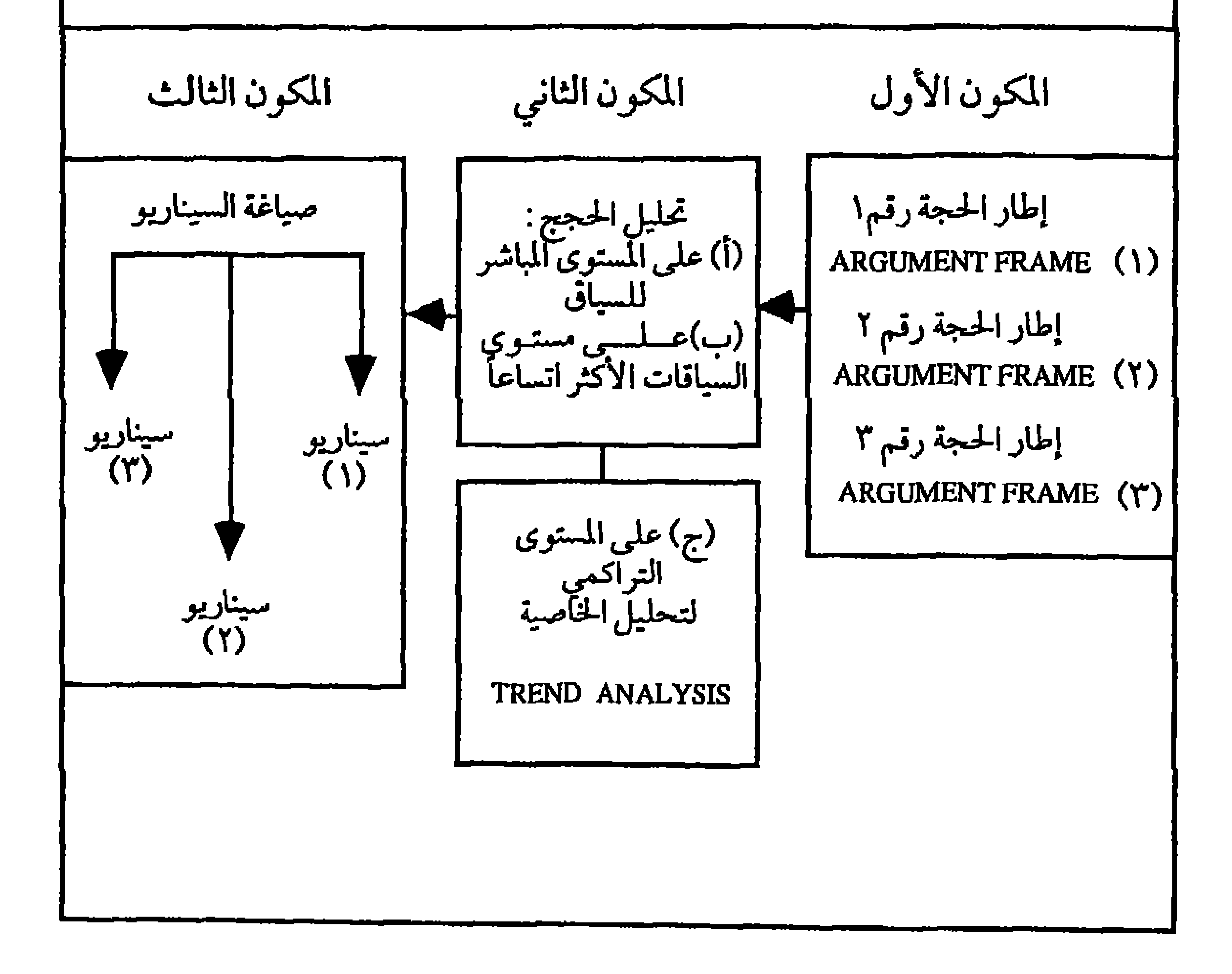
الحجج وصياغة السيناريو

في نهاية هذا القسم الثاني أود أن أوضح من خلال الشكل التالي (رقم ٥) (تحت عنوان رصد الحجج ذات السياقات المتعددة والأوسع نطاقاً كأساس لصياغات السيناريوهات المستقبلية.). فإذا كنا قد أوضحنا العناصر الدقيقة للحجج وأوجه الخلل التي يتعين علينا تجنبها من آجل تفاعلات جديدة تستند إلى الإيمان وإلى العلم. في نهاية هذا القسم الثاني أود القول بأنه وإذا كنت قد قمت في القسم الأول بإعادة

نشر تلك الدراسة التي تناولت من خلالها العناصر الدقيقة لإقامة الحجة .

حيث أن ضمان سلامة الحجج وسلامة رصدها وإقامتها هو السبيل الصحيح للوصول إلى ماهو أصوب من رأي جماعي . فإننا وفي هذا القسم الثاني سنحاول توضيح علاقة الحجج في صياغة السنياريو من أجل صياغة السيناريو على أساس علمي في محاولة منا للاشتشراف وتحقيق مفهوم **الاستباق** وترك موقع رد الفعل المتأخر ولعلنا نوضح هذا الأمر وبشكل أولى من خلال الشكل التالي الذي يوضح علاقة عناصر الصياغة السليمة للسيناريو هذا بالإضافة إلى ماذكرناه في هذا الصدد من تعريفات لمفهوم السيناريو وارتباطه بمفاهيم "المباراة التفاوضية" "ونوع التفاوض" واللاعب الرئيس؛ ودبلوماسية المسار الثاني" إلخ في الجزء الأول من هذه الدراسة . وهذا من أجل توضيح أهم الأسس التي تنطلق منها العملية العلمية لصياغته .

وكمثال توضيحي لعناصر هذا الشكل نقول على سبيل التوضيح أن أهمية النظر إلى أي حجة من خلال أكثر من إطار – بعد أن نكون قد اسسناها على العناصر العلمية الدقيقة السابقة الذكر وتجنبنا لأوجه الخلل المذكورة– ليعتبر من الأنشطة الهامة التي تساعدنا على تبني الحجة الأصوب وبشكل متكامل على صعيد السيناريو الذي نريد تفعيله أو عدم تفعيله . . .


شكل رقم (٥) نموذج الحجج ذات السياقات المتعددة والأكثر اتساعاً كأسس لصياغة السيناريو
A MODEL OF ARGIMMANTS OF LARGER FRAME ASABASE TO FORMULATE SCERARIOS
المكون الأول
المكون الثاني
المكون الثالث
إطار الحجة رقم١
ARGUMENT FRAME (١)
إطار الحجة رقم ٢
ARGUMENT FRAME (٢)
إطار الحجة رقم ٣
ARGUMENT FRAME (٣)
تحليل الحجج :
(أ) على المستوى المباشر للسياق
(ب)علـــى مستوى السياقات الأكثر اتساعاً
(ج) على المستوى التراكمي لتحليل الخاصية
TREND ANALYSIS
صياغة السيناريو
سيناريو (١)
سيناريو (٢)
سيناريو (٣)

أمثلة توضيحية

فمثلاً ومن خلال إدارة الأزمة العراقية الأمريكية الأخيرة أو ما اسميه بأزمة خليج ١٩٩٨ .

كانت هناك حجة لدي البعض تقول :

بما أن أمريكا تكيل بمكيالين. . . وبما أن أهداف أمريكا في السيطرة والهيمنة وعدم المبالاة بحقوق العرب والشعوب العربية لمن الأمور الواضحة. إذن على الدول العربية أن تتوحد كلها وتجابه أمريكا هذه . . . ولكن حجة مواجهة أمريكا وأساطيلها في تلك الأزمة لهي حجة ضعيفة لأنها تتجاهل موازين القوى وتتجاهل أن الذي اختار توقيت وأسلوب مجابهة أمريكا صدام حسين ومن ثم على كل القوى العربية أن تنضوى تحت "لوائه "! . . . هذا في الوقت الذي لايعدو على أن يكون فيه سوى ديكتاتور أرعن تسبب في كوارث فتحت أبواب جهنم على منطقتنا . . . من هنا لايخفق أي موضوعي يعمل لصالح الأمة إلاّ أن يرفض الضربة العسكرية من أجل الشعب العراقي وكذلك لابد وأن يطالب النظام المهزوم بالإذعان للشرعية الدولية حتى وإن كانت يكيل بمعيارين . . . فهذا الكيل المزدوج لابد وأن يتم التعامل الإيجابي معه في وقت وظروف أخرى أكثر موائمة وليس في تلك الأزمة . . . ولذا عندما نقرأ مقال للكاتب الساخر محمود عوض بعنوان

" ١٩٩٨ : أي أميركا؟ وأي عراق؟

حالة توحش لكن . . . إسمع كلام أمريكا"

(جريدة الحياة ٢٣/ ٢/ ١٩٩٨) حيث يطالب صدام بالإذعان . . . فهنا ورغم سخافة السياق وسخافة وغطرسة الموقف الأمريكي وعدم نزاهته إلاّ أن السياق الأوسع للحجة هو أن عدم الانصياع للقرارات الدولية معناها أن نساهم في تفعيل أخطر سيناريو فهو سيناريو ضرب العراق ومايلي ذلك من "حتمية" تفتيت العراق واندلاع النار ربما في الخليج كله. بالاضافة إلى خسائر الشعب العراق تبنى " حجة الانصياع للقرارات الدولية" من خلال النظر للسياقات الأكثر اتساعاً مايمثل - رغم عدم قبوله نفسياً في ظل المعايير المزدوجة وفي ظل الغطرسة - إلاّ أنه - المخرج الأكثر حكمة إذن فمثل هذه الحجة في هذا الإطار الأشمل من شأنها أن تفسد سيناريو من أفزع وأخطر مايكون على الأمة العربية الإسلامية . . . ولذا فقد كان من الحكمة أن نتبناها في إدارة الأزمة . . . ولكن لابد وألاّ نكتفي بأن فتيل الأزمة قد تم نزعه بفعل التمسك هذه الحجة وفعل عوامل كثيرة أخرى؛ بل علينا أن نتبنى مفهوم **الاستباق** لنرصد كل الحجج المقبلة و نرصد ارتباطها بالسيناريوهات المستقبلية من أجل تفعيل مانراه من سيناريوهات تتم لصالحنا والعمل على إحباط السيناريوهات التي تلحق الضرر بامتنا العربية الإسلامية والله ولي التوفيق وهذا ماستنعرض له ببعض التفاصيل في القسم الثالث من هذا الجزء من دراستنا هذه .

الفصل الرابع عشر :

سيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي / الشرق الأوسط:

تمهيـد :

في هذا الفصل سنلقي الضوء على أهم السيناريوهات المستقبلية بخصوص الخليج العربي وعندما نتحدث عن الخليج العربي فإننا نتحدث عن الشرق الأوسط وتعقيداته وارتباطاته المعقدة . . .

وإذا كنا بصدد رصد ماأورده كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر بالتحليل في كتابها بعنوان "**الحرب المقبلة**" فإننا وفي ذات هذا الفصل نرصد بالتحليل ملف التفاعل حول النقاش الدائر عن ذلك البعد النووي المستجد الذي أحدثته التفجيرات النووية الهندية الباكستانية بشكل أولى لأن هذا الأمر يستحقق دراسة منفصلة وهي في طور النشر لكاتب السطور بعنوان " **الدبلوماسية الجديدة أم القنبلة الإسلامية** "؟!

استباق الأزمات وسيناريوهات مستقبلية في الخليج العربي والشرق الأوسط

إذا كانت الحكمة تتطلب منا ألا ننتظر الأزمات والأحداث لنقوم بإدارتها حين حدوثها بل ينبغي وأن نضع نصب أعيننا مفهومي «الاستباق» و «التدخل الإيجابي المبكر» ، من هنا فإن من الأنشطة الحيوية التي يتعين علينا القيام بها هو رصد كل المعلومات والتصورات الخاصة بمنطقتنا . والقيام بتحليلها من كافة الجوانب خاصة فإننا في عصر يسمى بعصر المعلومات ومن تعقيداته وجود معلومات مجردة وكذلك معلومات ملغومة وحملات معلومات INFORMATION CAMPAIGN وكذلك حملات معلومات كاذبة . و علينا التعامل الإيجابي مع كل هذه الأمور من أجل التدخل المبكر واتخاذ القرارات الصائبة التي تنبني على التحليل الصارم والمصلحة العليا بعيداً عن الوقوع في براثن مثل تلك الحملات المعلوماتية التي قد تشكل ذهنيتنا وتحركنا في غير مصلحتنا وربما دون أن نشعر بذلك في بعض الأحيان وهذا من مكامن الخطر . في إطار هذا التوجه أود أن أرصد ثم أحلل ماورد في كتاب هام لكل من كاسبر وينبرجر CASPER WEINBERGER وبيتر شويتزر PETER SCHWEIZER . (١)

والأول هو وزير الدفاع الأمريكي الذي خدم في عهد ثلاثة رؤساء أمريكيين وهو من العسكريين الذي جمعوا بين الخدمة

العسكرية وحصلوا على أعلى المؤهلات العلمية حيث إنه تخرج في جامعة هارفارد ودرس القانون بها. أما المؤلف الثاني فهو باحث زائر في مركز دراسات الحرب والثورة والسلام بجامعة ستنافورد بالولايات المتحدة وله العديد من الأبحاث والمقالات الهامة. ولقد آثار هذا الكتاب جدلاً واسعاً في واشنطن وفي العديد من مراكز صناعة القرار عبر العالم وهو بعنوان «الحرب القادمة» (NEXT WAR) والذي صدر عام ١٩٩٦ عن دار نشر (RAGNERY PUBL. INC.) ويسعى لمطالبة الأمريكيين بألا ينسوا مخاطر مرحلة ما بعد الحرب الباردة ويسعى إلى التنبيه إلى أهمية عدم تقليص حجم القوة العسكرية الأمريكية وخطورة خفض درجة استعداد هذه القوات في عالم يراه يموج باضطرابات وتغيرات حادة. وإذا كان الكتاب يستعرض عدة سيناريوهات افتراضية يقول بأنها ستحدث على مدى الاثنى عشر سنة القادمة. وأهمها تقديم محاكاة لغزو جنوب كوريا من قبل كوريا الشمالية وغزو تايوان من قبل الصين وقيام الولايات المتحدة بالرد على «اعتداء إيراني نووي مفترض» وقيام روسيا تحت قيادة ديكتاتور يظهر بالاعتداء على أمريكا. وكذلك يقدم الكاتبان سيناريو لاضطرابات عنيفة تجتاح المكسيك وتؤثر على الولايات المتحدة. وآخر هذه السيناريوهات يتعلق بهجوم من قبل الحكومة اليابانية على دول في المحيط الهادي بعد حدوث حرب تجارية.

ولعل مايهمنا ضمن كل هذه السيناريوهات سيناريو الرد على «إعتداء إيراني» نووي مفترض أو مايمكن تسميته «بسيناريو حرب الخليج ١٩٩٩» وهو الذي ورد مضمونه بالكتاب بالجزء الثاني من الصفحات ص ١٠١ إلى ص ١٦٣ تحت عنوان «٤ أبريل ١٩٩٩» وخلاصته كما يلي :

«حسب سيناريو هذا لكتاب وخيال الكاتبين، فإن المواجهة ستبدأ في جنيف في ٤ أبريل مع اجتماع منظمة الدول المصدرة للبترول (الأوبك) حيث تنتقد طهران التي يصفها الكاتبان من الدول الراديكالية موقف الدول الأخرى «المعتدلة» (MODERATE) .

وتطالب بتغيير نظام البترول العالمي المعمول به منذ سنوات طويلة . كما أنها تطالب على لسان مبعوثها للمنظمة باقي الأعضاء بالتمرد على ماتصفه الهيمنة الغربية وإلاّ فإنها ستنفذ تهديدها بفرض سيطرتها على حركة البترول في الخليج وتدفقه إلى الغرب . وأثناء هذه المواجهة الدبلوماسية والسياسية والتي يفترض فيها الكاتبان استخدام إيران لكل المفردات التي رسخت في الإعلام الغربي عن «الشيطان الأكبر» وإلى ماذلك من مفردات . ومع زيادة حدة التوتر في المنطقة يذكر الكاتبان أنه يتم اكتشاف أن إيران تمتلك السلاح النووي وأنها توصلت إليه بواسطة بعض علماء الروس الذين تم توظيفهم منذ عام ١٩٩٤ . بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي . ومنهم خبير نظم الصواريخ

VLADIMOROW الذي يصفه الكاتبان بأنه أسطورة من أساطير تصميم الصواريخ النووية في روسيا وقد وصل راتبه ١٢ دولار بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي، ويستطرد الكاتبان في وصف تاريخ الامبراطورية الفارسية وكيف أن أحلام إعادة الإمبراطورية لاتفارق الفكر الاستراتيجي الإيراني (ص١٠٢، ص١٠٣).

ويذهب الكاتبان الأمريكيان إلى أنه وفي عام ١٩٩٤ اشترت إيران مكونات صواريخ وأسلحة نووية. . وأصبح لإيران سلاح نووي اسمه «ذو الفقار» وإنها وطبقاً لخيال الكاتبين ستلوح باستخدام هذا السلاح النووي بغرض سيطرتها على الخليج وتنفيذ «مخططاتها التوسعية» طبقاً للكاتبين. ويتصور الكاتبان أن الأحداث تتوالى بعد ذلك حيث تحدث في مايو ١٩٩٩ تظاهرات شيعية في البحرين وفي يوم ٦ مايو ١٩٩٩ تجري إيران تجربة تفجير السلاح الصاروخي النووي الجديد وتطالب بأن تترك القوات الأمريكية المنطقة في غضون ٢١ يوماً. وبعد ذلك يتم الغزو الإيراني للبحرين في ٧ مايو ١٩٩٩ حسب خيال الكاتبين اللذان يقدمان تفصيلات كثيرة عن طريقه وقوات الغزو وعدتها وعددها، على أساس أن السيطرة على البحرين تفتح الباب أما إيران للتقدم إلى المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج كما يزعم الكاتبان. وبعد ذلك في يوم ١٤ يونيو ١٩٩٩ يصل سعر برميل البترول إلى مائة دولار وتبدأ طهران في السيطرة على

مصير بترول الشرق الأوسط . . ثم بعد ذلك يبدأ هجوم إيران على دولة الإمارات العربية المتحدة بدك المواقع البرية في كل من دبي وأبوظبي إلى أن تقوم قوات الحرس الثوري الإيراني بغزو يوم ١٦ يونيو، ويفترض خيال الكاتبين أنه وبعد مقاومة تستمر لمدة أربعة أيام تستسلم البلاد في ٢٠ يونيو ١٩٩٩ ويقدم الكاتبان الكثير من المعلومات المتصورة عن خسائر إيران في تلك المعركة الأولية والتي - تثير الاستهجان والتي - وصلت إلى ١٣٠٠ قتيل و ٢١ جريح . . ولايفوتهما ذكر هذه الأرقام «الدقيقة» من باب إشعار القارىء بالدراما والوقائع التفصيلية التي تشتهر بها «الأفلام الأمريكية» ناهيك عن «السيناريوهات» ويفترض الكاتبان أنه وعند نهاية شهر يونيو تنسحب القوات الأمريكية- الأسطول السابع- من منطقة الخليج وتسيطر إيران على حركة الملاحة والتجارة عبر مضيق هرمز .

ويرصد الكاتبان أن أسباب تفاقم الأزمة هو عدم احتواء إيران مسبقاً وبالقدر الكافي وعدم إلمام واشنطن بكل تفاصيل التسليح الإيراني وعدم استعدادها لاحتواء الخطر الإيراني قبل أن تتفاقم الأزمة وتصل واشنطن إلى موقف حرج . . ولكن في النهاية وبعد اتصالات وتحالفات مع دول صديقة، وبعد أن يحدث قصف صاروخي نووي تتعرض له مدينة موترا الإيطالية (وكانت روما هي المستهدفة) يتم حسم الأمر ويتخذ القرار الحازم بقصف مدن إيرانية من الجو ويُستخدم السلاح النووي ضد المنشأت النووية الإيرانية التي

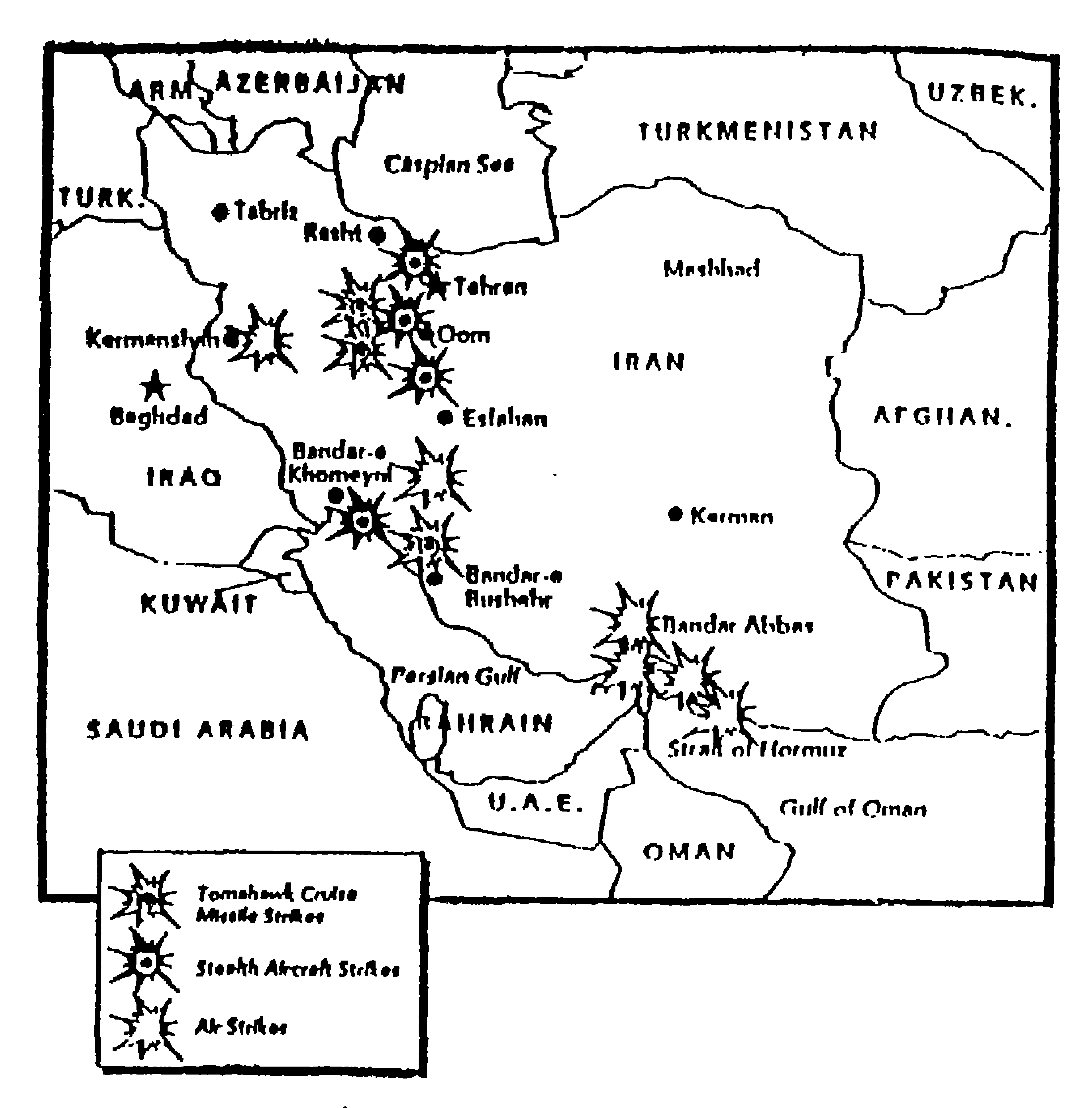
يدعي الكاتبان وجودها ويسترسلان كالعادة في وصفهما لدقائق هذا السيناريو وذكر الأسلحة المستخدمة ومن أي مواقع ووسائل يتم تنفيذ مثل ذلك الهجوم.

السيناريو العربي الموازي:

وبالرغم من أن سيناريو الحرب هذا لم يتعرض لأي دور إسرائيلي بشكل صريح ولا لأي موقف عراقي، إلاّ أن مايعنينا هنا وبرغم أدب الخيال العلمي والسياسي؛ الذي صور به الكاتبان صوراً كثيرة على الطريقة الأمريكية السينمائية لها أن مثل هذا السيناريو يكشف عن ممارسات راهنة وحالية كبيرة تنتمي لدبلوماسية المسار الثاني الصراعية بخصوص إيران (بالإضافة لحالة العراق الراهنة) والأمر يتطلب وضع هندسة لدبلوماسية المسار الثاني من المنظور العربي كي نتبين من خلالها موقع حملات المعلومات الملغومة وأن يتم ضبط معادلة هامة مع إيران ولترشيد العلاقات معها دون تقبل الصور الذهينة التي قد تكون بعيدة عن حقائق الأمور.. والتي قد يكون الهدف القريب منها هو التمهيد لضرب إيران وبذر بذور الفرقة والحقد والكراهية بين البلدان العربية وإيران في المنطقة بأسرها.

ولعل هذا الأمر المتعلق بمثلث العلاقات العربية الإيرانية الغربية بحاجة إلى اهتمام ودراسة خاصة لتدشين ممارسات من شأنها احتواء سيناريو مثل السيناريو المزعوم لكل من كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر..

140 THE NEXT WAR



The Allied Attack Begins

خريطة توضح الضربة الجوية النووية الأمريكية (والمدعومة من تحالف دولي) المزعومة والمتصورة ضد إيران بكتاب كاسبر واينبرجر (صـ ١٤٠)

هل إن لم تكن العراق كانت إيران أو العكس؟!:

والآن لابد وأن ننتقل للنظر إلى منطقة الخليج وخاصة وبعد أحداث ماسمي بالأزمة العراقية الأمريكية أو أزمة العراق والأمم المتحدة والتي علينا أن نذير توابعها من أجل عدم انفلاتها مرة أخرى وهنا لايمكن للمحلل أن يرى هذه الحشود الرهيبة القابعة في مياه الخليج ولايرى معها سيناريو كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر. . فهل إن لم تكن العراق هي «الدافع» أو «الغطاء» أو «السبب» كانت «إيران» أو العكس أو ربما دولة ثالثة «الله أعلم» يأتي دورها!!

المهم أننا نرى مايشبه رسم السيناريو من خلال كتاب كاسبر واينبرجر وبيتر شويتزر في ١٩٩٦ ثم تفعيل ما جزئي أو تجريبي في ١٩٩٨ ولايمكن أن يكون العرب في موقع المتفرج، فلابد من التدخل الإيجابي الحريص والفعال لإحباط أي سيناريو مثل ذلك السيناريو المدبر والعمل على تفعيل سيناريوهات أخرى إيجابية من شأنها وقف حركة الخصوم وعدم ترك أرض الملعب مفتوحة لممارستهم هم فقط. . **فالحاضر والتاريخ والمستقبل يقول لنا أنه من حق الآخرين أن يفكروا ويخططوا ويتحركوا ومن حقنا أن نفكر ونخطط ونتحرك ونحبط كيد كل متربص. . ولايمكن إلاّ أن نستعين بكل الطاقات ولابد وأن نستشعر المخاطر ونرفع هذا الشعار نصب أعيننا وهو «إذا لم يفكر ويتحرك أبناء منطقتنا لها . فكر لها وتحرك من**

هم خارجها» ، ولابد هنا أن نشير إلى أن القيادات العربية تدرك هذا الأمر جيداً ولعل التحركات الحكيمة التي تقوم بها كل من مصر والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص من أجل ضبط معادلات معقدة في منطقتنا لهي جديرة بالتقدير والتدعيم . . وإننا هنا لانقول إننا لانملك فقط مقومات الفكر الإستراتيجي السليم والسديد بل إننا نملك قيم ثقافتنا العربية الإسلامية التي تستمد قوتها من قوة من قوة الله سبحانه وتعالى وإن كيد الله أقوى من كل كيد . . ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ، ولايمكن أن تكون لأي قوة اليد الأعلى إذا مااستلهمنا قوتنا من قوة الله سبحانه وتعالى وعملنا بكل جد واجتهاد وحرص وتفكير علمي منظم وسليم يستبق الأحداث والأزمات والله ولي التوفيق . . .

***

الفصل الخامس عشر

بين إدارة غموض السيناريو النووي المستجد وتحليل أنماط الحوار التفاوضي حوله في الواقع العربي

(رؤية أولية لبيانات التفاعل)

أحدثت التفجيرات النووية الهندية والباكستانية تغيرات استراتيجية وسمحت بقراءات عديدة لبعد الانتشار النووي والنظام العالمي الجديد وللعديد من الصراعات في عالم اليوم ولعل هذا الأمر بحاجة لدراسة منفصلة وهو ماشرع فيه كاتب هذه السطور. ولكن مايهمنا هنا في إطار هذه الدراسة يتمثل في الآتي:

أولاً: رصد أهم الأسئلة التي تثيرها هذه التفجيرات.. وهذه الأسئلة هي ليست أسئلة بقدرما هي محاولة لاستجلاء الحقائق التي تكون أساساً لرصد الحجج المختلفة بخصوص تبعات هذه التفجيرات... فالسؤال الجيد يعتبر بمثابة قطع نصف الطريقة نحو الإجابة الصحيحة.

ونكتف هنا باثارة الأسئلة لأن الإجابة التحليلية عليها- كما ذكرنا- هو موضع دراسة أخرى.

ثانياً: رصد أنماط الحوار التفاوضي التي تعتبر من خطايا الحوار التفاوض العربي المتكررة عبرْ الملفات... وصولاً إلى آخرها وهو

مايمكننا بتسمية " ملف الحوار حول التفجيرات النووية الهندية الباكستانية وهو مانرى أهمية تسليط الضوء عليه في إطار مهمة هذه الدراسة التي تسعى لتحقيق الإدراك التقني لذلك البعد المفتقد في السعي لاحداث التضامن العربي الإسلامي .

ونبدأ أولاً برصد أهم الأسئلة التي طرحها ملف التفاعلات حول التفجيرات النووية الأخيرة وهي كمايلي :

١- هل الاستنتاج الرئيس من التجارب النووية الأخيرة هو أن نسعى إلى امتلاك قنبلتنا النووية؟ أو بمعنى آخر ماهي وسائل الردع المتاحة لنا خاصة في حالة تخلى إسرائيل عن أسلوب الغموض (التغميض) الذي تتبعه وإعلانها - بوضوح عن امتلاكها للسلاح النووي؟ومامؤهلات وتبعات هذا الامتلاك؟

٢- هل هناك بدائل للخيار النووي؟ ماهي؟ ومامكانية تحقيق الردع من خلالها؟

٣- ماهي حجج امتلاك السلاح النووي وماهي حجج عدم امتلاكه؟ ماالأصلح في إطار هذه الحجج خاصة فيما يتعلق بواقعنا؟

٤- وهل امتلاك السلاح النووي هو السبيل الوحيد لإدارة الصراع الممتد مع إسرائيل؟ أم أن عناصر القوة كثيرة ومتعددة وهناك ماهو في مستوى بل ما هو أهم من النووي؟

٥- ماذا عن التحالفات القائمة والتي تستجد على الساحة الدولية بعد التفجيرات الهندية الباكستانية؟ وماتأثيرها على مجريات الصراع العربي الإسرائيلي؟ وعلى أوضاع الخليج العربي؟

٦- ماذا عن تأثير التفجيرات على معاهدة خطر انتشار الأسلحة النووية؟ وهل تستغل هذه الفرصة لخروج بعض الأطراف منها؟ أم تستغل الفرصة في تدعيم المعاهدة وجعلها قابلة للالتزام بها وانضمام الجميع إليها والتغلب على ازدواجية المعايير في النظام العالمي الراهن؟

٧- ماذا عن انتشار التكنولوجيا النووية؟ ومن هو الجنرال القادم الذي سيقول لا؟ ماهي الدول التي قد تدخل النادي الذري وماعددها المحتمل مستقبلاً؟

٨- ماذا عن النقاش الدائر حول " القنبلة الإسلامية "؟ وهل هذا المسمى ينطبق فعلاً؟ أم أن القنبلة الباكستانية لاتعدو عن كونها قنبلة باكستانية لاحداث التوازن الاستراتيجي مع الهند؟

٩- من الذي سمى القنبلة الباكستانية "بالقنبلة الإسلامية؟! وما الفرق بين توجهات كل من ذو الفقار علي بوتو وضياء الحق من ناحية وكيسنجر وشارون من الناحية الأخرى في إطار هذا المسمى؟

١٠- ماذا يعني أن يقول نواز شريف ووزير الخارجية الباكستاني في تصريحاتهما " أن القنبلة لادين لها؟

١١- ماذا عن البعد العرقي والبعد العلمي في موضوع القنبلة النووية؟

١٢- ماذا عن تعميق بعد العمق الإسلامي لباكستان وما علاقة باكستان - تاريخياً - بالصراع العربي الإسرائيلي؟

١٣- ماذا عن فتوى رجال الدين الأخيرة بوجوب حيازة السلاح النووي؟

١٤- كيف نفهم مقولة صموئيل هنتينجتون الأخيرة عقب التفجيرات النووية الهندية الباكستانية بأن صراع الحضارات قد أصبح "صراع الحضارات النووي"؟

١٥- لماذا تحول النقاش الدائر حول "القنبلة الباكستانية" إلى نقاش ممجوج ومعتاد بين "العلمانيين" و "الإسلاميين"؟

ثانياً: أنماط الحوار التفاوضي في ملف التفاعلات العربية حول التفجيرات الهندية الباكستانية.

. . . كمعظم ملفات الحوار حول الموضوعات الهامة في واقعنا، لم يخلو ملف الحوار حول التفجيرات الهندية الباكستانية من العديد من أنماط الحوار التفاوضي السلبية أو ما اسميناه في هذه الدراسة "بالخطاب المتأزم" أو "بخطاب خطايا الحوار التفاوضي". في واقعنا العربي وهو الخطاب الذي لابد وأن نضع حداً له لأنه من أكثر

معوقات التضامن العربي الإسلامي . . . وها نحن نضع امام القاريء كإمتداد للملفات التي قمنا بتحليلها من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٨ تحليلاً آخراً لأحدث هذه الملفات ولعل أهم مايستدعي انتباهنا الأنماط التالية - بصورة أولية-:

النمط الأول:

انقسام الحوار الدائر حول "القنبلة الإسلامية" إلى حوار تناحري بين " علمانيين " و "إسلاميين"!!

كما تحدثنا سابقاً في الكثير من واقع هذه الدراسة، فإن من أخطر مايصيبنا في مقتل هو وجود تيارات متناحرة لاتعرف كيف تدير **الاختلاف** لصالح الأمة ككل وهنا نجد المتحاورين يتخندقون ويتمترسون . . خلف مسميات ومواقف تسعد بها إسرائيل وكل الخصوم والأعداء. فبمجرد أن سمع البعض بمقولة أن "القنبلة إسلامية" ظن أن هذه حجة "الإسلاميين" فأخذ ينتقد كل الطروحات حتى لو اتخذ في النهاية موقف العداء من "باكستان الأصولية" ! واختزل التسمية على أنها من باب هزل وضعف وقلة حيلة "الإسلاميين" ونسى أو تناسى حقائق كثيرة . . . ولم يفرق بين ماقاله ذو الفقار علي بوتو وضياء الحق في هذا الصدد . . . ومايقوله كيسنجر وشارون ودوائر غربية تنظر للأمر على أنه يتعلق بخطورة حيازة القنبلة لأي دولة اسلامية أي كانت . . . من هنا فقد نفي نواز

شريف ووزير خارجيته جوهر أيوب خان تسمية القنبلة "بالقنبلة الإسلامية" . . ولكن هذا الأمر من دواعي الذكاء والدبلوماسية المدروسة . . . فقالا أن " القنبلة لادين لها (انظر على سبيل المثال لا الحصر تصريح وزير الخارجية الباكستاني للشرق الأوسط في ٣١/ ٥/ ٩٨م) ولكن هناك فرق بين موقفيهما هذا وبين أن نتجاهل البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي وهو قائم بالفعل وليس من جانبنا أساساً . . . ولابد من أخذ ما يحدث على صعيده في الحسبان. وهنا لابد أن نضع علامات استفهام على مايلي:

١- لماذا يعلن هنري كيسنجر في برنامج في محطة CNN عشية التفجيرات الباكستانية عن تخوفه من "القنبلة الإسلامية" ومن انتقال التكنولوجيا النووية لدول إسلامية أخرى؟ (مقابلة مع هنري كيسنجر في برنامج تحليل الأخبار بـــCNN / ٢٩/ ٥/ ١٩٩٨)

٢- لماذا يصرح صموئيل هنتينجتون " صاحب نظرية صدام الحضارات المعروفة" عقب التفجيرات فيذكر أن "صراع الحضارات" قد أصبح "صراع الحضارات النووي؟! " (حوار نقلته جريدة الشرق الأوسط في ٥ يونيو ١٩٩٨).

٣- لماذا ينسى أو يتناسى البعض أن موجودات قزقستان - وهي **دولة مسلمة** - من دول أسيا الوسطى السوفيتية السابقة - من الترسانة

النووية قد أعيدت إلى عهدة روسيا بناء على خطة أمريكية ؟ . . وينطبق هذا الوضع على "أو كرانيا وروسيا البيضاء وقزقستان . . . "؟ !

٤- لماذا صرح شارون ومنذ عام ١٩٨٨ بأن أمن إسرائيل من الحدود مع مصر والدول العربية وحتى باكستان؟

٥- لماذا نتجاهل إعلامياً ودبلوماسياً تحركات إسرائيل في العمق الإسلامي . . . ومحاولة تطويق مايحدث فيه ليكون لصالح إسرائيل بدلاً من أن يكون لصالح العمق الإسلامي ؟ ! . فإن مايحدث من تحركات للمبعوثين ورجال الأعمال الإسرائيليين في الجمهوريات الإسلامية وآسيا وأذربيجان ليستدعي التأمل في مدلول هذه التحركات؟ . . . ولماذا التخوف الإسرائيلي الذي أحدثته تفجيرات باكستان النووية كدولة إسلامية في المقام الأول بالرغم من ادراك العالم كله لبعد الصراع مع الهند أساساً؟

النمط الثاني : نمط الترديد الإعلامي :

من طعم " الغواصات الإسلامية " إلى "القنبلة النووية الإسلامية "!!

. . . بالرغم من أن تعبير " القنبلة النووية الإسلامية " لمن التعبيرات التي ينبغي التوقف عن استخدامها إلاّ أن التعبير استخدم

في الواقع الباكستاني مرة من ذو الفقار علي بوتو ومرة أخرى من ضياء الحق. أي من الزعماء الباكستانيين أنفسهم وردد التعبير الألف والملايين من الباكستانيين أنفسهم قبل وبعد التفجيرات. . . ورغم الدافع هو ألا يُحرم المسلمين من حقهم في امتلاك الرادع النووي. . . إلاّ أن التعبير قد تلقفته آلة الدعاية الصهيونية وعمقت فكرة ترديده إعلامياً ولكن في إطار مختلف وهو إطار حملات تشويه الإسلام والتخويف من الإسلام والمسلمين ووصمهم بالعنف والقتل والإرهاب . . . ولقد استخدم من قبل مفهوم "القنبلة الإسلامية" "مفهوم الغواصات الإسلامية" وهو ذلك المفهوم الذي روج له الصهيوني "يوسف بودانسكي" في كتابه بعنوان "**الإرهاب يستهدف أمريكا**" حيث يصف كل عضو من الجاليات الإسلامية بأمريكا والغرب بأنه كالغواصة التي تسير تحت الماء دون أن يشعر بها أحداً ثم يُفاجأ الجميع بما تفعله من تدمير وكأن المسلم يأتي لامريكا أو إلى دولة أوربية وكأن رحلته كرحلة غواصة تسعى لتدمير أهدافها حينما يحين الوقت المناسب. . . . . لابد لنا أن نتنبه إذن للدلالة الخطيرة والمفتعلة لمثل هذه المصطلحات ونعمل على وقف ترديدها ونموها على الأقل من ناحيتنا . . . ولقد كان لتصريح كل من نوازشريف ووزير خارجيتة وفي أكثر مناسبة " أن القنبلة لادين لها" بمثابة دبلوماسية ذكية تتنبه لمايُضر ولاينفع . . . وإن كان استخدام تعبير "القنبلة النووية الإسلامية" من ذي قبل ومن قبل " ذو الفقار علي بوتو"

وضياء الحق" وآخرون من باب إعداد القوة التي أمرنا بها الإسلام ومن باب إلاّ تُحرم دولة إسلامية من حقها في الدفاع عن نفسها ومن هنا جاءت فتوى بعض علماء الدين بأهمية امتلاك الرادع النووي إلى حد القول "بأن امتلاك الرادع النووي واجب شرعي" ولقد صرح بهذا شيخ الأزهر وجمهرة أخرى من العلماء. يقول د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر . . "أن مصالح الأمة تدعو لحيازة القنبلة النووية. . . ولقد جاء ذلك حين ادان الموقف الامريكي غير المتزن من هذه القضية وذكر فضيلة الأية الكريمة" ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ . . . "﴾ وردد فضيلته ماقاله الشاعر في إطار مانراه من ممارسات إسرائيل:

"لاألوم المستبد إذا تجرأ أو تعدى

شأنه أن يستبدا وشأننا أن نستعدا"

(جريدة المسلمون ٢٦ صفر – ١٤١٨ – ٢٠يونيو ١٩٩٨)

الخلاصة أن نتنبه لما يُردده الصهانية بخصوص "القنبلة النووية الإسلامية" حتى إن كان دافع البعض منا في استخدام المصطلح بدافع آخر. . . فهناك طرق وتعبيرات أخرى أكثر نفعاً وأقل ضرراً إذا أردنا أن نعبر عن الدافع النبيل والمشروع لنا.

النمط الثالث: نمط رد الفعل الانفعالي والمتسرع:

ولقد تجسد هذا في رد الفعل الذي طالب أن تنسحب الدول العربية وفي مقدمتها مصر من معاهدة منع الانتشار النووي ومن أمثلة هذا الطرح ماذكره الجنرال سعد الدين الشاذلي - مع عميق الاحترام لشخصه وتاريخه - بجريدة الشعب في ٢٩/ ٥/ ١٩٩٨م ومجلة المجتمع في ٢٩/ ٦/ ٩٨ - فإن مثل رد الفعل هذا -يجانبه ومع الموافقة على ضعف وترهل معاهدة منع الانتشار النووي- يجانبه الصواب من عدة أوجه أولها أنه قد فات أوان هذا الأمر الآن وليس هو العقبة. . إنما العقبة الحقيقية هي الإرادة في التحرك نحو اتجاها ما بالاضافة أن ذلك هذا الرأي من شأنه أن يستدعي كل العقوبات وكل ردود الفعل السلبية من الخصوم و الأعداء بل والمحايدين دون أن يكون له مردوداً فعلياً. . فإذا كنت وعلى سبيل المنطق أن تكون فعلاً قاب قوسين أو أدنى من الوصول للتفجير النوى الناجح مثلاً لكان هناك قول آخر. !. . ولك أن تتخذ هذه الخطوة أو غيرها. !. . ولكن الأمر بهذا الشكل والدعوة للخروج من المعاهدة بهذا الأسلوب لمن الأمور التي تجسد نمط رد الفعل الانفعالي والمتسرع الذي كلفنا كثيراً في الماضي ونرجو أن يتوقف من باب المسؤلية الوطنية الصادقة والإيجابية.

النمط الرابع : نمط الاستعداء السلبي :

والمقصود بهذا النمط أن نقوم باستعداء آخرين بأسلوب يتسم بالرعونة دون محاولة تحييدهم وضمهم لقضيتنا . . . وهذا النمط السلبي الذي نعتبره من خطايا الحوار التفاوضي العربي قد تجسد من مقولات تعبر عن التصدى للهند بالوقوف مع الباكستان فلماذا لايكون الوقوف بجانب باكستان مثلاً لايستتبع استعداء الهند ومعاداتها حتى وإن تطرقنا إلى تحليل الأسلوب المتطرف للحزب الحاكم في الهند فلاينبغي أن ننس مواقف الهند في فترات سابقة ولماذا نترك ساحة الهند خالية لاسرئيل لتحدث مزيد من التقارب الذي يُعد بالسلب من ناحيتنا . . . ولماذا لانترك الجسور قائمة ونمد المزيد منها مع الهند سواء مع الحزب الحاكم أو مع القوى الأخرى التي قد يكون لها أن تمسك بمقاليد الحكم في الهند في المستقبل . . . فلقد اثبتت ورسخت التجربة الديمقراطية الهندية فكرة تداول السلطة فعلاً . . . !!

النمط الخامس : نمط رد الفعل المتأخر : DELAYED RESPONSE

قدمنا فيما سبق في الجزء الثاني من هذه الدراسة تفصيلات وأمثلة عديدة لمفهومين وهما : التفاعل أثناء الحدث

REALTIME INTERACTION.

والتفاعل الذي يتسم برد الفعل المتأخر .

DELAYED RESPONS

ولعل الكثير من تفاعلاتنا عقب التفجيرات الهندية/ الباكستانية قد جسدت هذا النمط من التفاعل. . . حيث بدأنا في التعبير عن الاندهاش والإحباط ووصم تحركتنا بفوات أوان الفعل ولعل ممن انتقدوا هذا النمط مقال للواء مهندس محمد عبدالفتاح محسن بعنوان: "البوصلة والقنبلة" (الاهرام ٢٣/ ٦/ ١٩٩٨) الذي يسترجع تاريخ البرنامج النووي المصري ويتسأل في نهاية المقال ويقول:

" والآن ألايحق لنا أن نتساءل أين القنبلة العربية؟ ولماذا لم ننجح في توظيف الإمكانات العربية الهائلة لحماية أمننا القومي؟ . . . لقد كان لمصر برنامج نووي طموح، ولكنه تجمد فإذا كان مؤشر البوصلة قد لحق به خلل في ا لخمسين سنة الماضية، فقد أن الأوان للاستدلال على الدرب وعندنا الإرادة ولدينا علماء مصر وهم كنز لم نقترب منه بعد. . . "

النمط السادس: نمط القطرية الانعزالي والتسحلف:

هذا النمط يركز على مبدأ غير تفاوضى ومفاده القول: "إن موقفي الأصح ورؤيتي الأصح. . . كان عليك أن تفهم ذلك من مدة وعليك قبل الجلوس معي أن تفعل كذا وكذا . . . " وهو موقف لايتعامل مع فكرة إدارة الاختلاف من أجل الوصول إلى قاسم مشترك يتيح فرص أفضل للجميع مما عليه الوضع الكائن. . . ولقد

تجسد هذا النمط في العديد من التفاعلات السلبية في واقعنا ولعل من المهم أن نطل على تفاعلات محاولة عقد مؤتمر قمة عربي عقب التفجيرات النووية التي واكبها شبه موت لعملية السلام المتعثرة . . . فبدلاً من تجاوز الكثير من الأمور وتخطيها وصولاً إلى موقف بخصوص المستجدات علم الجميع من أن أطرافاً عربية تناست كل المستجدات بخطورتها وراحت تقول أن القمة هي من أجل مساندة من دخلوا إلى " معمة السلام واتفاقياته وإن توجههم من البداية كان خاطئاً ويريدون من ينقذهم اليوم. . ! " إن أي محلل موضوعي يجد في هذا الموقف اختزالاً وتسلحفاً " فهو موقف يجسد الانعزال القطري وعدم القدرة على إدارة الاختلافات بشكل عملي وفعال ولاينظر للصورة الكبرى للموقف وموقع الأرضية المشتركة للتحدى الذي يواجه العرب كلهم دون استثناء. . . ولعل من المقالات التي انتقدت بشكل غير مباشر مثل هذا النمط مقال مرسى عطا الله بعنوان " الحديث " النووي " وحديث القمة! " (الأهرام ١/٦/١٩٩٨) وكذلك ممن سخروا من هذا النمط بشكل غير مباشر زكريا نيل في مقاله بعنوان " اتركوا حكاية القمة لحالها!! . . . وكونوا كالعمالقة الجدد في الهند و باكستان !! " (الأهرام ٦/٦/١٩٩٨).

. . . بالاضافة إلى ما يفيد فكرة " التسلحف اللاتفاوضي " والمرتبطة " بنمط القطرية الانعزالي " انهماك البعض في مزيد من

التقوقع وعدم الثقة بأي أحد. . . كأن نستمع لمن يقول " الموضوع ببساطة أنا كدولة عربية س أو ص أشعر الآن من التهديد أولاً من إسرائيل ثم من . . . ثم من . . . ثم باكستان. . . " هذه هي الحسبة الصح! . . .

فلاينظر إلى التضامن العربي بايجابية أو يحاول هذا بأي شكل من الاشكال أو أن يسعى إلى ضم الباكستان إلى العمق الطبيعي لها وهو عمقها الإسلامي أو التقدم بأي صيغ إيجابية من شأنها تعظيم القوة في عالم يتجه إلى الاندماج في كيانات كبرى من شأنها أن تهمش عالم القوى الصغيرة. . . بل أنه عالم يسعى إلى تفتيت تلك الكيانات الهزيلة المنعزلة . . . " شاء من شاء وأبى من أبى !! "

الخــلاصــة

اطلت التفجيرات الهندية الباكستانية بحسابات جديدة ومعادلات لابد من ضبطها بحكمة وربما ما نخلص إليه هو دراسة الأسئلة التي تم تناولها. وصولاً للحجج السليمة - وهو الأمر الذي يتطلب دراسة منفصلة لأن الوصول إلى هذه الحجج السديدة هو أساس الوصول إلى اتخاذ القرارات المستقبلية السليمة من ناحية، ومن الناحية الأخرى العمل على تجنب أنماط الحوار التفاوض السلبية التي رصدناها والتي لاشك وأنها تمثل عقبة كبرى في احداث التضامن وتعظيم قوة الأمة العربية الإسلامية.

*****

الجزء الثالث

دبلوماسية المسار الثاني في إطار سيناريوهات كونية"

GLOBAL SCENARIOS

[المستقبليات والمعلوماتية: ومن التخندق ماقتل!]

الفصل السادس عشر

دبلوماسية المسار الثاني في إطار " سيناريوهات كونية "

GLOBAL SCENARIOS

[سيناريوهات " الإسلام والغرب " في إطار الصراع العربي الإسرائيلي:]

بخصوص مفهوم السيناريوهات الكونية يمكننا الخوض فيها على عدة مستويات فيمكننا مثلاً التحدث عن تلك المتعلقة بالمحاور التي ذكرناها سابقاً حيث قد تتحول صراعات اقليمية إلى صراعات كونية وهذا ماترصده و تُستغرق فيه جهود عشرات بل ومئات الباحثين في المشروعات المستقبلية في عالم اليوم ويمكننا هنا رصد سيناريوهات كونية على محاور البيئة وصراعات المياه، والتكنولوجيا والمعلوماتية ونظم الحكم ولكن هذا الأمر يحتاج إلى دراسة أخرى منفصلة خاصة فيما يتعلق بسيناريوهات "الموارد"، ولكنني سأقتصر هنا على ذلك السيناريو الذي لابد وأن ننظر إليه في سياق السيولة الراهنة التي يتسم بها مايُعرف بالنظام العالمي الجديد الذي يندرج في إطار مناقشة مفاهيم متناقضة منها مايسمي "بالكونية" "GLOBALISM" ومنها مايتعلق بظاهرة " انفجار الصراعات العرقية" "ETHNIC CONFLICTS" والتكتلات الاقتصادية الكبرى وصدام الحضارات" وقد يكون من المفيد تخريج دراسة منفصلة فى هذا الصدد عن كل بُعد من هذه

الأبعاد ولكن **مايعيننا هنا ماقد يستغل أساساً لاضافة اعباء ينبغي التعامل معها- فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي خاصة في مجال السيناريو رقم ٤** الذي ورد ذكره. في الجزء الأول من هذه الدراسة.

فإذا مانظرنا إلى خريطة مفاهيم وأدوات دبلوماسية المسار الثاني (الصراعية) خاصة في صعيد مايتم ترسيخه عن العرب والمسلمين في الغرب، فهذا لايكون بعيداً عن سيناريو "صدام الحضارات" وليس ببعيد عن فكر وممارسة الصهيونية وبالرغم من أن الكثير من المفكرين والمسؤوليين في واقعنا العربي يقولون بأن هذا السيناريو غير مقبول ويقول أحدهم " أنا لاأعتقد شخصياً بوجود صدام بين الحضارات بل الأمر لايعدو على أن يكون تنافساً " وكأنه لايقبل الفكرة من باب " أنه من الأفضل أن نقتنع بأنه لاصدام بين الحضارات والأمر مجرد مصالح وتنافس! " نعم . . . نتمنى جمعياً هذا ولكن الأمور لاتؤخذ بالتمنى فمن الملاحظ أنه عندما ونشر صمويل ها نتينجتون نظريته بخصوص "صدام الحضارات" وتم الهجوم عليه من باب أنه أكاديمي ضعيف وحجته ضعيفة إلاّ أن أرض الواقع وممارسته لابد وأن تجعلنا على حذر واستعداد لكن نحتوي أثار مثل ذلك السيناريو الكوني والذي يصوره هانتينجتون كما مايلي:

"إن النظام العالمي الجديد يقوم على صراع ثماني حضارات هي الحضارة

الغربية، اليابانية، والكنفوشيوسية، والهندوكية والأمريكية اللاتينية والارثوذكية السلافية والحضارة الإسلامية (فهو يعتقد أيضاً) أن يمكن أن تضاف إلى هذه الحضارات الحضارة الأفريقية... (ويرى) أن الحضارات الثماني الكبرى تختزن قوى الصراع المستقبلي .. وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جهات لها نقاط التماس بين الحضارات خاصة بين الإسلام من ناحية وكل حضارة من هذه الحضارات على حدة. ويرصد هانتيجتون الأمثلة للتدليل على ما وصل إليه من استنتاجات"...(٢)

وكما ذكرنا ولاحظ عشرات الكُتاب في الشرق والغرب ضعف اطروحات هانتيجتون وعدم اتساق بنية بحثه الذي أحدث كل هذا السجال في عالم الاكاديمية ، إلاّ أن واقع الممارسة يشهد مع وجود نظريات التكتلات الاقتصادية اندلاع صراعات عرقية غير مسبوقة في العصر الحديث ويشهد ممارسات تنم عن تفعيل نظرية صدام الحضارات هذه ولعلنا نربط بين هذه النظرية الاكاديمية الضعيفة وبين ممارسات عديدة سيكون لها سياق تفصيلي آخر، ولكن ربما يكون من المهم أن نقدم هنا لقطة واحدة من بين عشرات اللقطات المماثلة وردت في مقال حديث لأحد أبناء الجالية العربية المقيمين في لندن حيث يذكر صاحبها وليد نويهض (في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧ . جريدة الحياة) مايلي:

ازدادت الأسئلة الحاحاً وأخذت تطرق الذهن عند ملاحظة ظواهر ملفتة

وغريبة. المانيا تقوم بطرد البوسنيين من أرضها على دفعات بذريعة أن الحرب انتهت وعليهم العودة إلى بلادهم لأعمارها في وقت تمنع الولايات المتحدة حكومة البوسنه من الحصول على معوناب من دول عربية وإسلامية تسرع من عملية اعادة البناء. الجبهة الوطنية في فرنسا تفوز بعدة بلديات كبيرة وتطالب بإقفال المساجد وطرد المسلمين المغاربة إلى بلادهم في وقت تعاني بلدانهم من القمع والاستبداد والفوضي والفساد. ممثلة سينمائية غبية تقوم بتأليف كتاب (مذكرات) واطلاق تصريحات عنصرية ضد المسلمين في فرنسا، ويفشل المسلمون في حذف الفقرات المهينة ضدهم لأن المحكمة رأت في أفكارها مجرد حرية راي. حوادث عنصرية مشبوهة ضد الاتراك والمغاربة وغيرهم من افارقة وأسيويين تحصل أسبوعيا أو شهرياً في المانيا وبلجيكا وفرنسا في وقت تتراجع قوانين الحماية ويتجه الاتحاد الأوروبي إلى وضع شروط قاسية ضد الأجانب في القارة وتفشل المجموعات اليسارية والديموقراطية في وقف الاجراءات أمام محاكم الدول الأوروبية.

لم تقتصر تلك الظواهر على بعض أوروبا بل أخذت تنقل أمراضها إلى بريطانيا التي تعتبر علمانيتها معتدلة وتقوم على التعددية الثقافية ولاتفرض شروطها على الآخر مادام الآخر يحترم القانون ووحدة البلاد. بدأت هذه الظاهرة المخيفة بالانتقال منذ ألف الكاتب الهندي المسلم روايته وجرح فيها مشاعر المسلمين. ورفضت المحاكم الاستجابة لدعاوي المسلمين القضائية بذريعة أن القانون لايشملهم . وامتدت الظاهرة إلى الصحف الشعبية فأقدمت أحداها على وصف العرب بالخنازير وعندما اعترض

المسلمون على الوصف اقدمت الصحيفة نفسها على نشر كاريكاتور يمثل تظاهرة للخنازير تحتج على وصفهم بالعرب. ومنذ تلك اللحظة كسرت الصحافة الشعبية عين المسلمين وأخذت عند كل شاردة وواردة بالتطاول على الأقليات المسلمة في بريطانيا واصفة إياهم بأبشع الصور متسلحة بأن القانون لايحميهم كبقية الأقليات مثل الكاثوليك أو اليهود، مستغلة أحياناً تصريحات يطلقها بعض الأدعياء من المسلمين تساهم في تشويه السمعة والصورة.

آخر الابتكارات كان ذلك الفيلم التسجيلي الذي عرضته القناة الرابعة البريطانية عن واحد يطلق على نفسه أو اطلقت عليه «آية الله» المذكور باطلاق الكلام شمالاً ويميناً فطالب بتطبيق الشريعة في بريطانيا ورفع راية الإسلام فوق مقر رئاسة الوزراء واعتبر أن البريطانيين هدفاً مشروعاً للمسلمين وادعى أنه يملك مراكز تدريب في المملكة تمهيداً لإعلان الجهاد واعترف أنه يتلقى مساعدات مالية من الضمان الاجتماعي ويعيش على حساب دافع الضرائب وأنه يقوم بجمع التبرعات وإرسالها إلى حماس وحزب الله لمحاربة الكفرة واليهود.

وتحدث المذكور عن أمور كثيرة مثل الموسيقى والغرق الموسيقية والشذوذ الجنسي وترك مقدم البرنامج لـ«آية الله» أن يأخذ حريته في القول والكلام من دون اعتراض. فالكلام يصب في خانة اللاسامية والعنصرية ويعطيهما القوة المادية والتبرير المنطقي لاثارة المجتمع ضد المسلمين والمطالبة لاحقاً بطردهم من البلاد بحجة تهديد أمنها وإثارة الفتن الأهلية. ولم يوضح مقدم

البرنامج أن المذكور يمثل رأيه الخاص وأن المسلمين لايوافقون على ماقاله وذكره..." (وليد نويهض - الحياة - ٢١/٤/١٩٩٧)

إن ماورد أعلاه يتكرر بشكل أو بأخر ويجعل من "سيناريو صدام الحضارات" سيناريو له وقائعه الحاضرة البينة وهو الأمر الذي لايمكن تجاهله ونحن نخطط لممارسات احتوائية من خلال دبلوماسية المسار الثاني من منظور عربي إسلامي . في إطار التأكيد على سياسات تدربية وبرامج تدريبية من أجل هندسة عربية متكاملة لدبلوماسية المسار الثاني وهنا لابد وأن تتمحور الجهود على عدة محاور فهي :

(١) على صعيد العمل العربي الداخلي :

لابد من العمل على تدعيم مهارات الحوار العربي العربي والخروج من دائرة الحوارات السلبية وخطايا الحوار التفاوض العربي التي ذكرناها التي تبدد الوقت والجهد وتبتعد بنا عن التقارب والتضامن الذي لابد منه لأمة تمتلك قيم حضارية وإنسانية تمكنها من أن تضبط معادلة يكون من شأنها رد كيد المعتدين والإسهام الإنساني المتميز، فهذه القيم تتوافق مع معطيات دبلوماسية المسار الثاني كبديل عن سياسات وغطرسة القوة POWER POLITCS والتي تنطلق من المباراة التفاوضية فلنكسب جميعاً WIN - WIN GAME كذلك فإن علينا أن نحتوي في نفس الوقت ملامح وسمات وتوجهات وأغراض

دبلوماسية المسار الثاني الصراعية والصراعية الحادة التي ينتهجها الخصوم لتشويه صورتنا ولزرع توجهات معادية للأمة العربية الإسلامية . . ولكل مايتعلق بمفردتي "عربي" و "مسلم" وقطع الطريق على مثل هذه النوعية من الممارسات حتى لاتحقق الهدف منها وهذا يتطلب - بالاضافة إلى تدريب القائمين على إدارة هذا الصراع تقنيا بخصوص تمكينهم من أدوات التحليل والإقناع والتواصل الفعال عبر الثقافات حاضراً ومستقبلياً - أن نتمكن من تحديد تضاريس الخريطة الذهنية لساحات التفاعل بدقة على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي على سبيل المثال كما قمنا بتحديد ذلك والعمل على اختراق الجبهة الداخلية الإسرائيلية بطرق مبتكرة تمكننا من الإمساك بأوراق الضغط من أجل تحقيق سيناريو السلام العادل وتطبيق مبدأ الأرض مقابل السلام وافشال واحباط أي مؤشرات لسيناريو التفكيك الذي يسعى العدو لتفعيله وكذلك الحفاظ على الحد الأدنى من تدهور الأوضاع وإفشال خطوات من يسعون إلى جر المنطقة إلى حافة الهاوية بطريقتهم وفي الوقت والمكان الذي يحددونه سواء عن علم ونية مُبيته أو عن جهل ورعونة . . .

لابد أن نحافظ على ضبط معادلة هامة مفادها تعميق المشاركة الدولية في إقامة السلام العادل وكذلك عدم الدخول في متاهات المواجهة السلبية مع الوسيط الأمريكي الذي يملك الكثير من أوراق

الضغط التي يمكننا نحن تفعيلها فلقد كانت سمة الانفعال هي الغالبة بخصوص الانحياز الواضح الذي مارسه الوسيط الأمريكي ولكن لابد وألا ننسى أن أرض الوسيط الأمريكي مليئة بالاتجاهات والفرص الكبيرة ولابد وأن تكون هناك آليات فعالة لامتلاك منصات فكرية وسياسية مؤثرة على صانع القرار من خلال الجهود المتعددة واستغلال ودفع أنشطة الجاليات العربية الإسلامية هناك والجهود الدبلوماسية المتعددة أي لابد من انشار رؤوس كباري تربط بيننا وبين مايحدث على الأرض الأمريكية وأن نقوم بحماية وتنمية كل الاتجاهات الإيجابية التي لابد من تفعيلها وعلى سبيل المثال لا الحصر نرصد مايلي :

مجابهة سيناريو البقرة الحمراء !

☐ هناك فئات ممن يعارضون فكر المسيحية الصهيونية التي تعتنق مبدأ التأييد الأعمى لإسرائيل إلى حد هدم المسجد الأقصى وإحداث محرقة نووية (ومن آخر أخبار هذه الفئة التي تسمى أيضاً "بحزام التوراة" أنها تؤمن بأسطورة يهودية توراتية تقول: إن بناء هيكل سليمان، للمرة الثالثة سيبدأ بعد ولادة بقرة حمراء لاتوجد بها شعرة من لون آخر، فهذه علامة يرسلها الرب ليهود العالم يؤمن بهذه الأسطورة. وقيل أن البقرة الحمراء المقدسة والمرتقبة قد ولدت بالقرب من حيفا منذ سبعة أشهر تقريباً. فهي وكما يعتقد اليهود إشارة من

" الرب " ببداية تنفيذ " المعبد اليهودي الثالث " في القدس ، ولقد ذهب إلى القرية في الإيام السابقة مجموعة من الحاخامات اليهود " خبراء الأسطورة " وشاهدوا البقرة الحمراء " المقدسة " وقالوا إن هذه البقرة هي علامة " الرب " لبناء المعبد أو هيكل سليمان للمرة الثالثة في التاريخ البشرى !!

. . . لماذا لانقوم بتعبئة كل القوى المناهضة للهوس الديني وذلك التطرف على الصعيد الأمريكي والغربي . . . فهناك من ساعدنا بتقديم كتابات قوية أثارت ردود فعل إيجابية في الغرب من أمثال جريس هيلسل وجودمان وغيرهم ولقد نوهت إلى جهود هذا الخط .

□ هناك كذلك توجهات عديدة يمكن توظيفها للسيطرة على الهوس الديني وتعظيم دور الدين الحقيقي كرسالة من أجل رفعة شأن الإنسانية أخوة البشر والتعايش السلمى . . فلماذا لاندعمها وتكون بدايات لمنصات فكرية مؤثرة في الغرب ولعل من المهم أن أشير هنا إلى كتابات وتوجهات وأصوات هامة في هذا الصدد مثل :

هذا الكتاب الحديث بعنوان " **الدين ، البعد المفتقد في إدارة شئون الدولة** ١٩٩٤ (٣) والذي قدمه الرئيس الأمريكي الأسبق چيمي كاتر والذي يضم دراسات حالة لعدد كبير من مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية التي ترى أهمية النظر للدين في جوهره لوقف ذلك الهوس الديني والتطرف وبناء علاقات دولية لاتتجاهل

هذا الدور الإيجابي للغاية الذي يمكن وأن يلعبه الدين بجوهره في ارساء قواعد إنسانية للتفاعل بعيدة عن غطرسة القوة وبعيدة عما سُمي في إطار هذا الكتاب بمفهوم " الاختزال العلماني " SECULAR REDUCTIONISM الذي اعتبره الباحثون من المفاهيم الخاطئة التي كان من شأنها تدهور الكثير من الصراعات وانفلات إدارتها .

وكذلك فإن من الكتب الهامة للغاية كتاب أيان لوستيك LUSTICK بعنوان : " من أجل الأرض والرب : الأصولية اليهودية في إسرائيل " (٤) وهو من الكتب الهامة التي نشرها المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية حديثاً والذي يصور حجم الهوس الديني والتطرف الأصولي اليهودي الذي سوف يؤدي إلى اشعال منطقة الشرق الأوسط والذي يحذ ر المؤلف منه وهو أستاذ العلوم السياسية ويقول أن الولايات المتحدة إذا وقفت مكتوفة الأيدي فإن الثمن الذي ستدفعه ويدفعه العالم سيكون ثمناً باهظاً . . . "

إن السؤال الكبير الذي يطرحه لوستيك هو من الأسئلة المثارة الآن لدى قطاع كبير من المفكرين الاستراتيجين والباحثين الأمريكين ومفاده : " أنه سؤال لحكومة كلينتون يقول : هل تريدون سلاماً في الشرق الأوسط أم تريدون الجلوس تراقبون عملية السلام وهي تموت ببطء؟

إن السؤال الأكبر والأعمق يطرحه لوستيك وهو ماذا نحن فاعلون للتعامل بكفاءة مع تيار الهوس الديني داخل إسرائيل الذي لايؤمن إلاّ بالصهيونية الأصيلة والذين يرون أن الصراع الحقيقي في إسرائيلي ليس في السجال الدائر بين "الصقور" والحمائم" أوبين السلام والحرب ولكن واقع الصراع بالنسبة لهم يكمن فيما يصفونه بأن الصراع بين "الصهيونية المشوهة" و " الصهيونية الأصيلة" ومفادها بالنسبة لهم:

"لقد أُمرنا من رب إسرائيل وخالق هذا العالم أن نتولى حيازة الأرض المقدسة وأن نفعل ذلك من خلال إما حروب دفاعية أو حروب تحريرية . . . إن الأمر يتطالب عينين مفتوحتين . . . عينان يمكنهما رؤية يد الرب . . ورؤية أرضنا المقدسة التي شهدت حروباً على مدى السنين . . . واليوم وبمساندة الحرب، فإن هذه الأرض في أيدينا وكذلك المعبد في أيدينا . . " .

. . . القضية هنا إننا لابد وأن نؤسس تواصلاً وإتصلات فعالة مع كل من يضرب اجراس الخطر الراهن والقادم بخصوص هذا الهوس الديني الذي إن لم يُترك دون احتواء فسيدفع الجميع بخصوص هذا ثمناً باهظاً ليس في صالح إنسانية هذا القرن والقرن القادم.

☐ بالإضافة إلى التواصل الفعال من أجل انشاء منصات فكرية ورؤوس كباري ثقافية داخل الواقع الغربي والأمريكي بل

والإسرائيلي ذاته فلابد من تنسيق الجهود بخصوص إعداد برامج فعالة على مستوى المحطات الفضائية العربية التي تحتاج إلى مزيد من الاستنهاض والفعل الإيجابي من حيث الاستخدام الأمثل والفعال لتقنيات التفاعل والتواصل عبر الثقافات وأن يكون هناك تنسيقاً بين هذه الفضائيات لازالة التشويه الذي يُلحق بثقافتنا العربية والإسلامية وأن ننتقل إلى مستوى المبادارات التفاعلية التي تحشد الرأي العام العالمي لصالح قضايانا ولصالح السلام العادل الذي هو بحاجة أن يُفرض في إطار الممارسات الصهيونية الراهنة .

☐ إذا كان ماسبق يتطلب تنسيق الجهود على مستوى الاستخدام الأمثل للمحطات الفضائية العربية وبلغات أجنبية تصل للآخرين فلايكون تفاعلنا مغلقاً كما هو في أكثر الحالات ، فإنه لابد من بذل الكثير من الجهود لاستخدام قنوات الإعلام الغربي ذاته فهناك ولاشك هامشاً يمكننا استخدامه إذا ماأحسنا اقتراباتنا وأساليب تناولنا للقضايا بشكل يخالف كثيراً مانمارسه حالياً في العديد من البرامج والفقرات الراهنة .

*****

المستقبليات والمعلوماتية :

" ومن التخندق ماقتل! "

تبقى هنا هذه النقطة الأخيرة وهي أهمية التعرف على طبيعة هذا العصر و أهمها كونه يسمى بعصر "المعلوماتية" وأحياناً أخرى "بمسمى المستقبليات" وعلينا أن نتيقن أن من ثوابت هذا العصر الذي يتسم نسبوكة بشديدة هو التمسك بعقيدتنا وبالعقلية العلمية معاً من هنا فإن هذه الدراسة تقول بالأهمية القصوى للتمسك بعناصر ثقافة التفاوض الإيجابي التي تربط بين ثوابت عقيدتنا وأدوات التحليل العلمي -حاضراً ومستقبلياً- من أجل تحقيق التضامن العربي الإسلامي . . . أي من أجل بناء التماسك الداخلي أولاً اللازم لإدارة الصراعات والتحديات الخارجية بكفاءة وإيجابية . وعلينا أن نتخلص من الكثير من الافتراضات المسبقة الخاطئة والاستاتيكية . . . وخطايا الحوار التفاوضي الذي استرسلنا في إبرازه من أجل تجنبه فيما يجد من قضايا وعلينا دائماً الأخذ بأساليب التحليل المستقبلي وأن تكون الرؤي والبدائل المستقبلية سبيلنا إلى التدخل الإيجابي في تفعيل السيناريوهات المستقبلية المحققة لتقدمنا واستقرارنا وعزتنا وكرامتنا وتجنب السيناريوهات المخالفة لتحقيق ذلك .

ولقد استوقفتني مؤخراً وأنا أضع نهاية هذه الدراسة مقال بجريدة الحياة اللندنية بعنوان " سيكولوجية المعلومات ومشاكل استخدامها

السياسي " (١٠-٤-١٩٩٨) - (١٣ ذو الحجة / ١٤١٨هـ) لكاتبها أحمدالنابلسي - نائب رئيس الاتحاد العربي لعلم النفس كما وصفته الصحيفة . . . وعند قراءة المقال وجدته بمثابة صيحة "تحذيرية " جديرة بالتوقف عندها بالتحليل " : حيث يقول الكاتب :

" وتنطلق المستقبليات من منطلق قدرة المعلومات في المساعدة على رسم صورة المستقبل . لكن هذه المعلومات (وهي صناعة انسانية) لاتستطيع تخطى القصور الإدراكي - البشرى لمفهوم الزمان .

فالإدراك البشرى يحيط بالزمان كمفهوم تجريدي ويبذل الجهود لقياسه بصورة رقمية أو مقارنة . هذا القصور يترافق مع الثغرة الزمنية الفاصلة بين المعلومات (المتراكمة عبر الماضي المستمر وبين المستقبل (زمان الحدث) . وغالباً ماتتحدد الأحداث المستقبلية انطلاقاً من مجريات الأمور خلال هذه الثغرة الزمنية . ويضيف النابلسي قائلاً . . "

هذه العوامل تجعل اعتماد السياسة على المستقبليات اعتماداً محاطاً بالشكوك . خصوصاً بعد إضافة المبدأ العلمي النفس القائل بأن مصدر الخوف يكون أحياناً الخوف من الخوف . بمعنى آخر ، **فإن المستقبليات السياسية** قد تلعب دور الإيحاء الذي يدفع الأمور باتجاهها دون أن يكون هذا الاتجاه من طبيعة الأمور . وتحديداً فإن طرح هنتينجتون عن حتمية صدام الحضارات قد يستتبع جملة أفعال

وردود فعل تحول هذا الصدام إلى واقع أو على الأقل فإنها تدفع الأمور باتجاهه، مما قد يحول المستقبل إلى نتيجة للاستعمال السيء وللصناعة الرديئة للمعلومات ويعيد طرح مجمل التحفظات الواردة أعلاه . . . "

إن الطرح الذي يقدمه كاتب ذلك المقال لابد وأن يشكر عليه حيث أنه يفيد بحقائق ينبغي وأن نأخذها بعين الاعتبار وأهمها في الواقع ماقد يُعتبر بمثابة معالجته لموضوع حملات المعلومات " وحملات المعلومات الملغومة " أو المضللة " أو غير الدقيقة (DIS IN FORMATION) أو (MISIN FORMATION) . . . ولكن خطورة هذا الطرح أنه لايتعرض لجزئية المعلومات الخاطئة أو المضللة أو غير الدقيقة فقط ولكنه يتعرض لفرع من فروع العلم بأكمله حيث يحيطه بالشك والريبة مجال من مجالات العلوم الحديثة على إجماله . . . فالمستقبليات سواء كانت سياسية أو غير سياسية إذا أردنا أن نأخذ بها لابد وأن يتوفر لها مايلي :

١ - أن تكون علمية . . . أي أن ينبني البحث في إطارها على الآخذ بكل مايُطرح على الساحة للتعرف على الحقيقي والوهمي والمضلل أو غيره بأسلوب علمي غير متعسف بعيداً عن أسلوب " سجن الافتراضات المسبقة التي تنبني على قدر غير كاف من البيانات . "

٢- أن تكون (المستقبليات وبجانب النظرية العلمية الصارمة مستمدة من بيانات واقعنا العربي الإسلامي وقيمه . . . أي أن يكون تأسيسها على أساس من التقنيات العلمية المعنية بالتحليل من ناحية، وبهدف استشراف قضايا العالم العربي والإسلامي ومن قبل المتخصصين العرب من ناحية أخرى، حتى نتمكن من تفعيل مانراه مناسباً من سيناريوهات تتفق مع أجندتنا والتدخل الإيجابي لمنع مانراه سلبياً ومضاد لمصالحنا وقيمنا . أي لابد من تأصيل العلم ليناسب أجندة وقيم الواقع الذي نمثله . لأن ماتأسست عليه الكثير من العلوم المستقبلية والاجتماعية والسياسية واللغوية قد نبع من واقع مجتمعات مختلفة . . وعلينا أن نحدد ماهو علمي عالمي وماهو علمي ثقافي في هذا الصدد .

إذن فخطورة الطرح الذي يقدمه النابلسي - وهو يمثل قطاع لابأس به ممن يفكرون بنفس التوجه- قد يمثل نمط "التخندق" وربما ترك مجال هام من مجالات العلوم الحديثة وبذلك ترك الساحة للآخرين وهذا من سلبيات الحوار التفاوض العربي . . إذا وصلت هذه الرسالة من مقال الكاتب . أو كانت مايعينه فعلاً . . .

ولعل ذلك المقال يذكرني بحادث آخر أبرزه الفيلم الوثائقي الذي عرضته قناة MBC عن مرور خمسين عاماً على الصراع العربي الإسرائيلي عندما ذُكر - في بدايته أن الاتحاد السوفيتي قد مرر معلومة

لمصر وسوريا عن وجود حشود على الجبهة فاستنفر ذلك القوات المصرية والسورية وحدثت التعبئة العامة والتصعيد وذُكر بالفيلم أن هذا الأمر كان طُعم المؤامرة السوقيتية حينذاك على العالم العربي . . . وبغض النظر عن حقيقة هذا الأمر من عدمها - إلاّ أن هذا يشكل مثالاً للمعلومة الخاطئة وأثارها المدمرة . . . ولكن المشكلة دائماً ليست في المعلومة الخاطئة المشكلة في المتلقي لها . . . فكيف لانتحقق وكيف نفقد دور الفاعل ونقبل بدور المفعول به أساساً . . . فهذا الدور له تنوعات عديدة في واقع تفاعلاتنا - مع الأسف- وإذا أردنا أن نترك هذا الموقع على طول الخط فهذا لن يحدث إلاّ بانتهاج موقع " الفاعل " الإيجابي وهذا له شروط ومقومات كثيرة أسأل الله علي القدير أن تكون هذه الدراسة واحدة من الدراسات التي تسهم نحو هذه الغاية والله ولي التوفيق وهو سبحانه المستعان .

*****

مراجع الجزء الثالث

* المقالات الصحفية والأحاديث الشفهية التي تم الاستشهاد بها قد تم رصد كتابها أطرافها و وتاريخ ومصدر المعلومات داخل نصوص فصول هذا الجزء.

(١) راجع كتاب كاسبرر واينبرجر وبيتر شويتزر التالي:

CASPER WETNBERGER & PETER SCH WEIZER, **NEXT WAR**, REGNERY PUBLISHING, INC., 1996.

(٢) راجع مقال صموئيل هينتينجتون التالي:

SAMUEL HUNTINGTON, "CLASH OF CIVILIZATION" ,**FOREIGN AFFAIRS**, SUMMER 1993.

(٣) راجع الكتاب التالي الذي قدم له الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر:

DOUGLAS JOHNSON & SYNTHIA SAMPSON, **RELIGION: THE MISSING DIMENSION OF STATE CRAFT**, NEW YORK: OXFORD UNIVERSITY PRESS, 1994.

(٤) راجع الكتاب التالي لايان لوستيك وهو من أول الأعمال العلمية التي تحلل ظاهرة الأصولية اليهودية بجرأة وعلمية موضوعية:

I AN LUSTICK, **FOR THE LAND AND THE LORD**; JEWISH FUNDAMENTALISM IN ISRAEL , NEW YORK: COUN CIL ON FOREIGN RELATIONS PRESS, 1988.

عن الكاتب

- تخرج من كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر ١٩٧٧ .
- حصل على ماجستير في اللغويات التطبيقية - جامعة تكساس . الأمريكية ١٩٧٩- ١٩٨١ (المجال: تصميم المناهج واكتساب اللغة الأجنبية)
- حصل على ماجستير علوم في اللغويات - جامعة چورچتاون بواشنطن ١٩٨٥ (المجال: تحليل للأداء التفاعلي في وسائل الاعلام الأمريكية) .
- حصل على الدكتوراة في اللغويات والعلوم السياسية - جامعة چورچتاون بواشنطن ١٩٨٩ (المجال آليات القدرة في المفاوضات السياسية الدولية) .
- استشاري بالبنك الدولي ١٩٨٣-١٩٨٦ (مجال: الترجمة في المجال القانوني والفني والعديد من المشروعات بأقسام الإدارة الفنية وأوروبا والشرق الأوسط وشمال افريقيا) .
- قام بالتدريس في جامعتي تكساس وچورچتاون اثناء فترة ابتعاثه . -وفي مصر- بجامعات الأزهر- والجامعة الأمريكية- وعين شمس والقاهرة) .
- قام بتقديم عشرات الدورات التدريبية في المؤسسات العربية والدولية في مجال تنمية مهارات التفاوض وإدارة الأزمات وطرق الاستشراف المستقبلي في السياقات الإدارية والاجتماعية والسياسية [ومنها بالاشتراك مع جامعة هارڤارد والبرنامج الانمائي للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية- والديوان الأميري بدولة الكويت- والعديد من البنوك والوزارات في مصر والوطن والعربي وبشركات التدريب العربية

والدولية . .]

- قام بتقدم عشرات المحاضرات والدورات التدريبية في المعهد الدبلوماس بوزارة الخارجية المصرية وشارك في العديد من ندوات وأنشطة المعهد .
- شارك في تأسيس معهد الأهرام الإقليمي للصحافة ومستشار بالمعهد .
- خبير من خبراء الوحدة التنفيذية للمعونة الفنية . (OUDA) وهي وحدة مشتركة بين وزارة الخارجية المصرية والبرنامج الانمائي للأمم المتحدة وتعني بتدريب الكوادر البشرية العليا في مصر ودول البحر المتوسط والدول الشقيقة .
- عضو لجنة التخطيط بالمشروع الألفي لاستشراف المستقبل - جامعة الأمم المتحدة .
- عضو لجنة الفكر الإسلامي المعاصر - وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - ١٩٩٤-١٩٩٥ (قرار وزاري من معالي وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية .
- عضو لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية - وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (قرار وزاري من معالي وزير الأوقاف بجمهورية مصر العربية - ١٩٩٦ .
- عضو اللجنة الفنية بمكتب وزير التعليم - قرار وزاري من معالي وزير التربية والتعليم العالي بجمهورية مصر العربية ١٩٩٤-١٩٩٥ .
- عضو اللجنة الاستشارية لنائب رئيس جامعة الأزهر لشؤون التعليم - ٩٥-٩٦ .
- حائز على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم القانونية والاقتصادية - فرع العلوم السياسية عن كتاب **مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي**

والسياسي، الصادر عن عالم المعرفة ١٩٩٤ وصدر له كذلك عدة كتب من أهمها:

- أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي - دار سعاد الصباح ١٩٩٢.
- التفاوض وإدارة المقابلات - العبيكان - الرياض ١٩٩٧.

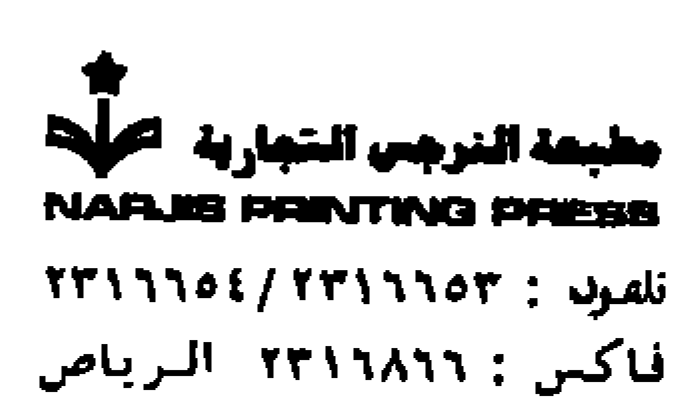
● شارك في عشرات المؤتمرات والندوات الدولية بالأبحاث العلمية في مجالات اللغويات والعلوم السياسية والإعلام.

● كاتب لعشرات المقالات في الصحف والمجلات المصرية والعربية والدولية ومن كتاب جريدة الأهرام القاهرية.

● حصل على العديد من شهادات التقدير في مجالات التخصص المشار إليها أعلاه من الهيئات العربية والدولية.

● مُعار حالياً من جامعة الأزهر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض - منذ عام ١٩٩٦.




مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب للقاريء العربي دراسة استشرافية ترسخ من مبدأ الأخذ بالأسباب التقنية التواصلية لتجاوز خطايا الحوار التفاوضي واللاتفاوضي وفك الاشتباكات الخاطئة في واقعنا العربي الإسلامي كمنطلق أساسي لابد منه نحو تحقيق التضامن والأخذ بأسباب إدارة الاختلافات والتعايش الإيجابي معها على كافة أصعدة التفاعل الاجتماعي والإداري والسياسي . . .

إذن، فهذا الكتاب ليس موجهاً فقط لصانع القرار والمفاوض الرسمي، بل لكل إنسان عربي في كل موقع، فالدراسة لا تتعامل فقط مع إظهار سيناريوهات الحرب والسلام - كما في حالة الصراع العربي الإسرائيلي أوسيناريوهات منطقة الخليج العربي وسيناريوهات "الإسلام والغرب" ؛ "والسيناريو النووي المستجد" بل تتعامل مع عمق عملية بناء وصياغة "السيناريو" وعلاقته بمفاهيم التفاوض ومبارياته واستباق الأزمات وإدارتها وعملية إقامة الحجج وأنواعها وأوجه الخلل التقنية في إقامتها، كما تربط كل ذلك بمفهوم
المسار الثاني "غير الرسمية" والتي تمثل أحد المجالات اله
السيناريوهات المعادية والتدخل الإيجابي لتفعيل أفضل الـ
التي تحقق أجندتنا الاستراتيجية على أصعدة التفاعل
والسياسي والثقافي والتربوي والإعلامي.

ردمك : ٠ - ٧٤ - ٧٥١ - ٩٩٦٠
مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦